كتاب تفسير للقاضي بيضاوي

٣١
نسخ

وزیر اعظم و سردار اکرم محمد پاشا قوللرینک اهداسی

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان
ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتلى اكرمه الله
تعالى بالزلفى والحسنى
حرره الفقير احمد شيخ زاده
المفتش باوقاف الحرمين
الشريفين غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل القران على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره
مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء
عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن
لهم من مصالحهم ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق
عن ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هي رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا
وابرز غوامض الحقايق ودقايق اللطائف ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا
قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات
والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفا نبراسه يعش ذميما ويصلى
سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي
غناه وتجازي عناه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا
مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا وبعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها
شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها
لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها
وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف
في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف
الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل
المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القرات المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين
والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب
في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان
فيما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل فها انا الان اشرع

وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسؤل سورة فاتحة الكتاب
وتسمى ام القران لانها مفتتحه ومبداه فكانها اصله ومنشاوه ولذلك تسمى اساسا او لانها
تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه
من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء
ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء
وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية
والشفاء لقوله عليه السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات
بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة
او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبمدينة حين حولت القبلة وقد
صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم وهو مكي بالنص
بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك
والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص
ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال
ما بين الدفتين كلام الله تعالى لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال فاتحة
الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة
وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلهما اختلف في انها اية
براسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف
مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب امين والباء متعلق بمحذوف تقديره بسم الله اقرا
لان الذي يتلوه مقرو وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدا له وذلك اولى من ان يضمر ابدا
لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله
بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق
للوجود فان اسم الله تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل الة لها من حيث ان الفعل لا يتم
ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله
فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرا وهذا وما بعده الى اخر السورة
مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسال من فضله وانما كسرت
ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام
الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين
من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل
عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له
تصريفهم على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال الزاجر والله اسماك
سمى مباركا اثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى

وشعار له ومن السمو عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوض عنها همزة الوصل
ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سِم
وسُم قال • باسم الذي في كل سورة سِمه • والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف
من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد
اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى
وقوله تعالى تبارك اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص
يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب والاسم فيه مقحم كما في قول لبيد
الى الحول ثم اسم السلام عليكما • وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري
انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما
قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن
ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها
والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذا قيل يا الله بالقطع الا انه
مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه
من اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته او من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد
ومنه تأله واستأله او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره
والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ
يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد
يولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه
فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل اله كاعاء
واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها
اذا احتجب وارتفع لانه محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع عن كل شيء وعما لا يليق به
ويشهد له قول الشاعر • كحلفة من ابي رباح • يشهدها لاهه الكبار • وقيل علم لذاته المخصوصة
لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه
سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قوله لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن وانه
لا يمنع الشركة والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب بحيث لا يستعمل في غيره وصار
كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به
وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير
معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر
قوله وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين
مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله
لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله

او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن يفسد الصلوة ولا ينعقد به صريح
اليمين وقد جاء لضرورة الشعر • الا لا بارك الله في سهيل • اذا ما الله بارك في الرجال •
الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة
في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم
لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون
المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة
المعنى كما في قطع وقطّع وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية
فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن
وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام
واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى
الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه
المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو
مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او يزيل رقة الجنسية
او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة
على ايصالها والداعية الباعثة عليها والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها
يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل
النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة
على رؤس الآي والاظهر انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله تعالى ان يكون له مؤنث
على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء
ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي
هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس
ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء
على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء مطلقا تقول حمدت زيدا
على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة
النعمة قولا وعملا واعتقادا قال • افادتكم النعماء مني ثلثة • يدي ولساني والضمير المحجبا •
فهو اعم منهما من وجه واخص من وجه آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة
وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر
والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده والذم نقيض الحمد
والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به
وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر
التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة

الى ايثره في كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير
الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى
حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله بكسر الدال
باتباع اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما تستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب
العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف
به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم
فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا
كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به
الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب
لذاته تدل على وجوده وانما جمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم
فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين
وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم
من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم
بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ
رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان
الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن
الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قراه عاصم والكسائي ويعقوب
ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله والباقون ملك
وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولما فيه
من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو
المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل
ومالكا بالنصب على المدح او على الحال ومالك بالرفع منونا او مضافا على انه خبر مبتداء
محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان
وبيت الحماسة • ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا • اضاف اسم الفاعل الى الظرف
اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك
الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار
ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل
الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى
بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا لهم للعالمين
ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب
والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه

فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له او للاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف
بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف
الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث الدلالة
على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه
قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما
لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين اياك
نعبد واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها
عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك
بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان
وللانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا
والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر
والتامل في اسمائه والنظر في الائه والاستدلال بصنايعه على عظم شانه وباهر سلطانه
ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه
عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر
ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى اسلوب آخر تطرية له
وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس
كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير
سحابا فسقناه وقول امرئ القيس • تطاول ليلك بالاثمد • ونام الخلي ولم ترقد •
وبات وباتت له ليلة • كليلة ذي العائر الارمد • وذلك من نبا جاءني • وخبرته عن
ابي الاسود • وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف
زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف
في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل
الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة
فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل
الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية
الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة
ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية
او غير ضرورية والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول
آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويتسهل كالراحلة
في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف

على بعهدة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير
المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة اوله
ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها
تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام
والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم
في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات
ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة
اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة
جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا
من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال
لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير
للتنصيص على انه المستعان لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس
الاى ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب
المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه
بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة
منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بذلك وقرئ بكسر النون
فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها
اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا
او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك استعمل في الخير وقوله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه
هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى
قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة
الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس
الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح
والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم
السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص
بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده
وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى
والثبات عليه او حصول المراتب المترتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به

ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور
قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء
والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة
ولذلك يسمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق
وقد يشم الصاد صوت الزاء ليكون اقرب الى المبدل منه وقرا ابن كثير برواية قنبل
ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش
والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث
والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام صراط الذين انعمت
عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة
وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة
على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه
ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء
وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من
انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها
الانسان فاطلقت لما يستلذ من النعمة الاسلام وهي اللذين ونعم الله تعالى وان كانت
لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي
فالاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه
بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة
فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس
عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن
بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر
ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الابدين
والمراد به هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الاخر فان ما عدا ذلك
يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين
على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة
او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب
والضلال وذلك انما يصح باحد التاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم
يقصد به معهود كالمحلى في قوله ٭ ولقد امر على اللئيم يسبني ٭ وقولهم اني لامر على الرجل
مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو
المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير
المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين

والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية
على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما
في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا
غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين
والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت
ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله
وغضب عليه والضالين النصارى لقوله قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي
مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم
عليهم من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى
قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا
وغضب الله عليه والمخل بالعقل جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين
اسم الفعل الذي هو استجب عن ابن عباس سألت رسول الله عليه السلام عن معناه
فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال
ويرحم الله عبدا قال آمينا • وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا • وليس من القران وفاقا
لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبرئيل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة
وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين
ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عليه السلام
كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور
انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يؤمن معه لقوله عليه السلام اذا قال
الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تامينه تامين الملائكة
غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي
الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله
قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما
نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة
بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما
مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله ويرفع عنهم
بذلك العذاب اربعين سنة

[illegible] مدنية [illegible] مائتان و[illegible] وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي
ركب منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع
والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود انه عليه السلام
قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف
بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيص
الحرف به عرف متجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها
حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها ليكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت
الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب
لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ لم يناسب مبني الاصل ولذلك
قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها
لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا
لمن تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان
من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه
وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف
مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب جدا
خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب
الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما وهي نصف اسامي
حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها
الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على
مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف
ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعها لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت
طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها خمس على نصره ومن المطبقة
التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة
وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين
الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي
سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والظاء والضاد نصفها الاقل
ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه
واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين
وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط
والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت
ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم
في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء

والياء والميم والخاء والغين والضاد والظاء والشين والواو والزاء والفاء نصفها
الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف
والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي
لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاء والشين والفاء نصفها ولما
كانت الحروف الذلقية التي تعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل
والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام
ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي
تجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتركيبها
وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية
وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات
مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها
توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف
بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور
لوقوعه في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو
وفي الافعال كقل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلث
ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلثة عشر سورة تنبيها على ان اصول الابنية
المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين
تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور
ولم تعد بأجمعها في اول القران لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه
والمبالغة فيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف والمؤلف منها كذا
وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة
التركيب فلو لم يكن وحيا من الله لم يتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه
بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن
القران باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السورة
التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما
وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران نزل على لغتهم
لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة
للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب واشارة الى كلمات
هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله ● قلت لها قفي فقالت لي قاف ●
كما روي عن ابن عباس رضه انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر
وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح

وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القران منزل من الله تعالى
بلسان جبريل على محمد عليهما السلام او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قال ابو العالية
متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود وتلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا
كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ
فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه
الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات
كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها
من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السورة
يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم
ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى وتستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر
عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على
الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك
ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم يستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم
اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس رضه فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء
ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة
لا تفسير ولا تخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل
فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما
بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء
انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك واما اذا نثرت نثر اسماء
العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة
من اسماء الحروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم
من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق
للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد
فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها
بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا كان يقول يا كهيعص
ويا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدا المخارج
واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي اخرها جمع بينها ايماء
الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انها سر
استأثره الله تعالى بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه
ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره

اذ بعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القران او السور كان لها حظ من الاعراب
اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب
او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة
او موازنة لمفرد كحم فانه كهابيل والحكاية ليس الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا
ان شاء الله تعالى وان بقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز
الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا
على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض
كلمات او صوتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأ والمفردات
المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء
منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم
ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه
ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران
فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه اشير اليه بما يشار الى البعيد وتذكيره
حين اريد بالسورة لتذكير الكتاب فانه صفته او خبره الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته
والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في
الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بمعنى المفعول كاللباس
ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة
لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر
الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا يرى الى قوله تعالى
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق
المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا
عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه
للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب
في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به
الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك
فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين
يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة الموصلة
الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال الله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه
لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به
والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار
قال هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات

والنظر في المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه
لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه
في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى
والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة
وله ثلث مراتب الاولى التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى
والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر
عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو
التقوى الحقيقي المطلوب بقوله واتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين
على الاوجه الثلثة واعلم ان الاية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه
اسم القران او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف
مطلقا والاصل ان الاخص لا يطلق على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه
البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفته وان يكون الم
خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة
مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها
نقيضها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس
وفيه ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به
من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر
محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره
والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب
الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى
ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف
بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك
الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ولا ريب فيه
ثالثة تشهد على كماله ثم سجل على كماله بنفي الريب فيه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين
وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدا رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى
للمتقين او يستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه نبه
اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج
منه انه الكتاب البالغ حد الاعجاز واستلزم ذلك انه لا يتشبث الريب باطرافه
اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك لا محالة هدى للمتقين

وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل
وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة
الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين
باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون
بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي
مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل
الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة
والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة
لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة
للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا
لفضلها على سائر ما يدخل تحت صفة التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني
او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف
على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق
آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يجيء
بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين
حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام
كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل
بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق
ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن
الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه
اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن
قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى
وقرنه بالمعاصي فقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب
عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير
لانه اقرب الى الاصل وهو متعين للارادة في الاية اذ المتعدي بالباء هو التصديق وفاقا
ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هو كاف لانه هو المقصود ام لا بد من انضمام
الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من الجاهل المقصر وللمانع
ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة
في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي
تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل

وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا
هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله والمراد به في هذه
الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا
على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين
عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما آمن
احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى
يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول
للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة ويقيمون الصلوة
اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود
اذا قومه او يواظبون عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها
اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا
فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد
المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر
واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء
بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والتسبيح والاول
اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه معنى التنبيه على ان الحقيق
بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من
الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون
ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين
والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وسمي
الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان
المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره
في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد
ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم
تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة
لما استحالوا من الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه
قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون
الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله
تعالى بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا
جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص

بما رزقناهم بالحلول للقرينة وتمسكوا بشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن
قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك
من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت
الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دل على معنى الذهاب والخروج والظاهر
من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر
افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقتها وتقديم المفعول
للاهتمام به والمحافظة على رؤس الاى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف
المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي آتاهم الله من النعم الظاهرة
والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب
من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه معطوفون
على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد
باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان تفصيلا
للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك
والذين آمنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف
كما وسط في قوله • الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • وقوله
يا لهف زيابة للحارث • الصابح فالغانم فالآيب • على معنى انهم الجامعون بين الايمان
بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين
الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلتين وتباين
السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر
جبرئيل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء
من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل
نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا
او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول فيلقنه والمراد بما انزل القرآن باسره
والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا
للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا
قرآنا عجبا وقوله انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه
ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وغيرهما من الكتب
السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا
متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج

وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه
من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم
الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره ودوامه
وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب
وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم
بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى
ولا العلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك
الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة
في وجوه ووقتت ونظيره • لحب المؤقدان الى مؤسى • وجعدة اذ اضاءهما الوقود •
اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا
عن المتقين خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله
الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستيناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام
والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بالصفات المذكورة اختصوا
بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة
ههنا كاعادة الموصوف بالصفات المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم
وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه ان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له
ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من
اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم • امتطى الجهل والغوى • واقتعد غارب الهوى •
وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة
النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره
ونظيره قول الهذلي • فلا وابي الطير المربة بالضحى • على خالد لقد وقعت على لحم •
واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة
واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات
يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط
العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل
اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت
الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتداء والمفلحون خبره والجملة
خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر
وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلى وفلذ يدل على الشق

والفتح وتعريف المفلحون للدلالة على ان المتقين هم الناس الذي بلغك انهم المفلحون
في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه
تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله كل احد من وجوه
شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل لاظهار قدرهم والترغيب لاقتفاء آثارهم وقد تشبث به الوعيدية
في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون
في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا
ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم
للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة والمردة الذين لا ينفعهم الهدى ولا يغني
عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله تعالى
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب
وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف
التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه
والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول
ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها
كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه
الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان
وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك
يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسألونك عن ذي
القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول
من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب
سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد
والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا
من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله
الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع
انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا
لانها تدل على التكذيب فان من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجترئ عليها
ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه
لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث
الكلام كما في العلم سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء
نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان

وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك
وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار
عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ ومطلق الحدث المدلول
عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى
واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه
وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة
وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد
الاستواء كما جردت حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر
لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه
لانه اوقع في القلب واشد تأثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب
النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين
وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحرك لا ينقلب ولانه يؤدي
الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الالف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية
بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال
مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به
من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان
فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق
ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما
الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء وعدمه لا ينفي القدرة عليه
كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام
الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال الله تعالى سواء عليهم ولم يقل سواء
عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار
بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم
الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى
انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل
على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث
الله في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات
بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث
لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وابصارهم

لا يتجلى الآيات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق كما تجليها اعين المستبصرين كانها
غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل
قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما
وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه
وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها
مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه
بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع
على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة
فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم
حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل
حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم
الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته
الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره
تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر
واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء
على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي
وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون
مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء
بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما
عبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له في قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم
وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال
ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل
على بصره غشاوة وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب
جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص
بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار
ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن
عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى
حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة
وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم

والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله ان
في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتهما مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب
المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور
عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل
على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم
على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر
مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وغشاوة بالغين المعجمة ولهم عذاب عظيم
وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل
عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا
ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة
فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض
والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا
قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم نوع
غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام
نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما
افتتح سبحانه وتعالى كتابه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا
دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر
ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفته رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم
الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم
الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم
وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال
وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة
على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة
حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا
يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع
مأخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك
سموا بشرا كما سموا الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد
فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة
يراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في
عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم
تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا

يكون الاية تقسيما للقسم الثالث واختصاص الايمان بالله تعالى وباليوم الاخر بالذكر تخصيص
لما هو المقصود الاعظم من الايمان او ادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه
وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق
لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم
التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم
في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم
لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان
بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول
وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر
من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر
الاوقات المحدودة وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله
وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة
في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في زمان ماض
ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد
بما قيدوا به لانه جوابه والاية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد
لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا
والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم يخادعون الله والذين آمنوا الخدع
ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب
اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر
واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة
تكون بين اثنين وخداعهم مع الله تعالى ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا
خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة
الله تعالى من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله الذين يبايعونك انما يبايعون
الله واما ان صورة صنيعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله
معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار
استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام
عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون
لانه بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة
فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه فاعله كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابل
معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرا يخدعون وكان غرضهم في ذلك

ان يد

ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين
من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى
منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخدعون الا انفسهم قراءة نافع
وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم
لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة
من لا يخفى عليه خافية وقرا الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا يتصور الا بين اثنين
وقرئ وما يُخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء
للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح
لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء
لفرط حاجتها اليه وللراي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا
تامره وتشير عليه والمراد بالنفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم
وما يشعرون لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره
اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر
الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض
حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز
في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة
وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية
والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متالمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على
ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء
امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله
عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف
النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة
في قوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم
من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله تعالى لهم بالملائكة وقذف
الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد
ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف به العذاب للمبالغة
كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قراءة عاصم وحمزة
والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرا الباقون يكذبون
من كذب لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي
هو للمبالغة او للتكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا
ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به

وهو حرام كله لانه علل باستحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم
عليه السلام كذب ثلث كذبات والمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان
ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون
من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج
الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم
في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء
الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه
اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع والاعراض عنها مما يوجب
الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين
قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح
مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوايب الفساد
لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما منطلق زيد وانما
قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى
افمن زين له سوء عمله فراه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه
ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة
الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك
بقادر ولذلك لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي
هي من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسط الفصل لرد ما في قولهم
انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون واذا قيل لهم
آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض عما لا ينبغي
وهو المقصود بقوله تعالى لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا
كما آمن الناس في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام
في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس
كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك
يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد
جمعهما الشاعر في قوله ٭ اذ الناس ناس والزمان زمان ٭ او للعهد والمراد به الرسول
ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص
متمحضا عن شوايب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان
الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة
فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم

وانما

وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء
ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله
بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله
الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما
يعذر وتنفعه الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون
لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر
الى نظر وفكر فاما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما
يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين
والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير
روي ان ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء
السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني
رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي
الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا
بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء المصادفة
يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه
جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه
او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه
وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم
وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون
صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح
ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا
انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة
الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق
ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا
به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار
بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به
مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين
قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان
فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى
كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات

على مكانه وناقة تهزأ به اى تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم
سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما للمقابلة اللفظ باللفظ
او لكونه مماثلا له فى القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل
الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء او الغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ
اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة
على التمادى فى الطغيان واما فى الآخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون
نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون وانما استأنف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج
المؤمنين ان يعارضوهم فان استهزاءهم لا يؤبه به فى مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله
لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد
حينا بعد حين وكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال تعالى اولا يرون انهم يفتنون
فى كل عام مرة او مرتين ويمدهم فى طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه
ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد فى العمر فانه
يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام
على ظاهره قالوا لما منعهم الله الالطاف التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم
واصرارهم وسد طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم زيغا وظلمة تزايد
قلوب المؤمنين انشراحا ونورا ومكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك
الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل
اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغى وقال واخوانهم
يمدونهم فى الغى او كان اصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمد فى اعمارهم كى يتنبهوا ويطيعوا
فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذف اللام وعدى الفعل بنفسه كما فى قوله تعالى واختار
موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم والطغيان
بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد فى العتو والغلو فى الكفر واصله تجاوز الشئ
عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير
فى الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله
بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه
لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاى العوضين تصورته بصورة الثمن
فباذله مشتر وآخذه بايع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما
فى يده محصلا به غيره سواء كان من المعانى او الاعيان ومنه • اخذت بالجمة رأسا ازعرا •
وبالثنايا الواضحات الدردرا • وبالطويل العمر عمرا جيذرا • كما اشترى المسلم اذ تنصرا •

ثم اتسع فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذى جعله الله
لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة
واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء
فى معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه • ولما رأيت النسر عز ابن داية
وعشش فى وكريه جاش له صدرى • والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل
على رأس المال ولذلك يسمى شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها
بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انه سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا
الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه
الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به
الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل مثلهم كمثل
الذى استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة فى التوضيح والتقرير
فانه اوقع فى القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا
ولامر ما اكثر الله فى كتبه الامثال وفشت فى كلام الانبياء والحكماء والمثل فى الاصل
بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم للقول السائر الممثل مضربه
بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حافظوا عليه من التغيير ثم استعير لكل حال
او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله ولله
المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذى بمعنى الذين
كما فى قوله وخضتم كالذى خاضوا ان جعل مرجع الضمير فى بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز
وضع القائم مقام القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التى هى صلته وهو وصلة
الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها
ويستوى فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى
ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التى عليها التنزيل ولكونه مستطالا
بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام
فى اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذى استوقد
والاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها
واشتقاق النار من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله
اى النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما
والتأنيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة فى معنى الامكنة
نصب على الظرفية او مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام
حول لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذى وجمعه للحمل على المعنى

وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به
اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل
على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى
ولما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله
او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل
بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله
اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ
الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء
ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله وتركهم
في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها
ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى
طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم
في ظلمات وقول الشاعر • فتركته جزر السباع ينشنه • والظلمة ماخوذة من قولهم
ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر
وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله تعالى وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة
كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح والمتروك فكان الفعل غير متعد
والاية مثل ضربه الله تعالى لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد
فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء
المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره
حين خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد
بعد ما امن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق
عليه من انوار الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة
الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة
ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله اياها واذهاب
نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به
السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت
قواهم كقوله • صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به • وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا • اصم
عن الشيء الذي لا اريده • واسمع خلق الله حين اريد • واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل
لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار
منه لولا القرينة كقول زهير • لدى اسد شاكي السلاح مقذف • له لبد اظفاره لم تقلم

ومن ثمة ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام
ويصعد حتى يظن الجهول • بان له حاجة في السماء • وههنا وان طوي ذكره
بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره • اسد علي وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر • هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة
التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا
نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم
وانتقصت قواهم وثلثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله
الصلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به
فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل
على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر
وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه
او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون
والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام
السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد
نارا اي كمثل ذوي صيب لقوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم واو في الاصل
للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن
سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا فانه يفيد التساوي في حسن المجالسة
ووجوب العصيان ومن ذلك قوله تعالى او كصيب من السماء ومعناه ان قصة
المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير
في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب
قال الشماخ • واسحم دان صادق الرعد صيب • وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به
نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق اخذ بافاق السماء
كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال • ومن بعد ارض بيننا
وسماء • امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد
بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب
المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد
والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته
وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد
صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها
اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر
في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في اذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو

وان حذف لفظه واقيم الصب مقامه لكن معناه باق فجوزان يعول عليه كما عول حسان
في قوله ٭ يسقون من ورد البريص عليهم ٭ بردى يصفق بالرحيق السلسل ٭ حيث ذكر الضمير
لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يوذن بالشدة والهول قيل
فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة من الصواعق
متعلق بيجعلون اى من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد
هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقيل يطلق
على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق
او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا
البنائين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة
وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر
كالعافية والكاذبة حذر الموت نصب على العلة كقوله ٭ واغفر عوراء الكريم ادخاره
واصفح عن شتم اللئيم تكرما ٭ والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضاده لقوله خلق
الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية
لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم
مع تلك الصواعق فكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه
لكنه لم يوجد اما لفقدان شرط او لوجود مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك
جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه
المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها
على عسى كما يحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ
بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء
ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف
كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل
ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول
محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح
نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء
للمفعول وقول ابي تمام ٭ هما اظلما حالي ثمة اجليا ٭ ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ٭
فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه
وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه
فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق
اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اى لو شاء الله

ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف
المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في
الشيء المستغرب كقوله ٭ ولو شئت ان ابكي دما لبكيته ٭ ولو من حروف الشرط
وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند
انتفاء اللازم وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام
ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروطة بمشية الله تعالى
وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته ان الله على كل شيء قدير كالتصريح
والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء
تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء
اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى
ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا
الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع
ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد
الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل
والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل
وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك لم يوصف به غير
الباري واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على
مقدار ما يقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه
مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور لله والظاهر
ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت
اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين
حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية
بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة
والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة
مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل
التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله تعالى
وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس
كان قلوب الطير رطبا ويابسا ٭ لدى وكرها العناب والحشف البالي ٭ بان يشبه
في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار
وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار

ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وبافشاء حالهم وابقائهم
في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم
باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق
من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا
ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل
الاصابع في الاذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا
ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون
بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم
فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان
والقرآن وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي
به حيوة الارض وما ارتكبت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة
بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم
عما سمعوا من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص
لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه
او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم
في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا
بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد
الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها
الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل
عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة
وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد
وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله
وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة
الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب الفعل واي جعل وصلة الى
نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين
واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه
اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي
من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد
وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا
بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجمع

واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها
والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة
بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما
تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلتين ثابت
الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه
يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه
بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة
فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب
تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا
به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه
والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها
على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل
ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي
والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير
يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول لكل ما
يتقدم الانسان بالذات وبالزمان معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت
مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن
الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى
نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير
في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون
حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين
بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات
السالكين وهو التبري عن كل شيء سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته
ويكون ذا خوف ورجاء كما قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته
ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم
في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه
وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق
اي خلقكم لكي تتقوا كما قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف
اذ لم يثبت مثله في اللغة والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته
واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق
بعبادته عليه تعالى ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة

فهو كاجير اخذ الاجرة قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح
منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا لله وجعل من الافعال العامة يجيء على
ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله • فقد جعلت قلوص بني سهيل
من الاكوار مرتعها قريب • وبمعنى وجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى
وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض
فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل
بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة
واللطافة واللين حتى صارت مهيأة لان تقعدوا وتناموا عليها كالفراش المبسوطة
وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها
لا تأبى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع
على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني
بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها
خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل
وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته لكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها
ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة
الممتزجة منهما وابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما
انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس
الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم تجدد فيها
لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن ابتدائية
سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدأ من السماء
الى السحاب ومنه الى الارض وعلى ما دلت عليه الظواهر ومن اسباب سماوية تثير الاجزاء
الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل
قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء
بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء
الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق او للتبيين ورزقا مفعول
بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة
لانه اراد بالثمرة جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ
من الثمرة على التوحيد ولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات
وعيون وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم
صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم
فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان

وجواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الى اله موسى الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها
غير موجبة والمعنى ان تتقوا فلا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت به
على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه فلا تجعلوا والفاء للتسبيب ادخلت عليه
لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام
ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير • اتيما تجعلون الي ندا • وما تيم
لذي حسب نديد • من ند ندودا اذا نفر ونادت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل
في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسميته ما يعبده المشركون من دون الله
اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم
لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات
واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله تعالى وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير
فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد
الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل • اربا واحدا ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا • كذلك يفعل الرجل البصير • وانتم تعلمون حال من ضمير
فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر والمعرفة واصابة
الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات
متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله
كقوله تعالى قل هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء فعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ
والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء
في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به
والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة
الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه تعالى خالقهم
وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم
والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت
هذه الامور التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن
الاشراك به ولعله سبحانه وتعالى اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق
فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات
على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه
من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس
وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية
الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا

ولكل حد مطلعا • وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة لما قرر وحدانيته
وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام
وهو القران المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحم من طولب بمعارضته
من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة
وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله تعالى
كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهل الشعر
والخطابة مما يريبهم كما حكى الله تعالى عنهم فقال قال الذين كفروا لولا نزل عليه القران
جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة
واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه
وقرئ عبادنا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطائفة من القران
المترجمة التي اقلها ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة
لانها تحيط بطائفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم
احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال • ولرهط ضراب
وقبل سورة • في المجد ليس غرابها بمطار • لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها
القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت
مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية او القطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القران
سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل
الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا
او طوى بريدا والحافظ متى حفظها اعتقد انه اخذ من القران حظا تاما وفاز بطائفة
محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد من مثله
صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين
وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا
ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب
ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق
لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله ولسائر آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل
عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا
بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به
هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره
ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر
بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم

بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور
اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله تعالى
شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء
ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان
منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع
فيه فاستعمل في كل تجاوز حد وتخطي امر الى آخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية
يا نفس ما لك دون الله من واق • اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة
بادعوا والمعنى ادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم
غير الله تعالى فانه لا يقدر ان يأتي بمثله الا الله تعالى او ادعوا من دون الله شهداء
يشهدون لكم بان ما آتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز
عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او آلهة وزعمتم انها
تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى على زعمكم من قول الاعشى
تريك القذى من دونها وهي دونه • ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة
القران غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء
العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما آتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه
ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر
انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما
لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار
عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول عليه السلام وما جاء به وميز
لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته
وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب
فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان
وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشأن
العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التي للشك والحال
يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم
معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم وخطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل
لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال المختصة بالمضارع
متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل

على المجموع وكانه قال وان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل
غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي
الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد
به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت
النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين
بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد بهما الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها
الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام
التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها
واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض
ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها
ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه
وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل
شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت يتقد به كل نار وان
ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضه فلعله عنى به ان الاحجار كلها للنار لتلك
كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزلت بمكة قوله تعالى
في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة
صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة
لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد
من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين
ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع
في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة
من سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا
لمعارضته والتجؤوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب
على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر
من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة
بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار
مخلوقة معدة لهم الان وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف
على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقران ووصف ثوابه على حال من كفر به
وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا
لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له

ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي
ظهر اعجازه فاذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب
وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه السلام او عالم
كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب
الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنؤوا بما اعد لهم وقرئ
وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار
فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة الخبر الاول حتى لو قال
الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني
عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع ● والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي
تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة ● من آل
لام بظهر الغيب تاتيني ● وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل
الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما
اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين
فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه
ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن
مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه ان لهم
منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن
والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها
الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال ● كان عيني
في غربي مقتلة ● من النواضح تسقي جنة سحقا ● اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه
من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك
لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس
وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل
واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام
تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه
لا يكافئ النعم السابقة فضلا عن ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع
ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام
لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيده هنا استغناء

تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة
على شواطيها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار
للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله
تعالى انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد به ماؤها على الاضمار او المجاز
او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة ثانية لجنات
او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع
أثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا
مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه
كل حين رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من
الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية
الضمير المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك
اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع
فانك لا تعني به العين المشاهدة بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جرياته وان كانت
الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته
ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة رحمهما الله من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمرة
الجنة من جنس ثمرة الدنيا لتميل النفس اليها اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المالوف
متنفرة عن غيره فيتبين لها مزية كنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه
لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابهة الصورة كما حكي عن الحسن
ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك
فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه عليه السلام قال والذي
نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه
يبدل الله تعالى مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول
اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم
الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه
البليغ في الصورة وأتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع
الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره
قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني
الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة
كما قال ابن عباس رض ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل

في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه
هذا وان للاية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا
من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا
الذي رزقنا ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة
فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها
ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن
ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال
وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة
وفواعل قال • واذا العذارى بالدخان تقنعت • واستعجلت نصب القدور فملت
فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء
بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو
الا الله تعالى والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف
فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ
النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها
انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها
على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع
ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في
الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء
الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد
بالتابيد في قوله تعالى خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم
وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه
فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات
والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة بالكيفية معرضة للاستحالات
المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنات قلت انه تعالى
يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها متفاوتة في الكيفية مساوية
في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها
من بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على
ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات
الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء
وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال

كانت منغصة غير صافية من شوائب الآلام بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة
بانهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم
والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة
متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه
وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة
والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب
عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه
فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب
المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات
الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل
في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة
الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما
قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة
الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا
منه الله تعالى اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا
لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن
بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل
بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم
وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار
النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها
عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به
الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي شيبة المسلم ان يعذبه
ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به
الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه
اللازمين لمعنيهما ونظيره قول من يصف ابلا . اذا ما استحين الماء يعرض نفسه
كرعن بسبت في اناء من الورد . وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل
الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب
الخاتم واصله وقع شيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من ومنصوب
المحل بنزع الخافض بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد
النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي كتاب كان
او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله

هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فيفيد له وثاقة
وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب
ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع
على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها آخر ان يكون موصولة حذف صدر صلتها
كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها
النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كانه لما رد استبعادهم
ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له
ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وما ديناران
والبعوضة فعولة من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع
كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها
في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي
ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو
الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين
ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه خطيئة
فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام
ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين آمنوا
فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف تفصيل يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر
ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه
مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول
الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا
المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم
وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي
لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة
من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق اي محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون
كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان
قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان
عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان تكون استفهامية وذا بمعنى الذي
وما بعده صلته والمجموع خبرا وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل
على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني
ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه

ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور
اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه
ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم يكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر
على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد
مقدوريه على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم
من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز
او حال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا
اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان
للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه
ارادته والانكار بحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى
انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال
كما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد
وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال • قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا •
وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا • كما غيرهم قل وان كثروا • وما يضل به الا
الفاسقين اي خارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم
فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة
فواسقا عن قصدها جوائرا • والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة وله درجات
ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك
وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها
فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان عن عنقه ولابس الكفر وما دام
هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي
هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما
قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده
جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتين المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما
في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم
للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل
صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم
وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون
بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض
فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد
يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر فان اطلق مع لفظ الحبل

كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد
حبل في اثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه
الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه
لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع
اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة
على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى
واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي نصب لهم الدلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم
الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم
بها وتمكنهم منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله تعالى
قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيمة او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم
رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار
بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد
اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين
ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولم يكتموه من بعد ميثاقه
الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به
عهده من الايات والكتب وما وثقوا به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون
بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله
به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة
المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعة المفروضة
وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله تعالى وبين العبد
المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو
وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر
فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت
قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن
لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل
التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل
عن النظر واقتباس ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات
بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد
بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجب
لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال
وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده

فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين
كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات
ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون
وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة
وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل
بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم
بالنشور يوم ينفخ الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم
باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل
ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت
تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية
تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه
من اعادته او مع القبيلتين فانه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على
الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح
صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم
معصية المنعم فان قيل كيف يعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت
وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحقيقية كما قال الله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان
كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها
كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل
وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم
على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان
ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها
وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص
الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها
يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال الله تعالى اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به
في الناس واذا وصف به الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة
فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء
في جميع القران هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى
فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم
ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او غير وسط

ودينكم

ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الاخرة والامها لا على
وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل
ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب
عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض
الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني
ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده
قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على
الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام
وقيل استولى وملك قال: قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق
والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليها بالفاء والمراد بالسماء
هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق
السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف
ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق
ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض
فعلا اخر دل عليه اانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف
الظاهر فسويهن عدلهن خلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت
بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات
بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه
شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف
وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق
على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب
والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه
الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان
بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية
بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله
تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات وقد برهن عليها
في هاتين الايتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان
عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت
والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما
الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه
اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم

واحيائهم وانه تعالى خلقها خلقاً مستوياً محكماً من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم
وحاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته
وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيهاً له بعضد واذ قال
ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم
فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على الملائكة بان امرهم انعام يعم ذريته واذ ظرف
وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع
فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث فى المكان وبنيتا تشبيهاً بالموصولات
واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابداً بالظرفية فانهما من الظروف
الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر
الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله فى الآية قالوا او اذكر
على التأويل المذكور لانه جاء معمولاً صريحاً فى القرآن او مضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة
مثل وبدأ خلقكم اذ قال الله وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة فى حكم الصلة
وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل فى جمع شمال والتاء
لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الألوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى
وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء فى حقيقتهم بعد اتفاقهم
على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة
قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت
طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء
انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم
الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم فى محكم تنزيله فقال
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر
الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امراً فمنهم سماوية ومنهم ارضية
على تفصيل اثبته فى كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص
وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه فى محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم فى
الارض اولاً فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس فى جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم
فى الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذى له مفعولان وهما فى الارض خليفة عمل فيهما
لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة
من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان
خليفة الله فى ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم فى عمارة الارض وسياسة الناس
وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه

عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكاً كما قال تعالى ولو جعلناه
ملكاً لجعلناه رجلاً الا ترى ان الانبياء عليهم السلام لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم
بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم على
رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام فى الميقات ومحمداً عليه السلام ليلة
المعراج ونظير ذلك فى الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من
التباعد جعل البارى تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي
ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف
بعضهم بعضاً وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر
ابي القبيلة فى قولهم مضر وهاشم او على تأويل من يخلفكم او خلفاً يخلف وفائدة قوله
هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته
ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم
وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر
القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب
من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة
اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد
والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج فى صدره
وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن فى بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن
بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا
ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح المحفوظ او استنباط عما ركز فى عقولهم ان العصمة
من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن
انواع من الصب فالسفك يقال فى الدم والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح
فى الصب من اعلى والشن فى الصب من فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك
على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصوفاً محذوفاً او موصولاً
اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال
كقولك تحسن الى اعدائك وانا الصديق القديم والمعنى أتستخلف عصاة ونحن
معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع
منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكأنهم علموا ان
المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان الى الفساد
وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا
ما الحكمة فى استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلاً
عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليماً عن معارضة

تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحد من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة
للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا
ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف
واليه اشار تعالى بقوله اجمالا قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله تعالى
عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب
فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعد عن الاقذار وبحمدك
على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم
ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك
عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس
عن الاثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري
بها فيه والقاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب
عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه
من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى
قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم عليه السلام فلذلك يأتي
بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس
ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة
للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا
في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما
واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة والمراد في الاية
اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف
على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك
انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات
الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها
ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء
المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل
الرأس شيبا لان الغرض السؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء
سيما ان اريد به الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها
على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه
على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير في الموجودات واقامة المعدلة قبل تحقق
المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب

التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم
صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه
صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرح به لكنه لازم مقالتهم والتصديق
الى الكلام باعتبار منطوقه وقد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا
الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف
بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان
لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم
وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر
كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما
للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به
اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى
عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين
انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه
حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز
مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل
وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ
بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني
اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله ما لا تعلمون
لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات
والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض
بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون
قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة
وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس
من المعصية والهمزة فيه للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير
واعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة
وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم
يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء
تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له
معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان
قبل آدم فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله
انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم يقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك

في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل
من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء
لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف
عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه
على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم
والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر • ترى الاكم فيها سجدا للحوافر • وقال
وقلن له اسجد لليلى فاسجدا • يعني البعير اذا طأطأ راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد
العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله وجعل آدم قبلة
سجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات
كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة
الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات
امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته
فاللام فيه كاللام في قول حسان • اليس اول من صلى لقبلتكم • واعرف الناس بالقرآن والسنن
او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية
وتعظيما له كسجود اخوة يوسف عليه السلام له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به
معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المأمورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق
فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في
عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء
امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك
بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه امر الله اياه
بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول
والتوسل به كما اشعر قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل
من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله
امرهم ولم يصح استثناؤه ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال
انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رض روى ان من الملائكة ضربا
يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان
جنيا نشأ من اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين

مع الملائكة لكنه استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون
بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع
الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس
بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم
العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض
والصفات كالبررة والفسقة من الجن والانس يشملهما فكان ابليس من هذا الصنف
كما قاله ابن عباس رض فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله تعالى
الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور
والجن من نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلقت الجن
من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها
مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت
مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال
تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين
النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي
لصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره تعالى وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب
وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان
بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد
اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم
والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها
لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا
لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها
رغدا اي واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما
وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها
الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي
بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها
على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى
العقل والشرع كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة
ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي
او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته
للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها

الحنث والاوجاه لو تعيين من غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه
وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذى بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر
زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذا في قوله تعالى وما فعلته عن امري
او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى
غير ان زل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله
ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما
بقوله انى لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما
على طريقة الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل اخرج منها فانك رجيم
فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل
للوسوسة ابتلاء لادم وحواء عليهما السلام وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل
تمثل بصورة دابة فدخل فلم يعرفها الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل
ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعيم
وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير
لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان
يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغنى
فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض
مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت
او القيمة فتلقى ادم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها
وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا
ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الاية وقيل سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب
الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت
واصلحت اراجعي الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحد الحاستين
السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة
وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم
عليه والعزم على ان لا يعود عليه واكتفى بذكر ادم عليه السلام لان حوا كانت تابعة له
في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر القران والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده
بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد
كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة
الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو

قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان
هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعار بانهم اهبطوا للتكليف
فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد
هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما
ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول
من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد
في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان
واحد كقولك جاؤا جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب للشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان
ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم
مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى
كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني
اعم من الاول وهو ما اتى به الرسول واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به
العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا
عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد
وجه وابلغه وقرئ هدى على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع الى اخره قسيم له كانه قال
ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا
فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة
وتقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة
من كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من
اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية كرمكة
فاعلت او ايية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات المنزلة او ما يعمها
والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء من وجوه
الاول ان ادم كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص الثاني انه جعل بارتكابه
من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين الثالث انه تعالى
اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى ادم ربه فغوى الرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع
عن الذنب والندم عليه الخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله تعالى اياه بقوله وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر
عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان الثاني
ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له

فاما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما
أمر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما
قاله للملائكة قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه
عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء
لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
وادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل
بشأنه لا يقال انه باطل بقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما
ما يدل على ان تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه
كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه
الرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة
الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي
انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما
جرى عليه ما جرى تفظيعا لشأن الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة
وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب
النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون
واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة
تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده
لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم
يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز تدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق
الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا
على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده
في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد عليه السلام وما انزل عليه فقال
يا بني اسرائيل يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع
الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية
صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة
ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم
لان الانسان غيور وحسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد
على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضاء والشكر وقيل
اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم
من ادراك زمن محمد عليه السلام وقرئ اذكروا والاصل افتعلوا ونعمتي باسكان الياء
واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي

بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد
ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان
والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء
بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى
حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا
عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس رضه اوفوا بعهدي
في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك
الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الصراط المستقيم اوف
بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى
اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل
العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله تعالى ولادخلنكم جنات
وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة واياي فارهبون فيما تأتون وتذرون خصوصا في نقض
العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء
الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل ان كنتم راهبين والرهبة خوف معه
تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن
ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله تعالى وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان
بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما
معكم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص
والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي
والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح
من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها
حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا
لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله
ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر
في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا
عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد اول كافر به كقولك كسانا
حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت
المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا
اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل
من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته
واوا تخفيفا غير قياسي او أوّل من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي

ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت
قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم
رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله عليه السلام
فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الكلم ويكتمونه واياى فاتقون
بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو
كالمبادى لما فى الاية الثانية فصلت بالرهبة التى هى مقدمة التقوى ولان الخطاب
بالاولى لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التى هى مبدأ السلوك وبالثانية لما خص
اهل العلم امرهم بالتقوى الذى هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على
ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشئ مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل
بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا
بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه فى خلاله او تذكرونه فى تاويله وتكتموا الحق جزم
داخل تحت حكم النهى كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس
على من يسمع الحق والاخفاء على من لم يسمعوا او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لا تجمعوا
لبس الحق وكتمانه ويعضده انه فى مصحف ابن مسعود وتكتمون اى وانتم تكتمون بمعنى كاتمين
وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم
لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعنى صلوة
المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم
باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا نمى فان اخراجها
يستجلب بركة فى المال ويثمر فى النفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر
المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة
تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة
بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشرع
قال الاضبط السعدى لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتامرون
الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر وهو الفضاء الواسع
يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر فى عبادة الله وبر فى مراعات الاقارب وبر
فى معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رض
انها نزلت فى احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه
وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم
تعلمون اى تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل
افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته
والعقل فى الاصل الحبس سمى به الادراك الانسانى لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن

ثم القوة التى بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه
سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل فان
الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها
بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما
لا يوجب الاخلال بالاخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا
بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى
استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذى
هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء
اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف
المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص
النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين
وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب روى انه عليه السلام
اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اى الاستعانة بهما او الصلوة
وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها
ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين
اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين و
الانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم
ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون
انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه
العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه
مخالط ما بين الشراسيف جايف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم لان نفوسهم مرتاضة
بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمه
قال عليه السلام جعلت قرة عينى فى الصلوة يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم
كرره للتوكيد وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد
تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها وانى فضلتكم عطف على نعمتى على العالمين
اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا
بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين
واستدل به على تفضيل البشر على الملك واتقوا يوما اى ما فيه من الحساب والعذاب
لا تجزى نفس عن نفس شيئا لا تقضى عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون
نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه وعلى هذا تعين ان يكون
مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة ليوما والعائد

فيها محذوف تقديره لا تجزى فيه ومن لم يجوز حذف العايد المجرور قال اتسع فيه فحذف
عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله • فما ادرى اغيرهم تناء •
وطول العهد ام مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس
الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل
وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثانى اما ان يكون مجانا او غيره
والاول ان يشفع له والثانى اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزى عنه او بغيره وهو ان يعطى
عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه
اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرا
ابن كثير وابو عمرو بالتاء ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله تعالى والضمير لما دلت
عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد
والاناسى والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة
بهذه الاية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات
والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود
تزعم ان آباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله فى قوله اذكروا
نعمتى التى انعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم
واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولى الخطر كالانبياء والملوك
وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه
تفرعن الرجل اذا عتا وتجبر وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد
من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم
يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ سوء العذاب
افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على مفعول يسومونكم
والجملة حال من الضمير فى نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون
بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى فى المنام او قال له الكهنة سيولد منهم
من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفى ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم
الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده
تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما
من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء
وفى الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على
مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين
بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله

تدوس بنا الجماجم والتريبا • وقرئ فرّقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر
بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم
للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روى ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد
اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك اى غرقهم واطباق البحر
عليهم وانفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل
او ينظر بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسرى ببنى اسرائيل فخرج بهم
فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوا على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب
بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنى عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف
ان يغرق بعضنا فلا نعلم ففتح الله تعالى كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل
اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم
ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله تعالى به على بنى اسرائيل ومن الايات الملجئة الى العلم
بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع
عن امة محمد عليه السلام مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل القرآن والتحدى به والفضائل
المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد عليه السلام دقيقة يدركها الاذكياء واخباره
عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر
بعد هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة
وعشر ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر
وحمزة والكسائى واعدنا لانه تعالى وعده الوحى ووعده موسى المجئ للميقات الى الطور
ثم اتخذتم العجل الها معبودا من بعده من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون
باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك
اى الاتخاذ لعلكم تشكرون لكى تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان
يعنى التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان
معجزاته الفارقة بين الحق والباطل فى الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق
بين الحلال والحرام او النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر
لعلكم تهتدون لكى تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر فى الايات واذ قال موسى لقومه
يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع
الى من خلقكم بريا من التفاوت ومميزا بعضها عن بعض بصور وهيئات مختلفة
واصل التركيب لخلوص الشئ عن غيره اما على سبيل التفصى كقولهم برئ المريض من مرضه
والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم
تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها

وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي
ان الرجل راى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل ضبابة او سحابة سوداء لا
يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون عليهما السلام
فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى
للتسبيب والثاني للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة
الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته كلام موسى
لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا
من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم
وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا
عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه
حقيق ان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم
الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم
يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك ولن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل
مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية
او حال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة
فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقيل
عشرة الاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي
فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى
يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي
وهو محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الاخرة وللافراد
من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا وقيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة
وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون
ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه
قد يكون عن اغماء او نوم لقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث
او ما كفرتموه لما رايتم باس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب
يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين
والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم
السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكان ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات
ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه
النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ
قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه

فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا
الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس
في حيوة موسى عم سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا له على اخراجهم من التيه
وقولوا حطة اي مسئلتنا حطة او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ
بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه
الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم فيها نغفر لكم خطاياكم
بسجودكم ودعائكم قرأ نافع بالياء وابن عامر بها على البناء للمفعول وخطايا اصله
خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت
همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل
قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة
للمسئ وسبب زيادة الثواب للمحسنين واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان
المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه تعالى يفعل لا محالة فبدل
الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب
ما يشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا
بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب
نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء
بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة
فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى
لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان
حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلث اعين تسيل كل عين في جدول
الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم عليه السلام
من الجنة ووقع الى شعيب عم فاعطاه مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه
ليغتسل وبراه الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبرئيل عليه السلام بحمله او للجنس
وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامر ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا
لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر
ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عم عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه
لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا
في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى عم من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب
فانفجرت كما في قوله تعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم
كل اناس مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به

ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به
ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده وان غلب في الفساد
لانه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا
راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك
حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله تعالى وقلة تدبره في عجائب صنعه
فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا
يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو
ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى
وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا تتغير
الوانه ولذلك اجمعوا او ضرب واحد لانهما طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا
الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا
ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي
واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها
تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به
اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها
بالضم وهو لغة فيه قال اي قال الله تعالى او موسى عليه السلام اتستبدلون الذي هو ادنى
اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد
في الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة بعيد المحل وقرئ ادنا من الدناءة بالذي هو خير
يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا
انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ
بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه
لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله
مصرائيم فعرب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم
احاطة القبة لمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم
على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف
من مخافة ان تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به وصاروا احقاء
بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة
ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد
عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب
المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم والتي فيها نعت محمد من التوراة وقتلهم الانبياء

فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم
ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملوهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا
كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي
والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي
الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر
الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي
واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت
الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير
قول رؤبة يصف بقرة * فيها خطوط من سواد وبلق * كانه في الجلد توليع البهق * والذي
حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك
جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عليه السلام
المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين
هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب
سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهودا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد
يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري
وسموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة
فسموا باسمها او من المشتق من اسمها او بما هو ماخوذ من اسمها والصابئين قوم
بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة
وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء
اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم
او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه
قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن
من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند
ربهم الذي وعدهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف
الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ
خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه
معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد
بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم
واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى
اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة
كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا

على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه
ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي
او لتنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق
بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك
اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة
او بمحمد عليه السلام يدعوا الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك
في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره
فاذا دخلت على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه
مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل
محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة
فاعتدى فيه ناس منهم في زمان داود عم واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون
في قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك
واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها
يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين
صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم
فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر
اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم
وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا
عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها
وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم
ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها
او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل
متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله
واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدم عليه لاستقلاله بنوع آخر من
مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال
وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة
ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبر بقاتله
قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزؤ او اهله او مهزوءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء
استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم
بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في مثل ذلك

المقام جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة
الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها
وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا
ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا
مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة
فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة
والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض
والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات
واجراء تلك الصفات على بقرة تدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت
الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة
بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق
جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا
لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة
بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل
ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول
انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال
اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كانه
قيل صفراء شديد الصفرة وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالت صفر
قال الاعشى • تلك خيلي منه وتلك ركابي • هن صفر اولادها كالزبيب • ولعله عبر بالصفرة
عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى
لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع
او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد
وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير
فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء
والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا
وتشبه بمعنى تتشبه ويتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبهة ومشتبهة وانا
ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت
لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة
والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعلق
باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل
للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاول

والفعلان صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك
مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب
او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا اخلص له لا شية فيها لا لون فيها
يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا
آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلآن بالمد
على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار
والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة
مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم
كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت
وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء جلدها ذهبا وكانت
البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من الافعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه
النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي
قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا
حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم
نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان
يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم
فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره
لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية
فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل
الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى
وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي
والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الاية ويريكم آياته دلائله على كمال القدرة لعلكم
تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها
او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحييه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء
الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب
ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضه انه ضحى بنجيبة
بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها
وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة
نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت
معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها
حيث يصل اثره الى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرفع ما بين العقل

والوهم من التدارء والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة
كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد
ذلك يعني احياء القتيل وجميع ما عدد من الايات فانها مما توجب لين القلب
فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة
او زائدة عليها او انها مثلها او مثل اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة وانما لم يقل
اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على
زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرفها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها
وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان
منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل
فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل
انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة
وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من المثقلة ويلزمها
اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون
وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالتاء ضما الى
ما بعده والباقون بالياء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا
لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة
من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد عليه السلام
وآية الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا
كلام الله حين كلم موسى عم بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخره ان استطعتم
ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه
بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الاية
ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم
ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا
آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا
اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم
في التورية من نعت محمد عليه السلام او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب
في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام
على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل
ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا
ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عندكم بين يدي رسول ربكم

وقيل عند ذكرهم في القيامة وفيه نظر إذ الإخفاء لا يدفعها أفلا تعقلون إما من تمام كلام اللائمين
وتقريع أفلا تعقلون أنهم يحاجونكم به فيحجونكم أو خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله
أفتطمعون والمعنى أفلا تعقلون حالهم وأن لا مطمع لكم في إيمانهم أولا يعلمون يعني
هؤلاء المنافقين أو اللائمين أو كليهما أو إياهم والمحرفين أن الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون ومن جملتها إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان وإخفاء ما فتح الله عليهم
وإظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب
جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها أو التورية إلا أماني استثناء
منقطع والأماني جمع أمنية وهي في الأصل ما يقدره الإنسان في نفسه من منى إذا قدر
ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون أكاذيب أخذوها
تقليدا من المحرفين أو مواعيد فارغة سمعوها منهم من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا
وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة وقيل إلا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى
وتدبره من قوله تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم
بأنهم أميون وإن هم إلا يظنون ما هم إلا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن
بإزاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وإن جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد
والزائغ عن الحق بشبهة فويل أي تحسر وهلك ومن قال إنه واد أو جبل في جهنم فمعناه
أن فيها موضعا يتبوأ فيها من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الأصل
مصدر لا فعل له وإنما ساغ الابتداء به نكرة لأنه دعاء للذين يكتبون الكتاب
يعني المحرف ولعله أراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بأيديهم تأكيد كقولك كتبته
بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من أعراض
الدنيا فإنه وإن جل قليل بالنسبة إلى ما استوجبوا من العقاب الدائم فويل لهم مما
كتبت أيديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا النار
المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال
ألمسه فلا أجده إلا أياما معدودة محصورة قليلة روي أن بعضهم قالوا نعذب
بعدد أيام عبادة العجل أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة
وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما قل أتخذتم عند الله عهدا خبرا أو وعدا بما تزعمون
وقرأ ابن كثير وحفص بإظهار الذال والباقون بإدغامه فلن يخلف الله عهده جواب
شرط مقدر أي إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على أن الخلف
في خبره محال أم تقولون على الله ما لا تعلمون أم معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى أي
الأمرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما أو منقطعة بمعنى بل أتقولون على التقرير
والتقريع بلى إثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه أعم
ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها

وبين الخطيئة أنها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض
لأنه من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم
بعذاب أليم وأحاطت به خطيئته أي استولت عليه وشملت جملة أحواله حتى
صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا إنما يصح في شأن الكافر لأن غيره
إن لم يكن له سوى تصديق قلبه وإقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف
بالكفر وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله
والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى يستولي عليه الذنوب ويأخذ بمجامع قلبه
فيصير بطبعه مائلا إلى المعاصي مستحسنا إياها معتقدا أن لا لذة سواها مبغضا لمن
منع عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات
الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والإدغام فيهما فأولئك
أصحاب النار ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازمون أسبابها في الدنيا هم فيها خالدون
دائمون أو لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة
وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها
خالدون جرت عادته سبحانه على أن يشفع وعده بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه
وعطف العمل على الإيمان يدل على خروجه عن مسماه وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل
لا تعبدون إلا الله إخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو أبلغ
من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي سارع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة
لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على إرادة القول وقيل تقديره أن لا تعبدوا
فلما حذف أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ويدل عليه قراءة أن لا تعبدوا
فيكون بدلا عن الميثاق أو معمولا له بحذف الجار وقيل إنه جواب قسم دل عليه المعنى
كأنه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء
حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لأنهم غيب وبالوالدين إحسانا متعلق بمضمر
تقديره وتحسنون أو وأحسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على
الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر
أسكنه وقولوا للناس حسنا أي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة أهل الحجاز وحسنى
على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وإرشاد وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يريد
بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين
منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب أي أعرضتم عن الميثاق
ورفضتموه إلا قليلا منكم يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم
بعد النسخ منهم وأنتم معرضون قوم عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الإعراض

الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون
أنفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضاً بالقتل والاجلاء
عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسباً او ديناً او لانه
يوجبه قصاصاً وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم
او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا
ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم به
بلزومه وأنتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهداً على نفسه وقيل وانتم ايها
الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازاً ثم أنتم
هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ
وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي
فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا
وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من
ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد
والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير
تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما
والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين
وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وإن يأتوكم أسارى تفادوهم روي
ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلوا عاون كل فريق
حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له
مالا حتى يفدوه وقيل معناه وان يأتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون
لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله أتأمرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى
وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم إخراجهم متعلق بقوله وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم ويفسره اخراجهم او راجع
الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تأكيد او بيان أفتؤمنون ببعض الكتاب
يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم
الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية وغيرهم
واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد
العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد اي الله سبحانه
بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم

وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة
آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب
في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعها عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية وقفينا
من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه
اذا اتبعه وقفاه به اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات
المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير
من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وأيدناه
قويناه وقرئ وآيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل
صدق واراد به جبريل عليه السلام وقيل روح عيسى عليه السلام ووصفها به لطهارته من مس
الشيطان او لكرامته على الله تعالى ولذلك اضافه الى نفسه او لانه لم يضمه الاصلاب
والارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير
القدس بالاسكان في جميع القرآن أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه
يقال هوي يهوى بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح يهوي هويا بالضم سقط ووسطت
الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا وتعجيبا من شانهم
ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع
الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون
كزكريا ويحيى عليهما السلام وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا
لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم الآن بعد فيه فانكم
حولتم قتل محمد عليه السلام لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا
غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من
الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم
لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله
بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن خذلهم الله
بكفرهم فابطل استعدادها او انها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيها بل لان الله تعالى
خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى
العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة
للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم
كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال
من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا

بنبي آخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم
وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه
فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على
الكافرين اى عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد
ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به
انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا
او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا
بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون
اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل اى حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير
وابو عمرو بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره
للرسالة فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل
لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم
بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة
باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اى بالتورية ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير
في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى
به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد
وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن
رد مقالتهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله
من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية
والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه
وقرأ نافع وحده انبئاء الله مهموزا في جميع القرآن ولقد جاءكم موسى بالبينات
يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم
العجل اى الها من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى
اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم
الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقهم
مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ
اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اى قلنا لهم
خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع الطاعة قالوا سمعنا قولك
وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته
لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان
لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا

مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري
قل بئسما يأمركم به ايمانكم اى بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه
وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير
للقدح في دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبائح
ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس ما امركم به ايمانكم بها
لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم
بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن
يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم
او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة
اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضه لا ابالي سقطت
على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه
وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى على التمني سيما اذا علم
انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار
كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة
لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى
وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني
ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لي كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي
عليه السلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض
يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم
ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم
ومفعولاه هم احرص الناس وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة
وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس على الحيوة
ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة
العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص
المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا
فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته يود احدهم على انه
اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين
بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية عن ودادتهم
ولو بمعنى ليت وكان اصله لو أعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما
احدهم بمزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه

واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت
النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم
قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمن ينزل عليه فقال جبرئيل فقال ذلك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان
بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال
ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه
مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال عمر رضي الله عنه
وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا
كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع
فوجد جبرئيل عم قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي
جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قرأ حمزة والكسائي
وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قرأه ابن كثير وجبرئل كجحمرش قرأه عاصم وجبريل كقنديل
قرأها الباقون واربع في الشواذ جبرال وجبرائل وجبرايل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف
ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقران واضماره غير مذكور
يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه قابل
الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى
كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او بتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه
وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى
من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته
اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب
واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت
غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين
من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه
وافراد الملكين بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد
والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى
الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل
كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكئل
وميكائل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون

من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه تجاوز عن حده
نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه
وما انزل عليك من آية فنتبعك لها اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو
للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو
على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق
منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم
لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ
جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم
كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية لان
كفرهم بالرسول المصدق كفر بها فيما تصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل
المؤيدين بالايات وقيل ما مع الرسول وهو القران وراء ظهورهم مثل لاعراضهم
عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه
كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين
على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب
وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها
وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا
بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية
عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على
نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس
او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلوا حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع
ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس
وفشا ذلك في عهد سليمان عم حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا
العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن
السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا
باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس
السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب
الى الشياطين مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة
وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي
والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية وما يريه صاحب
خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي
سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار

او بنوع اقوى منه او على ما تتلوا او هما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس
وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة
يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود
ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار
صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود
في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد
الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية
ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين
بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا
له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان
فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه
غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان
فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه
اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره
من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة
الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون
به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع
في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا
الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة
من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون
يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم
اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب
من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لا يعلم
ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر
لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم
فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف
المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب
خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة
لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه
جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا

الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا اي راقبنا وتأن بنا
فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن
او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا
بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا
من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ
الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه
قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا
الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به
بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول
وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود
يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه
ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق
والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل
عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته
من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق
والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده
ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت
لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه
والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل
ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب
ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها
اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر
ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبرائيل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها
اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننسي احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على
البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نأت بخير منها او مثلها اي بما هو خير
للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا
الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير
والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور
المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم
فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش

فان الناسخ في عصر قد يضر في غيره ولحتجو بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب
بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد
يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد
بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعنى والمعتزلة على حدوث القران فان التغير
والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات
القديم الم تعلم الخطاب للنبي عليه السلام والمراد هو وامته كقوله تعالى وما لكم وانما
افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قديرا وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم
والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا
عن المنصور ويكون بينهما عموم وخصوص من وجه ام تريدون ان تسألوا رسولكم
كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور
قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت
اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت
في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن
نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء
السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق
المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل
ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير
من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم ان يردوكم فان لو ينوب عن ان في المعنى دون اللفظ
من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم
يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق
او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات
والنعوت المذكورة في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح
ترك تثريبه حتى يأتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة
واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق
ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف
على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم
من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون
بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل
الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف

بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود
جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر في كان وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى
تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم
وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال
تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة
قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل
قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه
لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له
على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كان شرطية
وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده
ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران
على رسول الله عليه السلام واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم
يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب
كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة
وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين
بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر من اصله
والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين
الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب
وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من
خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت
المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام
الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل
اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها
الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترئوا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين
من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون
وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي
عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوز ابو ح ومنع مالك وفرق الشافعي
بين الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة
عذاب عظيم بكفرهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها

لايختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم
الارض مسجدا فاينما تولوا اي ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله
اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم
مطلع بما يفعل به ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده
عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة
وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا على انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم
وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة
او تنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قال اليهود عزير
ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت
اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك
فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها
وفنائها لما كانت باقية مادام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات
اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده
والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح
كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة
لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده
وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم
وتنوين كل عوض من المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا مطيعون
مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة
اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات
الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في
قوله أمن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة
رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه
مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع
اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة
بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير
في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا
كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضيهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة
الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة
اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به
ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة

خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك
وقرأ ابن عامر فيكون بنصب النون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع
المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب
هو الرب الاصغر والله سبحانه الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى
الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة
الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب
لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تأتينا
آية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان ما اتاهم به ايات استهانة
به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا
الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم
قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات
لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد
وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او طلبا لمزيد يقين وانما قالوه
عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان
اصروا وكابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع
ويعقوب ولا تسأل على انه نهي للرسول عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار
كانها لفظاعتها لا تقدر ان تخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه
عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى تتبع ملتهم
فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما
للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله هو الذي هو الهدى الى الحق لا ما يدعون اليه
ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم الزايغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه
من امللت الكتاب اذا امليته والهواء ان يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي
او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه
وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق
تلاوته بمراعات اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال
مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون
به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم
الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم

والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم
به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف
بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب
ظن ترادفهما والضمير في ربه لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط
احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة
المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الايتين وقوله
قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه
كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد
والنار والهجرة على انه تعالى عامله معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الايات التي بعدها
وقرئ ابراهيمُ ربَّه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا
ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام **فاتمهن** فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله
وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه **قال اني جاعلك**
للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصبا اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن
فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت
ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل
من الجعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث
بعده نبي الا من كان من ذريته مأمورا باتباعه **قال ومن ذريتي** عطف على الكاف اي وبعض
ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت
راؤها الثانية ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها
من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة **قال لا ينال عهدي الظالمين**
اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها
امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل
على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون
والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته **واذ جعلنا البيت** اي الكعبة غلب عليها كالنجم
على الثريا **مثابة للناس** مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم او موضع
ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد **وامنا** موضع امن
لا يتعرض لاهله كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب
الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي ح رض
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف على مقدر عاملا لاذ او اعتراض
معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد عليه السلام وهو امر استحباب

ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه او الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس
الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا
مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت
وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد
الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي
في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى
ان يدعى فيها ويتقرب الى الله وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا
اي واتخذ الناس المقام الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها **وعهدنا الى ابراهيم**
واسمعيل امرناهما **ان طهرا بيتي** بان طهرا ويجوز ان يكون مفسرة لتضمن العهد معنى
القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه **للطائفين** حوله
والعاكفين اي مقيمين عنده والمعتكفين فيه **والركع السجود** اي المصلين جمع راكع
وساجد **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا** يريد البلد او المكان **بلدا آمنا** ذا امن كقوله
في عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم **وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم**
بالله واليوم الاخر ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص **قال ومن كفر** عطف على من آمن
والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة
دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط
فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بان جعله مقصورا
بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه **ثم اضطره الى عذاب النار**
اي الجئه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف
وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع
وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام
الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس **وبئس**
المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت**
حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات
ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها
عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف
قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه
ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم شانه **واسمعيل** كان يناوله الحجارة
ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب
ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقرئ به والجملة حال منهما **انك انت السميع** لدعائنا
العليم بنياتنا **ربنا واجعلنا مسلمين لك** مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين

من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه
وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة
مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم
اذا اصلحوا اصلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية
لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك
قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون من
للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف
كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك
لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة
وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا
على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري
عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما
قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث
فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عليه السلام فهو المجاب به
دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرأ
عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة
ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز
الذي يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار
لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه
الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم
لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه
نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه وقول جرير * ونأخذ بعده
بذناب عيش * اجب الظهر ليس له سنام * او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى
في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في
الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد
في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع
لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض اذ قال له ربه اسلم
قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه او تعليل له او منصوب باضمار اذكر
كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه
نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله الدالة
المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه

سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية
هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله
وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله
اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب
عطف على ابراهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم
يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه نظيره
رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل
واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنى عشر روبيل
وشمعون ولاوي ويهوذا وشيمون وزبولون وذونا وتغثوني وكوذا واوسيرا
وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان
لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود
هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل
الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه
وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد وروي ان اليهود قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات
فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية
عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين
والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من
اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام
واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص
العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب
قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته
ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام
عم الرجل صنو ابيه كما قال عليه السلام في العباس رضي الله عنه هذا بقية آبائي
وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا
بالابينا او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله
بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير
المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون
حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت
يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق

ثابتها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب
انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا يأتيني الناس
باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم
كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب
واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابراهيم اي بل يكون ملة ابراهيم اي اهل ملته
او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته
حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض لاهل الكتاب وغيرهم انهم يدعون اتباعه وهم
مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل
الينا القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا وسبب للايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط والصحف وهي وان نزلت الى ابراهيم لكنهم
لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن
منزل الينا الاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب وابناءه وذراريهم
فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر
بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي
النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق
بين احد منهم كاليهود والنصارى فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق
النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له مسلمون مذعنون مخلصون فان آمنوا
بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فأتوا بسورة
من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون
التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد
لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى فان آمنوا
بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم
في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة
والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية
وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وخالفهم وهو السميع العليم
اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد
للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا
الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة

حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه
صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب
او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون
تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء
وقيل على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته
ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي
دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا
معطوفا على الزموا واتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا بدل من اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم
وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شأنه واصطفائه نبيا من العرب
دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت
وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده
ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه
افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة
حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما
يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان
والطاعة دونكم ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة
او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم
بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل
الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى
لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه
تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله
وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم
في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا
تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود
والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد
والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة
تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها

يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت
عرفاً للمكان المتوجه نحوه للصلوة **قل لله المشرق والمغرب** لا يختص به مكان دون مكان
لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان **يهدي**
من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه
الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى **وكذلك** اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اى
كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبلة **جعلناكم**
امة وسطا اى خياراً او عدولاً مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي
تستوي فيه المسافة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط
وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف
بها مستوياً فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها
واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً علة للجعل اى لتعلموا بالتأمل
فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح
السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات
والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم
روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم
اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم
فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد
عليه السلام فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم
لكن لما كان الرسول عليه السلام كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة
على اختصاصهم بكون الرسول عليه السلام شهيداً عليهم **وما جعلنا القبلة التي**
كنت عليها اى الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة
ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفاً لليهود والصخرة لقول ابن عباس رض كانت
قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه والمخبر به على الاول الجعل
الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا
قبلتك بيت المقدس **الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** الا لنمتحن
الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفاً لقبلة آبائه او لنعلم
الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك
الى التي كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف
ايمانه فان قيل كيف يكون علمه غاية الجعل وهو لم يزل عالماً قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق
الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجوداً وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون

لكنه

لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لتميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث
من الطيب فوضع العلم موضع التميز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليُعلم على البناء للمفعول
والعلم اما بمعنى المعرفة والمعلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب
عقبيه اى لنعلم من يتبع الرسول متميزاً ممن ينقلب **وان كانت لكبيرة** ان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه
قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او القبلة
وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة **الا على الذين هدى الله** الى حكمة الاحكام الثابتين
على الايمان والاتباع **وما كان الله ليضيع ايمانكم** اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم
بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما توجه الى القبلة
قالوا كيف من مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت **ان الله بالناس**
لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلوحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ
محافظة على الفواصل **قد نرى** ربما نرى **تقلب وجهك في السماء** تردد وجهك
في جهة السماء تطلعاً للوحي وكان رسول الله عليه السلام يقع في روعه ويتوقع من ربه
ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان
ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل **فلنولينك قبلة**
فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته والياً له او فلنجعلنك
تلي جهتها **ترضيها** تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته
فول وجهك اصرف وجهك **شطر المسجد الحرام** وقيل الشطر في الاصل لما انفصل
عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور اى منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان
لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما
ذكر المسجد الحرام دون الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة
الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه السلام كان في المدينة
فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال
قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة
فاستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين **وحيث**
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيماً له وايجاباً لرغبته ثم عمم
تصريحاً بعموم الحكم وتأكيداً لامر القبلة وتحضيضاً للامة على المتابعة **وان الذين**
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة
بقبلة وتفصيلاً لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه **وما الله**
بغافل عما تعملون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالياء وعد ووعيد للفريقين
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة

للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك
لشبهة تزيلها بحجة وإنما خالفوك مكابرة وعنادا وما أنت بتابع قبلتهم قطع لأطماعهم
فإنهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له
وطمعا في رجوعه وقبلتهم وإن تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم
بتابع قبلة بعض فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت أهواءهم من
بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك
الحق وجاءك فيه الوحي إنك إذا لمن الظالمين وأكد تهديده وبالغ فيه من سبعة أوجه
تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا
لصدور الذنب عن الأنبياء الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله
عليه السلام وإن لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم أو القرآن أو التحويل كما
يعرفون أبناءهم يشهد للأول أي يعرفونه بأوصافه كمعرفتهم أبناءهم لا يلتبسون عليهم
بغيرهم عن عمر أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله عليه السلام فقال أنا أعلم به مني
بابني قال ولم قال لأني لست أشك في محمد عليه السلام أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت
وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن
الحق من ربك كلام مستأنف والحق إما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والإشارة
إلى ما عليه الرسول أو الحق الذي يكتمونه أو للجنس والمعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي
أنت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه أهل الكتاب وإما خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق ومن ربك
حال أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على أنه بدل من الأول أو مفعول يعلمون فلا تكونن
من الممترين الشاكين في أنه من ربك أو في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول
عن الشك فيه لأنه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل إما تحقيق الأمر وأنه بحيث
لا يشك فيه ناظر أو أمر الأمة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الأبلغ
ولكل وجهة ولكل أمة قبلة أو لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين
بدل الإضافة هو موليها أحد المفعولين محذوف أي هو موليها وجهه أو الله تعالى
موليها إياه وقرئ ولكل وجهة بالإضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها أهلها
واللام مزيدة للتأكيد وجبر لضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها أي هو مولى تلك
الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من أمر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين
أو الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا في أي موضع
تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الأجزاء ومفترقها يحشركم الله إلى المحشر للجزاء أو أينما تكونوا
من أعماق الأرض وقلل الجبال يقبض أرواحكم أو أينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم
الله جميعا ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة إن الله على كل شيء قدير فيقدر على الإماتة

والإحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن أي مكان خرجت للسفر فول وجهك
شطر المسجد الحرام إذا صليت وإنه وإن هذا الأمر للحق من ربك وما الله بغافل
عما تعملون وقرأ ابن عامر بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فإنه تعالى ذكر للتحويل
ثلاث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الإلهية على أن يولي كل أهل
ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه
وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع أن القبلة
لها شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري أن يؤكد أمرها ويعاد ذكرها
مرة بعد أخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى أن التولية
عن الصخرة إلى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وأن محمدا
يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بأنه يدعي ملة إبراهيم عليه السلام ويخالف قبلته
إلا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس أي لئلا يكون لأحد من الناس حجة إلا المعاندين
منهم فإنهم يقولون ما تحول إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحبا لبلده أو بدا له فرجع إلى قبلة
آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داحضة لأنهم يسوقونه
مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كقوله
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بأن الظالم لا حجة له
وقرئ ألا الذين ظلموا على أنه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فإن مطاعنهم
لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما أمرتكم ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون
علة محذوف أي وأمرتكم لإتمام النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم أو عطف على علة مقدرة
مثل واخشوني لأحفظكم عنهم ولأتم نعمتي عليكم أو على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة
دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام كما أرسلنا فيكم رسولا
منكم متصل بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة مثل كما أتممتها
بإرسال رسول منكم أو بما بعده أي كما ذكرتكم بالإرسال فاذكروني يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم
يحملكم على ما تصيرون به أزكياء قدمه باعتبار القصد وأخره في دعوة إبراهيم عليه السلام باعتبار الفعل
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر إذ لا طريق
إلى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على أنه جنس آخر فاذكروني أذكركم بالثواب
واشكروا لي ما أنعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الأمر يا أيها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي أم العبادات ومعراج
المؤمنين ومناجاة رب العالمين إن الله مع الصابرين بالنصر وإجابة الدعوة
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات أي هم أموات بل أحياء بل هم أحياء
ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به

من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رضه ان الشهداء
احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض
النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء البدر
وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به
من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات
والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة
ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون
للقضاء بشيء من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقيهم عنه
ليخفف ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معاندهم في الاخرة
وانما اخبرهم قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات
عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص
من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن
النبي عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله
ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه
بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
الخطاب للرسول او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه
لقوله عليه السلام كل شيء يوذي المومن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع
باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى
ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف
دل عليه قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله
التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان
وعن النبي عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه
وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا
وسلموا القضاء الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه
جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه
ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونايلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا
مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك
فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه
سنة وبه قال ابن عباس وانس لقوله تعالى فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف
لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة رح

انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله
كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اى فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض
عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه
صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه
معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف
فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود
ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد عليه السلام والهدى وما يهدي
الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اى الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين
الا الذين تابوا اى الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك
وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر
عن انفسهم ويقتدى بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب
الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار ومن
لم يتب من الكاتمين حتى مات فاولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا
لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى
كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة خالدين فيها
اى في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة
اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا
او لا ينظر اليهم نظر الرحمة والهكم اله واحد خطاب عام اى المستحق منكم للعبادة واحد
لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم
ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان
مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة
غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا
ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض
انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاضلة بالذات مختلفة بالحقيقة
بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما لقوله جعل الليل والنهار خلفة
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اى بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به
الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع
على عجايبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث
الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل والجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد

عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنباتات
وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيى فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرا حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث يصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل على الاخر بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العباد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مرضاته ومحبة الله للعباد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى

وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرا ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي عليه السلام ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي تبرا المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرا الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرا وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرا او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرؤا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والبزي وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهو ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرايهم وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية

واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم
كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع
ما الفينا عليه آباءنا وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر
ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا
واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام ولو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب
لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم
وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين
اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد
بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا
كمثل بهائم الذي ينعق عليها والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون
اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما تقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق
عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم
في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم
ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعيقه وهو التصويت على البهائم
وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله تعالى الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع
الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون
اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر
على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان
يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحله لكم
ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر فان المعلق بفعل العبادة
هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي عليه السلام يقول الله تعالى
اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم
عليكم الميتة اي اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث
الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها واستثنى الشرع
عنها والحرمة المضافة الى العين يفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه
الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم
ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت
عند ذبحه للصنم والاهلال رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن

لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رأى سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت
وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق
او الجوع وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي
بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله
غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام
لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته
على حال الاختيار كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا
اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها
عقوبة عليه فكأنهم اكلوا النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى
طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم
ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا
ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم
في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق
للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات
النار من غير مبالاة فما تامة بمعنى شيء مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم
شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف
ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق
فرفضوه بالتكذيب والكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه للجنس
واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية
واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه
اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر
واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض
في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم
وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيناه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم
وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشأنه
عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن بالله تعالى
او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب

الجنس والقران وآتى المال على حبه اى على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة
افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر
والجار والمجرور فى موضع الحال ذوى القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد
لعدم الالتباس وقدم ذوى القربى لان ايتاهم اثنتان صدقة وصلة كما قال عليه السلام
صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين
جمع مسكين وهو الذى اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر
وابن السبيل المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف
لان السبيل يرعف به

والسائلين الذين الجاهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه

وفى الرقاب وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى
او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون
المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها
والثانى اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا
كانت فى المال سوى الزكوة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا
عطف على من آمن والصابرين فى البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف
لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء فى الاموال كالفقر والضراء فى الانفس
كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا فى الدين واتباع
الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والاية كما ترى جامعة
لكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا وانها بكثرتها وتشعبها
منحصرة فى ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير
الى الاول بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها
ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته
للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان
يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى
بالانثى كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر
فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول
الله عليه السلام فنزلت وامرهم ان يتباوءوا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر
بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم انما يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص
الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعى قتل الحر بالعبد سواء كان عبده
او عبد غيره لما روى على رضه ان رجلا قتل عبده فجلده النبى عليه السلام ونفاه سنة ولم يقده
وروى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضه
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير والقياس على الاطراف ومن سلم
دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما فى التورية فلا ينسخ ما فى القران

والحجة للحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب
على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس
نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص على النصب وكذلك كل فعل
جاء فى القران فمن عفى له من اخيه شئ اى شئ من العفو لان عفا لازم وفائدته
الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص وقيل عفى بمعنى ترك
وشئ مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفى الشئ بمعنى تركه بل اعفاه وعفى يتعدى
بعن الى الجانى والى الذنب قال الله تعالى عفى الله عنك وقال عفى الله عنها فاذا عدى به
الى الذنب عدى الى الجانى باللام وعليه ما فى الاية كانه قيل فمن عفى له عن جنايته
من جهة اخيه يعنى ولى الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام
ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اى فليكن اتباع او فالامر
اتباع والمراد وصية العافى بان يطالب الدية بالمعروف ولا يعنف والمعفو عنه
بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد
والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعى فى المسئلة قولان ذلك اى الحكم
المذكور فى العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل
كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما
وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو
واخذ الدية فله عذاب اليم فى الاخرة وقيل فى الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام
لا اعافى احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم فى القصاص حيوة كلام فى غاية الفصاحة
والبلاغة من حيث جعل الشئ محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان هذا
الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة
نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص
من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وتقديره ولكم
فى شرعية القصاص حيوة وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل
اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الاخرة ولكم فى القصاص حيوة يحتمل ان يكونا خبرين
لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ فى القصص
اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او فى القران حيوة للقلوب يا اولى الالباب
ذوى العقول الكاملة ناداهم للتأمل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ
النفوس لعلكم تتقون فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص
فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اى حضر اسبابه وظهر اماراته
ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة
درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضه

ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة آلاف فقالت كم عيالك قال اربعة
قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين
والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء
ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه
عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام
فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية
لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم
الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر
ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين
بقوله يوصيكم الله في اولادكم او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم
بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد
اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق
عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه
لانهم الذين خانوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف
من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء جنفا ميلا عن الحق بالخطاء
في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم
عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد
للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم
وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك
عما تنازع النفس اليه وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس
لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها كما قال عليه السلام فعليه
بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال بادائه لاصالته وقدمه اياما معدودات
موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا
ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه
والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام
من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه
صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد
او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك
لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر

وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام
المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها
وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه
ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام
ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق
ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم
لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع المسكين
وقرأ هشام مساكين بغير الاضافة لفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد
مسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة
ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه
على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطوقونه ويتطوقونه وعلى هذه القراءة
يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز
في الافطار والفدية فيكون ثابتا غير منسوخ وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه
جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته
المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء ان كنتم
تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله
اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك
شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان
وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل
من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما
ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية
والتانيث وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس
وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه
او لوقوعه ايام رمض الحر حين ما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل
فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا
ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شأنه القرآن وهو كتب عليكم الصيام وعن النبي عليه السلام
نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل
لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن
شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب
اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان

من القران اى انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق
بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر فى
الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل ولكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم
ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثانى على الاتساع وقيل فمن شهد منكم
هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى صلوتها فيكون ومن كان
منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر
ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر ولذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق
اى وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر
فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا العدة علة
الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون
علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم
او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اى ويريد بكم لتكملوا كقوله تع
يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى
وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اى الذى
هديكم اليه وعن عاصم برواية ابى بكر ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادى عنى فانى
قريب اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه
على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله عليه السلام اقريب ربنا
فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعى
بالاجابة فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم
وليؤمنوا بى امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد
وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة
العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير
باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه
ثم بين احكام الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين
كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان
عمر رضه باشر بعد العشاء فندم واتى النبى عليه السلام واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا
بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى يصبح منها صائما والرفث
كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى
لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث

هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر
عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة
يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت فكانت عليه لباسا او لان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله
انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب
والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز
نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع وابتغوا ما كتب
الله لكم واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته فى اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغى ان يكون
غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهى عن العزل
وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين
لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق
وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله
من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز
ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال
الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح
فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا
باشتهارهما فى ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى تجويز المباشرة الى الصبح
الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى
الليل بيان آخر وقته واخراج الليل فينفى صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم
عاكفون فى المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث فى المسجد بقصد القربة
والمراد بالمباشرة الوطئ وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها
ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون فى المسجد ولا يختص بمسجد
دون مسجد وان الوطئ يحرم فيه ويفسده لان النهى فى العبادات يوجب الفساد
تلك حدود الله اى الاحكام التى ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين
الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى
وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها
ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله
آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهى ولا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل اى ولا ياكل بعضكم مال البعض على الوجه الذى لم يبحه الله وبين نصب على الظرف
او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهى او نصب باضمار ان والادلاء

الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال
الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم
وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان
الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة من ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله
عليه السلام بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله عليه السلام ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي
دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون
الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء
من حق اخيه فانما اقضي له بقطعة من النار يسألونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل
وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص
حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر
وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون
بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة كالحج يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج
فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه
وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها
والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تأتوا البيوت
من ظهورها ولكن البر من اتقى كان الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا
من بابه فانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم
انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا
عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد
او انهم لما سألوا عما لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنونه ويختص
بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك
ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك
باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من
اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر فباشروا
الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون
لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه
الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم
والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم دون غيرهم من المشايخ
والصبيان والرهبانية والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده
ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله عليه السلام عام الحديبية وصالحوه

على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون
ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا
بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم
عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث
وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا وهو
يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف
فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم
يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج
من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم
وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا
بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم
فان قتلوكم والمعنى حتى تقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين
مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور
رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا
له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى
جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم
للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم
لعمرة القضاء فيه فكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه
بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ
عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما
لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله
ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه
المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم
ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا
الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي
الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد

ولا القاء طرح الشيء وعدّي بالى لتضمين معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي
الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهو مصدر كالتضرة والتسرة
اي ولا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او ولا تلقوا
بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا
على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي
المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج
والعمرة وما روي جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن
ان تعتمر خير لك فمعارض بما روي ان رجلا قال لعمر رض وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي
اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين
بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال
على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما
من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما ولا تشوبهما بغرض دنيوي
او ان يكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه
ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله تعالى
فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنه لا حصر الا حصر العدو
وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رح لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج
فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة
بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم
ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد
ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه
عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رح يبعث به ويجعل
للمبعوث بيده يوم امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم
حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه
الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا
كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة رح يجب القضاء
والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي
جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه
كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية
واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك
قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين
او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال سعة وامن

فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه
بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام
الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران
ان يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة رح انه دم نسك فهو كالضحية فمن لم يجد
اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل
وقال ابو حنيفة رح في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه
ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم
وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة
وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها
ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة
كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد
دون الكثرة فانها يطلق لها كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد
او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد
كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة
ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله
حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان كان على اقل فانه
مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي
عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا
ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته
كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة
بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف
على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك
مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال
فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا
للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا
وبالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم
بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود
الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج
في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا يكون وما كانت
منها مستقبحة في نفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه
خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع

على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف
في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف
بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** حث على الخير عقيب
النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** وتزودوا
لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون
نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال
والتثقيل على الناس **واتقون يا اولي الالباب** فان قضية اللب خشية الله وتقواه
حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شئ سوى الله
وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب
ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا **فضلا من ربكم** عطاء ورزقا منه
يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها
مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت **فاذا افضتم
من عرفات** دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم
فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر
وفيها العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك
يجمع مع اللام وذهاب الكسرة يتبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس
كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التانيث وانما هي
مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها
لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت
وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به
في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس
يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف
وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها
بقوله تعالى ثم افيضوا او مقدمة الذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب
بل مستحب وعلى تقدير انه واجب فهو واجب مقيد لا واجب مطلق حتى يجب مقدمته
والامر به غير مطلق **فاذكروا الله** بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين
عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي
محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب
ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا
لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه
فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر **واذكروه كما هديكم** كما علمكم

او اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية
او كافة **وان كنتم من قبله** اي الهدى **لمن الضالين** الجاهلين بالايمان والطاعة وان
هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك
لمن الكاذبين **ثم افيضوا من حيث افاض الناس** اي من عرفة لا من مزدلفة والخطاب مع قريش
كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم
وثم لتفاوت بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل
من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي
يريد آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه **واستغفروا
الله** من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه **ان الله غفور رحيم** يغفر ذنب المستغفر
وينعم عليه **فاذا قضيتم مناسككم** فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم عنها
فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخر
وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر
آبائهم ومحاسن ايامهم **او اشد ذكرا** اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على
المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه
على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آبائكم
وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى
تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم **ومن الناس من يقول** تفصيل للذاكرين الى مقل
لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار
والارشاد اليه **ربنا آتنا في الدنيا** اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا **وما له في الآخرة
من خلاق** اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق **ومنهم من
يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة** يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير **وفي الآخرة
حسنة** يعني الثواب والرحمة **وقنا عذاب النار** اي بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه
الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء
وقول الحسن رضه الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب
النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها **اولئك**
اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما **لهم نصيب مما كسبوا** اي من جنسه وهو جزاؤه
او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعاء
كسبا لانه من الاعمال **والله سريع الحساب** يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم
في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب
الحسنات **واذكروا الله في ايام معدودات** كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين
ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق **فمن تعجل في يومين** فمن استعجل النفر في يومين يوم القر

والنحر بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم
عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه فمن تأخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث
بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل والتأخر
التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى
اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى
لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون
للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك
ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا
متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مرادة من
ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة
ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام
ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو
الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون
جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق
الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين
كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد
فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك
مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر
فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه
واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي
يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته
جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب
ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش
وقيل ما يوطى للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد او يأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه قيل انها نزلت
في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم
ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه
واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد
فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم
بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير
ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال

من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال • السلم تأخذ منها ما رضيت به • والحرب يكفيك
من انفاسها جرع • والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين
او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم
بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان
بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها
فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم
البينات الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام
حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام بمعنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان
يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله
ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل
وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب
فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب
كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان
امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على الظلل او الغمام وقضي الامر
اتم امر هلاكهم وفرغ منه ووضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ
وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو
وعاصم على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه
من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول عليه السلام
او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية
في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها
النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل
ومن يبدل نعمة الله اي آيات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم يجعلها سبب الضلالة
وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه
وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره
فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد العقوبة لانه ارتكب
اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في
قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى
اذ ما من شيء الا هو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة
الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون
من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم

على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية مبتدأة منهم
والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم
في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما
قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى
والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا
مرة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس
او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين اى اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله
فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذى علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا
والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل
معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم
لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب
اى ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اى الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا
فيه في الحق الذى اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب
الا الذين اوتوه اى الكتاب المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل الله
مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا
بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اى للحق
الذى اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره وبارادته ولطفه
والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجئ الآيات تشجيعا
لهم على الثبات مع مخالفتهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما ياتكم ولم ياتكم
واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا
من قبلكم حالهم التى هى مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستيناف
وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين
آمنوا معه لتناهى الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ
نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض فلان حتى لا يرجونه
متى نصر الله استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة
القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان
الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدايد
والرياضيات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصارى كان هما ذا مال عظيم

فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير
فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق
فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو
وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله وما انفقتم من خير
وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم
كنهه ويوفى ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو
كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز
وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم
اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط
صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه
فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت
ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل
على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر
الحرام روى انه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة
قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلثة معه فقتلوه
واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه
من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهرا يامن فيه
الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى
تنزل توبتنا ورد رسول الله عليه السلام العير والاسارى وعن ابن عباس رضه لما نزلت
اخذ رسول الله عليه السلام الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم
المشركون كتبوا اليه ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال
عن الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اى ذنب كبير والاكثر
على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص
بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا وان قتالا
فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله اى الاسلام وما
يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اى بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف
اى وصد المسجد الحرام كقول ابى داود اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا
ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم
العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور
انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي عليه السلام والمؤمنون

اكبر عند الله مما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة
المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل
الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار
لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل
الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه
ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو
مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا
لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا
في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا في سبيل الله
كرر الموصول لتعظيم الهجرة وجاهدوا والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك
يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة
سيما والعبرة بالخواتم والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب
والاجر يسألونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا افتنا
يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها آخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم يصلي فقرا اعبد
ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان
بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه
هجاء الانصار فضربه انصاري بلحيي بعير فشجه فشكا الى رسول الله فقال عمر اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال
عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر
اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا
كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو ح نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه
ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ
مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما
اثم كبير حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور به وارتكاب المحظور ومنافع للناس
من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان
وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشا منهما اعظم

من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة
اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة ويسألونك
ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال
عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة العفو
وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال ٭ خذي العفو مني تستديمي مودتي
وروي ان رجلا اتى النبي عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم
فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها
حذفا لو اصابته لشجته ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف انما الصدقة
عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او
ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل
هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم
تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والاخرة في امور الدارين فتاخذون بالاصلح
والانفع منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك
عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام
بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله عليه السلام فنزلت قل اصلاح لهم خير
اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم
حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة
المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح
اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم
اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله
عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة ويتسع له الطاقة ولا
تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين
والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون لكن خصت عنها
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثدا الغنوي
الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت
الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن
استامر رسول الله عليه السلام فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي
ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله واماؤه ولو اعجبتكم
بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك

ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة
الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الكفر المؤدى الى النار
فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعوا اى اولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم الى الجنة والمغفرة اى الاعتقاد والعمل
الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه
وارادته ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث
يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسئلونك عن المحيض
روى ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس
واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك والمحيض مصدر كالمجئ
والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسئلونك بغير واو ثلثا ثم بها ثلثا لان السؤالات
الاول كانت في اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة كانت في وقت واحد ولذلك ذكرها
بحرف العطف قل هو اذى اى الحيض شئ مستقذر يؤذى من يقربه نفرة منه فاعتزلوا
النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود
وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى
ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم
وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي
وعاصم في رواية ابن عباس يطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله تعالى
فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة
ان طهرن لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذي امركم به
وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن
الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع
حرث لكم شبهن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم
اى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم
من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها
كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله عليه السلام فنزلت وقدموا لانفسكم
ما تدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطئ واتقوا الله
بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر
المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول عليه السلام ان ينصحهم
ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة

او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته
والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشئ وللمعرض للامر
ومعنى الاية على الاول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد
بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت
غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام
صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل
او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه
معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين
وان تبروا علة النهي اى انهيكم عنه ارادة بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف
مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين
والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي
لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا
بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت
قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما
او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطئت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة رح
اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان
ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل
بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا
يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن
تربص اربعة اشهر مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف ما سبق والتربص الانتظار
والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيئ
ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا
رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء
من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده
فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة رح الايلاء في اربعة اشهر
فما دونها وحكمه ان المولى ان فاء في المدة بالوطئ ان قدر والوعد ان عجز صح الفيئ ولزم
الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى
عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما
دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة
للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل
الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيده فضل تاكيد

بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن
بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اى يتربصن
مضيها او قروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعى الصلوة ايام اقرائك
وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله
الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قالت الحنفية
لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض واما قوله
عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان فى قصة ابن عمر
مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ان شاء امسك بعد وان شاء طلق
قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر
بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين
مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها
ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن من الولد والحيض استعجالا فى العدة وابطالا
لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول فى ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر
ليس المراد منه تقييد نفى الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى الايمان وان المؤمن لا يجترئ
عليه ولا ينبغى له ان يفعل وبعولتهن اى ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة
اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التى تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا
امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة
والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اى اهل
بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل فى ذلك اى فى زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة
لا اضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد
الضرار ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف اى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم
عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا فى الجنس وللرجال عليهن درجة
زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك
الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن فى غرض
الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف
الاحكام حكيم شرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اى التطليق الرجعى اثنتان لما روى
انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق
الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين التطليقتين والثلث
بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق
عقيب تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا اى من الصدقات

روى ان جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت
رسول الله عليه السلام فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شئ والله ما اعيب
عليه فى دين ولا خلق ولكن اكره الكفر فى الاسلام وما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء
فرايته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت
واختلعت منه بحديقة اصدقها اياها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم
الامرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش
النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اى الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف
بالظن ان لا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب
يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما
بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما
افتدت به على الرجل فى اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائه
تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود
الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهى بالوعيد مبالغة فى التهديد واعلم ان ظاهر
الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها
فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقا
فى غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روى انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه
حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه
ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه
افتداء واختلف فى انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج
بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضى ان يكون طلقة رابعة
لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض
وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض
بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها
بعد الثنتين فلا تحل له من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره
والنكاح يستند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب
واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله عليه السلام
ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وانما معه مثل هدبة الثوب
فقال رسول الله اتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق
عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد
مستفادا من لفظ الزوج والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود
الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو ح

مع الكراهة وقد لعن رسول الله المحلل والمحلل له فان طلقها اى الزوج الثانى فلا جناح
عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج ان ظنا ان يقيما
حدود الله ان كان فى ظنهما انهما يقيمان حدود الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن
بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم
زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافى العلم وتلك حدود الله اى الاحكام المذكورة
يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اى آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذى به ينتهى
قال كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال
للدنو منه على الاتساع وهو المراد فى الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف
او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن
حتى ينقضى عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم فى بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا
ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى يشارف الاجل ثم يراجعها
ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال
بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار
اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات
الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما انت
هازئ كانه نهى عن الهزؤ واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق
ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق
والنكاح والعتق واذكروا نعمة الله عليكم التى من جملتها الهداية وبعث محمد عليه السلام
بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما
بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شئ عليم
تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى انقضت عدتهن وعن الشافعى
دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الخطاب به
للاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها
الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل
الولى معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج
الذين يعضلون نساءهم بعد مضى العدة ولا يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب
قوله واذا طلقتم وقيل للاولياء والازواج وقيل للناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم
هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اى الخطاب والنساء
وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروءة حال

من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل
عن التزوج من غير كفو غير منهى عنه ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل
او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين
او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبى اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه
امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به
والمنتفع به ذلكم اى العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم
ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن
امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبى الا من
امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل
يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه
لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن
فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده
وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه
وعلى المولود له اى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة
للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن
اجرة لهن واختلف فى استيجار الام فجوزه الشافعى ومنعه ابو حنيفة رح ما دامت زوجة
او معتدة من نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها
تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه
وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب له
اى لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
لا تضار بالرفع بدلا من قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء
للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته
اى لا يضر الوالدان بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرئ لا يضار بالسكون
مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة
والى الاب اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق عليه
ولا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى
اى مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه السلام
واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد
وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابى حنيفة
وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا

فصالا عن تراض منهما وتشاور اى فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين
والتشاور والمشاورة والشورة والمشورة استخراج الراى من شرت العسل اذا استخرجته
فلا جناح عليهما فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم
احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع
اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته
اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على
ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم
ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله
وقرئ اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف
المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز
الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة فى المحافظة
على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج
الذين والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم
وقرئ يتوفون بفتح اليا اى يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها
غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم
يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضى
لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى
فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف حركته فى المبادى
فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعى
والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة
والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على
وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن
فلا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب
وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن
ما ينكر فعليهم ان يكفوهن وان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هى الدلالة
على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة
بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد
بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضى ان اتزوج

ونحو ذلك او اكننتم فى انفسكم او اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا
علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبروا على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه
نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن
اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا وجماعا عبر بالسر عن الوطئ لانه يسر ثم عن
العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن فى السر على ان المعنى بالمواعدة بالسر
المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان يعرضوا ولا يصرحوا والمستثنى
منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول
معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها
ان كانت معتدة وفات واختلف فى معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا
عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولا تعزموا عقد عقدة النكاح
وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله
حتى ينتهى ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من العزم على ما لا يجوز
فاحذروه ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور لمن عزم فلم يفعل خشية من الله حليم
لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة فى الطلاق
قبل المسيس وقيل كان النبى عليه السلام يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى
ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا
او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة
بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى
لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر
اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها
فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفى الوجوب فى الصورة الاولى ومفهومها يقتضى
الوجوب على الجملة فى الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن
والحكمة فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راى الحاكم ويؤيده
قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال
ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصارى طلق امراة المفوضة
قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هى درع وملحفة وخمار على حسب الحال
الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضى تخصيص
ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يمسها الزوج والحق بها الشافعى فى احد قوليه الممسوسة
المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى
يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين

الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم
محسنين للمشارفة وترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم
لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اى فلهن
او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفى تبعة المهر وان لا متعة
مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اى المطلقات فلا تأخذون شيئا والصيغة
تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانى
لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب عطف عليه
او يعفو الذى بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير
فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه
واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولى الذى يلى عقد نكاحهن وذلك اذا كانت
المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعى وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول
وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا
اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس
استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة
وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم
اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم
حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها فى تضاعيف
احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى
اى الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهى صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله تعالى بيوتهم نارا وفضلها لكثرة
اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها فى وسط النهار
وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها
وقيل صلوة الفجر لانها بين صلوتى النهار والليل والواقعة فى الحد المشترك بينهما
ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها متوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء
لانها بين جهريتين واقعتين فى طرفى الليل وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه السلام كان يقرأ
والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر
لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله فى الصلوة قانتين
ذاكرين فى القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به
القنوت فى الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او
راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة
حال المسايفة واليه ذهب الشافعى وقال ابو حنيفة لا يصلى حال المشى والمسايفة ما لم يمكن

الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه
على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتى الخوف والامن
او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر
وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا
وصية او كتب الله عليهم وصية او والزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة
كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير
ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب
عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون
ان اضمرت والا فبالوصية او بمتاع على قراءة من قرأ لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه
او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى
انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا
بالسكنى والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا
وهو وان كان متقدما فى التلاوة متأخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن
والسكنى بعد ثابتة عندنا خلافا لابى حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح
عليكم ايها الائمة فيما فعلن فى انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره
الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت
مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم
حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة
للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا
اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع
الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد
والتكرير للتأكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد
يبين الله لكم اياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا
ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها وتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير
لمن سمع قصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ومن لم يسمع فانه صار
مثلا فى التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم
طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله تعالى ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء
الله وقدره او قوما من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله
ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون
وقيل جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا

اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله
ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم
قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك
فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا بامر الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المؤمنين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم
على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا
ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه
كما ينبغي ويجوز ان يكون المراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله
لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء
اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف
والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية
مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل
الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا
حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف
جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام
حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه
بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد
بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني
لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع
والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضته حكمته فلا تبخلوا
عليه بما وسع عليكم كي لا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملأ
من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض
من بعد موسى اى من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او شمويل
ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره
ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اى ابعث لنا
مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف ملكا قال
هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى
اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو
المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا
من ديارنا وابنائنا اى اى غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه
من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا

يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم
وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال
تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين
وعيد لهم على ظلمهم وترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان
نبيهم عم لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه
ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له
يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين
ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي والملك في اولاد يهوذا
وكان فيهم من السبطين خلق كثير قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم
والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره
وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية
وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة
الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا
بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل
يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا
منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت
الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة
نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في
الهمس والزيادة يريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا
من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اى في اتيانه سكون لكم
وطمانينة او للتابوت اى مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام
اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه
فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليهما السلام
وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه
مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح
وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما
او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناؤهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة

وهم ينظرون اليه وقيل بعد ما كان مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار
عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين
فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك
لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عليه السلام وان يكون ابتداء خطاب
من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله
فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي
الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا
فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة
المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي وليس بمتحد معي ومن لم يطعمه
فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم
نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي عليه السلام الا من اغترف
غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم
الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير
فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بواسطة وتعميم
الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى
فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل منه كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل
ثلثة آلاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر
غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة
فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله
اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب
فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه
اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام والخبر ومن مزيدة او مبينة
والفئة فرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها
فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا
لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
التجأوا الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي
هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المرتب عليهما
غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل
داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم

وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت وطلبه من ابيه فجاء
وقد كلمته في الطريق ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته
ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتيه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا
قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين
ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم
فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشومهم تلك آيات الله اشارة
الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة
وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب
وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل
اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول عليه السلام او جماعة الرسل
واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم
من كلم الله تفضيل له وهو موسى عليه السلام وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم الله موسى
ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى
وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل
كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة او بمراتب
متباعدة وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات
المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة
للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المعين بهذا الوصف المستغني عن التعيين
وقيل ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس عليه السلام
لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم
البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في
تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة
لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم
من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين
وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء
ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن
الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل
على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع
لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خيرا كان او شرا
كفرا كان او ايمانا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم مما وجب عليكم انفاقه

من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون
على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به
من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن
له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذمتكم وانما رفعت
ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة
هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون
موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات
الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى
انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود
او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه
عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر
اذا حفظه لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع * وسنان
اقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم * والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء
اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس
وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود الخارجي والجملة نفي
للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا
في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات
وما في الارض تقرير للقيومية واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما
داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات
والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه
او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل
ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما
يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه
من ذا من الملئكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا
وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته
وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي
في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه مأخوذ من كرسي العالم والملك
وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام

ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش
على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج
وهو في الاصل ما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب الى الكرسي وهو
الملبد ولا يؤده ولا يثقله مأخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظه السموات
والارض فحذف الفاعل واضافة المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد
والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات
المسائل الالهية فانها دالة على ان الله تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة
واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن
التحيز والحلول مبراء عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح
مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع
عنده الا من اذن له العالم وحده بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها
واسع الملك والقدرة على كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه ولا يؤده شاق ولا يشغله
شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم آية
في القران اية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته
الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول
الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه
آمنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه
في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي
تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة والدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة
الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه
الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار
في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث
ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله
عليه السلام فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله
او صد من عبادة الله فعلوت من طغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد
وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة
الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لتمسك المحق من النظر الصحيح والرأي القويم لا
انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم
بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم
والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات

ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور مفرد
للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اى الشيطان والمضلون من الهوى
والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذى منحوه بالفطرة الى الكفر
وفساد الاستعداد والانهماك فى الشهوات او من نور البينات اليقينيات الى ظلمات
الشكوك والشبهات وقيل نزلت فى قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت
باعتبار التسبب لاياباه تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته لوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم الم تر الى الذى
حاج ابراهيم فى ربه تعجب من محاجة نمروذ وحماقته ان اتاه الله الملك لان اتاه الملك
اى ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك
عاديتنى لانى احسنت اليك او وقت ان اتاه الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك
الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت بخلق الحيوة والموت فى الاجساد
وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيى واميت بالعفو عن القتل والقتل قال ابراهيم
فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابرهيم عن الاعتراض على معارضته
الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو فى
الحقيقة عدول عن مثال خفى الى مثال جلى من مقدوراته التى يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن
حجة الى اخرى ولعل نمروذ زعم انه يقدر كل جنس يفعله الله تعالى فنقضه ابرهيم بذلك
وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته واعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه
اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعوا اليه وحاجه فيه فبهت الذى كفر فصار
مبهوتا وقرئ فبهت اى فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدى القوم الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل
النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذى مر على قرية تقديره او رايت مثل الذى
فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير
والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعى الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير
الكلام الم تر الى الذى حاج والذى مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر
كالذى حاج او كالذى مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره جوابا لمعارضته تقديره فان
كنت تحيى فاحى كاحياء الله تعالى الذى مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث
ويؤيده نظمه مع نمروذ والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التى خرج
منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع وهى خاوية على عروشها
خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها اعترافا
بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما بقدرة المحيى ان كان القائل مؤمنا
او استبعادا ان كان كافرا وانى فى موضع النصب على الظرفية بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف

فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه
بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله تعالى وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد
البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبى قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان
وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم
التفت فراى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء
اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء السكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن
من الحمأ المسنون فابدلت النون الثانية حرف علة كتقضى وانما افرد الضمير لان الطعام
والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل
على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته حفظناه
بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق
لما بعده ولنجعلك اية للناس اى وفعلنا ذلك لنجعلك اية روى انه اتى قومه على حمار
وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك
وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم
بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعنى عظام الحمار او الاموات
الذين تعجبت من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه
وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر
ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله
على كل شئ قدير قال اعلم ان الله على كل شئ قدير فحذف الاول لدلالة الثانى عليه او يفسره
ما قبله فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائى قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه
او هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى
انما سال ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمروذ انا احيى واميت قال له ان احياء الله برد الروح
الى بدنها فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سال ربه
ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء
باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعلم الناس فى الايمان ليجيب بما اجاب
فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اى بلى امنت ولكن سالت لازيد بصيرة
وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحى والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا
وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة
الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف التى هى صفة الطاوس والصولة المشهور
بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بها الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى

الموسوم بها الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير
مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتأملها
هيئاتها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما
لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه
على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء
من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل
جبل منهن جزءا ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة
وقيل كانت سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات
طيرانا او مشيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها
ويخلط سائر اجزائها فيوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير
الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء
نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض
حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك
شاهدا على فضل ابرهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد
ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ما اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز
عما يريد حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف انبتت
سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسناد الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند
الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب
منها شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة
والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله
على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تتفاوت الاعمال في مقادير الثواب
والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت
في عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى
النبي عليه السلام باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى
ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه
معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل
ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاحا او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل
بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة

لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي
بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها
بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال
المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الاخرة او مماثلين الذي
ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال
بمعنى مرائيا او المصدر بمعنى انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان
كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا
من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون
ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله • ان الذي حانت
بفلج دماؤهم • والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء
والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنهما ومثل الذين
ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم
على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل
ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم
وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة
بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن
منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها
وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف
ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد
في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال اي مضاعفا فان
لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها
لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله
لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل
لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم
بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم
الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار
له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما
وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار
ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة
في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى وكأنه قيل ايود احدكم
لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب

فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او يكون باعتبار المعنى والاعصار
ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل
الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء او ايذاء في الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيمة
واشتدت حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره
في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت
الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون
اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله
او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمرات
والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الرديء
منه اي من المال وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تامموا ولا تيمموا
بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث
والجملة حال منه ولستم بآخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان
تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا
على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره
فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته
الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر
بضم الفاء والسكون وبضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب
تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم
وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل
لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول
اخر للاهتمام بالمفعول الاخر ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب
بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين
وما يذكر وما يتعظ بما قص من الايات او ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في
قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم
والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية
في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او غير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه
فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون
الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه
ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي
عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء

اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ومن لم يعرف
بالمال وان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل
علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين
ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأ ابن عامر وعاصم في حفص اي والله يكفر او الاخفاء
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة
فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي
به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات
والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس
مهتدين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى
وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص
بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم
لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله
حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه
او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث
وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو
تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف للمنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل
لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود
وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما
الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء
متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين
احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض
ذهابا في الارض للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين
يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية
بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف من اجل
تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد
لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني
من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا للضرورة
لم يلحوا وقيل هو نفي الامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر
فانه كنوع من السؤال او الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا
على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات
والاحوال بالخير نزلت في بكر الصديق رضه تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل

وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضه لم يملك الا اربعة دراهم
فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله
والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون
والفاء للتسبيه وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف
على وعلانية الذين ياكلون الربوا اي الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع
المال ولان الربوا شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم
او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتبت
بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون
اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع
وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير
استواء كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط
عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب
اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم
ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل
الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما
الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة
كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما
ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها
يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته
النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ
وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه بالتحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف
ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد
على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية
وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اي الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته
ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت
منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه ما نقصت
زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل
المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين آمنوا

اتقوا

اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم
مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض
قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله
ورسوله اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب
للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي
ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان
تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون
بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما
قلنا اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة
وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن
نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته
على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم
السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
لقوله • واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • وان تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد
خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد
بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم
صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب
بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضه انها آخر آية نزلت بها جبرائيل
وقال عليه السلام ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله عليه السلام بعدها
احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين
آمنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسية معطيا
او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال
وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر
لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب
وعن ابن عباس رضه ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب
بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين
باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا
يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع
الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة

المعلّقة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي
عن الامتناع عنها مطلقا ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه
الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب
ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق
سفيها صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه
لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيّم ان كان
صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل على جريان النيابة
في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم والوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا
ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام
الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض
فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او فالمستشهد
رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي ح
ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى
علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى
والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته ونظيره قولهم
اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت
وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة إن تضل على الشرط فتذكرُ
بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا
لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا
تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل
كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت
صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت
حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم
للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس
او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده
وادنى ان لا ترتابوا واقرب من ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو
ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء
عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها
يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان
ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة حاضرة كقوله بني اسد
هل تعلمون بلاءنا • اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا • ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر

تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه
احوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب
ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد ويحتمل البنائين ويدل
عليه انه قرئ ولا يضارِر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف في
الكتبة والشهادة او عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما
ولا يعطى الكاتب حقه والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار وما
نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره
ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله
في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة
تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا
كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان
وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام
رهن درعه في المدينة من يهودي على عشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق
بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار
القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرُهُن كسُقُف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون
وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض
المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه
عليه بترك الارتهان به وقرئ الذيتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء
وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار
الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم
على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد
الاثم الى القلب لان الكتمان مقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة
فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ
اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبَه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم
تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم
القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته
ويعذب من يشاء تعذيبه فهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر
وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط
ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تاتنا
تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا • وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا يدغم

الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما
انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم
في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من
ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول
والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره
خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان
وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي كتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه
وبين الجمع انه شايع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب
لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل
لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه
في سياق النفي كقوله وما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق
بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك
او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الا ما يسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع
فيه طوقها ويتيسر عليها القول يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال
ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها
ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب
فيه اعتمال فلما كان الشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف
الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطاء
من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم
فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطاء فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى
العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان
به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان
ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبأ ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف
الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك
اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل
من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع
المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء
والعقوبة او من التكاليف التي لا يفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف
بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد هنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف
عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف

وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى
ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات
قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده
قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه
عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره
ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام
السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة
ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة سورة آل عمران مدنية
وماتان آية بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح
الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها لتدل على انها
في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم
واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك
في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء
بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث
سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل
او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا
لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما
من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ
الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى
للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل
الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب
الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق بين الحق والباطل وقرأ ابو عمرو وابن
ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون
فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما
واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به
بين المحق والمبطل والمعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب
شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله
منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير
التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه
ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا

ايمانا وكفرا وعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى
الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال
على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه
وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم
اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد
نجران لما حاجوا فيه رسول الله عليه السلام نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية
تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات
محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها
غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر
متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر
ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف
عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق
بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت
من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة
المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر
ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف
او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه
فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم
بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تأويله وطلب ان يؤولوه
على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب
والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تأويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله
والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه
بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية
او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استئناف
موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه
والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة
الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها
من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتزيينه وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها
جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم
لا اب له غير الله فتعين ان يكون جوابا بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب

ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا
من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع
المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع
الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا
بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر
باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها
عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤال
وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب
عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزاء يوم لا ريب فيه في وقوع اليوم
وما فيه من وقوع الحشر والجزاء فنبهوا به على ان معظم غرضهم من طلبتين ما يتعلق بالآخرة
فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به
وتعظيم الموعود كرر الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط
بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام
في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او من طاعته على معنى البدلية او من عذابه
اولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كداب آل فرعون متصل
بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف
مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء كدابهم في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل
اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استئناف
كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استئناف تفسير لحالهم او خبر ان ابتدأ
بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل المؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة
قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني
يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم
ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب
لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء
بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي
بالياء فيهما على الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم
واستئناف وتقديره وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب
لقريش او اليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله
واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريبا من الف
او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم

حتى اجترأوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله
للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم
ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم
ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل
التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد
اهل بدر ان في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي
السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول
لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات
اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا
شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه خالق الافعال والدواعي ولعله
زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه
من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي
بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل
مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة
مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة
او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع
الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال
ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير
من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق
اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة
مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم في رواية ابي بكر في جميع القرآن بضم
الراء ما خلا الحرف الثاني من المائدة وهو قوله تعالى من اتبع رضوانه سبل السلام وهما
لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين
اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها
رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون
ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح
منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق
المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين

بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن الترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما
طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملها
واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة
واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم
المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها
وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون
الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل
الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولو العلم بالايمان
بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط
مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز
جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او عن هو
والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة
للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير
وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتأكيد
ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله
العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته
ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه الصلاة والسلام قال
يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد
ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله
الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام
وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائي
بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال
ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما
او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال
قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلث النصارى وقالت
اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى
الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات
والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات
الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه

بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو
الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الايات والرسل وانما عبر عن النفس بالوجه
لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن
للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي
العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم
منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا
انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك
اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس
فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم
وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة
البقرة وقرا حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل
ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة كقولك زيد فافهم رجل
صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض
او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد
صلى الله عليه وكتاب الله القران او التورية لما روي انه عليه السلام دخل مدراسهم فقال
له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان
يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم
وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة
السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه
واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه
بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم
في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل وان اباءهم الانبياء
يشفعون لهم وانه تعالى وعد يعقوب ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف
اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودات روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية
اليهود فيفضحهم الله على رءوس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت
جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار
لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها

وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض
من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف
وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء و
متعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك
وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده يمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام
والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم
وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والادبار
والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي
بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب
في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل
عشرة اربعين ذراعا فاخذوا يحفرونه فظهر فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيها المعاول
فوجهوا سلمان الى رسول الله يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق
برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون
فقال اضاءت منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال
اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور
صنعاء فاخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون
يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم
انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل
شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت
وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على
معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر
ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق
وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج
الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من
النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرا ابن كثير
وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم
الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين
اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن
يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى

ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال: تود عدوي ثم تزعم انني ۞ صديقك
ليس النوك عنك بعازب ۞ الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب
اتقاؤه او اتقاء وافتعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا او تخافوا وقرأ يعقوب
تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار
الموالاة ح جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه
والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم
مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه
دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم
ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في
الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا
عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكانه قال ويحذركم نفسه
لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها
فلا تجترؤا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر
حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير
في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية
لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى
لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرر للتوكيد والتذكير
والله رؤوف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم
وانه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم
ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله
لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت
المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز
عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق
الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي
انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا
انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا
ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي

والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم
وانما لم يقل ولا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية
ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل
ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك
قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك
ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق
واولادهما ودخل فيهم الرسول وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي
بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن ابيغاذار بن ابي يوذ بن بابل بن يالينا
بن يوحنا بن اب بابل بن سايلان بن حتابن اوشا بن اموذ بن ميشكن بن حارقا بن احاذ بن
يونان بن عزريا بن بوران ساقط بن ايشا بن رلجعيم بن سليمان بن داود بن ايشا بن عويد بن
سلمون بن باعز بن يحشون بن عمياد بن رام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان
بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حالا او بدل من الآلين او منهما
ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين
والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها
ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان
مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران رب
اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت
فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هارون فظن ان المراد
زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان
يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذ رأت
طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا
ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا
عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله
بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم
بقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه
لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات
واحد او على تاويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت
ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو
استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرأ ابن عامر وابو بكر
عن عاصم ويعقوب وضعتُ على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى
كان خيرا وقرئ وضعتِ على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر

الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيها للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس
الذكر والانثى سيّان فيما نذرت فيكون اللام للجنس وانّي سمّيتها مريم عطف على
ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان
يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة
وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة وانّي اعيذها بك اجيرها
بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عليه السلام
ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسّه الا مريم وابنها
ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله
عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول
حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر وتسلّمها عقيب ولادتها
قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفّتها في خرقة وحملتها الى المسجد
ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت
امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق
بها عندي خالتها فأبوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه
اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف
اي بذي قبول حسن وان يكون تقبّل بمعنى استقبل كتقضّى وتعجّل اي فأخذها في اول امرها
حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها
وكفلها زكريا شدّد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش
على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون
ومدّوا زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه
ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق
عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم
انّى لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل
جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو
من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها
ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير
استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله روي
ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها
اليها وقال هلمّي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انّى لك
هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك

شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته
وبقي الطعام كما هو فأوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت
اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب
هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه
في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك لانه
لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته
الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبرائيل وحده وقرأ
حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلاة
ويصلي صفة قائم او خبر او حال آخر او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى
اي بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة
والكسائي يَبْشُرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل
مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البديعيات
التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود
قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما همّ بمعصية وحصورا مبالغا
في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال
ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة
ولا صغيرة قال رب انّى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما
وتعجبا او استفهاما من كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر فيّ وكان له
تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها
ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك
الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر
والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل هذه الصفة
ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان له
قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح
مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس
ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة
وكانه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا
اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل
والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رُمُزا كخُدُم جمع رامز ورُمْزا كرُسْل جمع رموز على انه
حال من الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف * روانف أليتيك وتستطارا
واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة

يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر
او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة
جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك
على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة
زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى ع فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما
ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم يقبل
قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر
من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير
اب وتبرئتها مما قذفتها اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم
اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها
مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه
على ان الواو لا يوجب الترتيب وليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم
ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت آناء الليل
ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات
ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا
بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم
التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان
طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان
يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه
يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون
تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من
اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب
المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع
واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم
في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم
لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدأ
فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد به الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلثة فان
الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم
صفته وانما قال ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه تولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى
الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة

وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكير الضمير للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي
الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه
الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا
وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل
انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه
بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب
انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج
او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبرائيل او الله وجبرائيل حكى لها قوله تعالى
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا
باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت
انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة
وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولا الى بني اسرائيل
اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت
رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق كانه قال
وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم
انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم
او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة
الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا
طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائرا بالالف
وبالهمزة وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان
يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء
واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس
الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم المغيبات من احوالكم
التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم
لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية
عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم
مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله باني قد جئتكم باية او معطوف
على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم
اي في شريعة موسى ع كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل
على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ع ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود

نسخ القرآن في بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص
في الازمان وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم اي جئتكم بآية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه
دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين الرسل والسحرة او جئتكم بآية على ان الله
ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية
من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها
الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة
والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة
واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية
بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية
فانه بملازمة الطاعة التي هو الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك
بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام
قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك
بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق
الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصري
وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور
وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى
نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود
وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه آمنا
بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم
ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين
بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه السلام فانهم شهداء
على الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة
ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه
في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا تسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة
والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث
لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى
اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك
من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات
العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء
واليه ذهب النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين

كفروا من سوء جوارهم وقصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة
يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى
والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى
ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطبين على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين
واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم
بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره
وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر
ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره
نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن
وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب
جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه فهو انه خلق كما خلق آدم من التراب بلا اب وام
شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه من التراب
ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر فقدر تكوينه من التراب ثم كونه
ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف
اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين
خطاب للنبي على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه
في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي
والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا
ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس
لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا
والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار
فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى
ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد
جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم
فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى
اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا
لرسول الله وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي
نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله
نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته

ان هذا اى ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان وهو فصل يفيد
ان ما ذكر في شان عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت لانه اقرب
الى المبتدا من الخبر واصلها ان يدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة
للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد
سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا
فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى
عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل الى
فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها ان لا نعبد
الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له
في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من
دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح بن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم
والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم
ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك فان تولوا عن التوحيد فقولوا
اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم
كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة
من المبالغة في الارشاد وحسن الترتيب في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه
من الاطوار المنافية للالوهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم
دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد
عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل
وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر
لا تغنى عنهم اعرض وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما
انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم وزعم كل
فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية
والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابرهيم قبل موسى
بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم
هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها
على حالهم التى غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى
اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية
والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم

من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ءانتم
على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه
وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى
ما قرر من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله
وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض
بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم
ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب للذين اتبعوه
من امته وهذا النبى والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبى
بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولى المؤمنين ينصرهم
ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود
لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم
وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون
الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله بما نطقت التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد عليه السلام وانتم تشهدون
انها ايات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير
في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل
كقوله كلابس ثوبى زور وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه
وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار اى اظهروا
الايمان بالقران اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره لعلهم
يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة
وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا
فيرجعون وقيل اثنى عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا
آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذى ورد في التورية لعل
اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل
دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان
الهدى هدى الله يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك
او بلا تؤمنون اى لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه
الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى

هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل الهدى
وقراة ابن كثير اان يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الاول اي الان يؤتى احد
احد دبرتم وقرئ ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين
الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه
في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة
ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي
الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك
كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى
اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرا حمزة
وابو بكر وابو عمرو يؤده ولا يؤده باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا
روي عن هاشم والباقون باشباع الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك
قائما على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك
الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين
سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم
ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا
ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش
فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم
وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو
تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم
فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي
سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب الراجع من الجزاء الى من
واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي
ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء
بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا
متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا
وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر
انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره
واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله
ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوا قيل انها

نزلت في احبار اليهود حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد وحكم الامانات وغيرهما واخذوا
على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشتره به
وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على
اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي بن اخطب يلوون
السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها
بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة وتخفيفها بحذفها والقاء
حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول
عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو
من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان
لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عند الله وهذا لا يقتضي
ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد
وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه وما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة
عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا
فقال معاذ الله ان يعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك
امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك
قال لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا
ربانيين ولكن يقولوا كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف
والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب
وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة
التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب
تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس
كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه
على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة
وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله وما كان
اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة
والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه
اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال
وقرا ابو عمرو على اصله برواية الدوري باختلاس الضم ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه
للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون
لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم

رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا
حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم
واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل
والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين
على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن
اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم
لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب
القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي
اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول الله المصدق لما معكم اخذ الله الميثاق لتؤمنن به
ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ
لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى
الميمات الثلث استثقالا قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به
لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به
قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه
للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو
تاكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة
فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة
المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او على محذوف تقديره ايتولون فغير
دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند
ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم
وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة
وكارهين بالسيف وبمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف
على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون
ان يمتنعوا عما قضى عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا
بالله وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى
وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن
كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع
قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى
بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر
الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له
مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد

لحكم الله تعالى فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى
ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع وواقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة
التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل
والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
استبعاد لان يهديهم فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد
وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم
من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل
على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق
وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه على نفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق
انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم
والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن
لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما
لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد
ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا
في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحارث
بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس
بالاية فرجع الى المدينة فتاب وقبل رسول الله توبته ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد
والقرآن او كفروا برسول الله عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل بعثته ثم ازدادوا كفرا
بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا
ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره
لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم
لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم
الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة لما كانت
الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء
ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به

محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم ملؤ الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به
من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا
ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب
اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين
في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي
هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون
اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله
روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها حيث
اراك الله فقال بخ بخ ذلك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن
حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله عليه السلام اسامة
بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله تعالى قد قبلها منك
وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الاية تعم الانفاق
الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين
وما تنفقوا من شيء من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه
كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به
ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل
يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النساء فنذر ان شفي لم ياكل احب
الطعام اليه وكان ذلك احب اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز
للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله تعالى فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية
اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك
رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا
اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا
فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول موافقة
ابراهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم
بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه السلام
لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله
الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم
من بعد ذلك من بعد ما لزمهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم
ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل
وانهم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم

او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية
الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابرهيم ومن تبعه وما كان من
المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين
والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس
اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء
للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب
وراتم ولازب ولازم وقيل هو موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه
اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس
فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من
بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت
بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال
له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان
الى الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد انه اول
بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله
حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات
عجيبة كما قال فيه ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار
وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده
بسوء قهر كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتداء
محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان
على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها
بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر اثار الانبياء وحفظه مع كثرة
اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر
انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه
ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه
في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله
اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث
الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر
مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم
القيمة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرها لم يتعرض له ولكن الجئ
الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة
والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا

بدل من الناس مخصوص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد
والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن
اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب
في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى
الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج
تاكيداً لوجوبه وتغليظاً على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت
ان شاء يهودياً او نصرانياً وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه
بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب في رقاب
الناس وتعميم الحكم اولاً وتخصيصه ثانياً فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية
ترك الحج كفراً من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على
المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء
عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن
وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله
صلى الله عليه وآله ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة
وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي باياته السمعية
والعقلية الدالة على صدق محمد عليه السلام فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص
اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية
والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم
فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعاراً بان كل واحد
من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور
بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج
فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم
تبغونها عوجاً حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجاً بان تلبسوا على الناس
وتوهموا ان فيه عوجاً عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ونحوهما او بان تحرشوا
بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها
ضلال واضلال وانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا
وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به
ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه
ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوساً يتحدثون

فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شاباً من اليهود ان يجلس
اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس
ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين
خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتدعون الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف
بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا
وعانق بعضهم بعضاً وانصرفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله
بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهاراً لجلالة قدرهم واشعاراً
بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله
وفيكم رسوله انكار وتعجب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان
الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد
هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم
لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر
فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة
عليها وفي هذا الامر تأكيد النهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها
المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفاً ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن
على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه
بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا
بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل
من حيث ان التمسك به سبب النجاة من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي
وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحاً للمجاز جميعاً مجتمعين عليه ولا تفرقوا
ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية
يحارب بعضكم بعضاً او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله
عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التألف وزوال الغل
اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقابلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخواناً
متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين
اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله بالاسلام
والف بينهم برسوله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم
لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحالة لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام
والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتأنيثه لتأنيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة

فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر
الفا وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم
تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض
الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم
بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجمع
وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا اثموا جميعا ولكن
يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون
كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه
صلاح ديني ودنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام
للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل
من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم والامر
بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع
ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره
فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود
والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم
البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص
بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد فاصاب
فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد
على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار
اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل
يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه
واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة
القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب
كفروا برسول الله عليه السلام بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا
حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا
العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن
وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب
ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها
خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتأكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون

تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة
فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم
بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في
السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة
دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل
كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم
وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان انما يحق ويعتد به
اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره
الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه
واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف ناهين
عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك
ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه
منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر
وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى
ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم
بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم
سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه
يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في
المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها
الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة
هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل
من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة
الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين
الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له
وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود
في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم
بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون
بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر
والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب

الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم
من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب
من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة
من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع التهجد ليكون ابين
وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي
انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل
الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم
بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله
ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون
عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم
عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص
ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى
الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائي وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء
والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز
عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها
خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء
وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح الباردة
كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك
برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم
لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر
فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك
لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا
انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا
انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر
ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله • ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة
الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم

من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة
من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى
بالحرف ثم عدي الى المفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص
ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء
من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم
اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب
الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل
الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة
ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار و
تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة
خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز
ان ينصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس
الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم
ايضا فما لكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم
في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من
الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم
دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله
عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون
من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما يخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون
خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى
من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي
عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة
والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكليف وتتقوا موالاتهم
او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين
والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا
على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم
من ضاره يضيره ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط علما فيجازيكم
بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر
اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم
ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام
بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك

والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر
شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه
قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا
منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم
فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رايت
في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت
كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم
فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا
حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت
فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب
احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم
وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت
يتعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة
من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام خرج
في زهاء الف رجل ووعد لهم النصر ان يصبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة
وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله
في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله
فمضوا مع رسوله والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك
الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون
اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض
ما افادهم التوكل وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة
حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم بضعف الحال وقلة
المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم
من نصره ولعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه
اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد
وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر
الرسول لم ينزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين
انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جي بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم
وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم
صاروا ثلثة الاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج

بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما
وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا وياتوكم اي المشركون من فورهم هذا
من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق
للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار
سيماء الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين
من التسويم بمعنى الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما
جعله الله وما جعل امدادكم الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به
ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه
على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على
قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تاخر
عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط
على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر
ان كان اللام للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر
من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة
الغيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين
فينهزموا منقطعي الامال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف
على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم
ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد
مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان
اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة
عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به
او تعذيبهم فتتشفى منهم وروي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت
وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا
التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها
كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا
لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص
بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق
بالشيء الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله

فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار
وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد
ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل
الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة
كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها
السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة
على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين
لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة
وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب
او مرفوع في السراء والضراء في حال الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان
لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير
والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة
اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه
ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته
وعن النبي صلى الله عليه وآله ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في
الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد
فيكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا
انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل
الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه
العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام
بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة
والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا
على ذنوبهم غير مستغفرين كقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين
مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك
جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين
ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين
ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون
كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول
يدل على ان ما لهم دون ما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة
وكفاك فارقا بين القبيلتين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون محبة الله

وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء
بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت
على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء
بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين
ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنها الله في الامم
المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال الشاعر
ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان
للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت ومفهوم قوله فانظروا
اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين
والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا
تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما
اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم
على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم
او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة
فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم
فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عباس عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان
كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد
فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا
فانكم ترجون من الله وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا
امر الرسول عليه السلام وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء
تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة
كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها
تحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف
على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة
وان ما يصيب المؤمن فيه من مصالحه ما لا يعلم والفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز
الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقايضه
ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه
ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا
منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات

والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين
وهو اعتراض فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم
احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم
ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم
والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه
الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم تجاهدوا الفرق بين لما ولم ان فيه
توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم
الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال
ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت
او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وآله مشهدا لينالوا ما نال الشهداء ببدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج
من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون
اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا
الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني
غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فيخلو كما خلوا بالموت
او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم
عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل
الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم
بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه
فذب عنه مصعب بن عمير رضه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه
قتل النبي فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس
وجعل الرسول يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه
المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال
ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر
عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة
بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه
وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه
كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيته تعالى او باذنه لملك الموت
في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال

ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا
مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها
تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم
واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا امكانهم فانتهز
المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من
ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين
اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس
وقرأ ابن كثير وكائن ككاع ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري
فصار كيأين ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا
كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون
لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه
ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات
النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم
من قتل النبي صلى الله عليه وسلم او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما
استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه
ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه
ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب
الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم
مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف
الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب
التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع فيكون اقرب الى الاجابة
وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله
بسبب الاستغفار واللجاء الى الله تعالى النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا
والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان
محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم
يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم

بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين
فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى
ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى
وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم
فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل
القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به عليهم سلطانا اي آلهة ليس
على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله • ولا ترى الضب بها ينجحر •
واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأويهم
النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل
ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياكم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك
حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم
بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من احسه
اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف
القلب وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما
موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر
الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة
وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون
المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم
ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان
عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين
يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا
رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب
والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد
لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله
من يكر فله الجنة في اخريكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا
على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم
غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول
او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد
فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم
من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم

للرسول اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم
على عصيانكم تسلية لكم كي لا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة
والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة
نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس
في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة
الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له
او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم
كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على
الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم
اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير
الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله
وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الحق الذي يحق ان يظن به فظن الجاهلية
بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من
يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط
وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها
باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان
الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون
طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم
الى بعض وهو بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد
محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأي ابن ابي
وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب
في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور
ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم ليمتحن ما في صدوركم
ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي
او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا
تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم
بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء
وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى

الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد
انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا
بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة بمخالفة النبي عليه السلام فمنعوا التأييد وقوة
القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي
يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل
قبل الخلوص للتوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله
غفور للذنوب حليم لا يعاجل في عقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى
اخوتهم اتفاقهم في النسب والمذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا
للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى
جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على
ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على
ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم
في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل
عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء
كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت
رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي
ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله
او متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله
ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس
مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة
بالموت خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه
اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه
لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي
متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه
لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه
ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا
عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم
في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم
وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك

على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه
وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا
تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم
الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم
احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه
فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير
عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا
ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان
النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية
والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال
بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم
احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه
بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع
فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة وقرأ نافع وابن
عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح ان يوجد
غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة اي يأت بالذي غله
يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس
ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب
لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا
بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا
يزاد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله
بسبب المعاصي ومأويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير
يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات
لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون
عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين
انعم على من آمن مع الرسول عليه السلام من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة
انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا
واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم
لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اي القرآن بعد

ما كانوا فيها الا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد
والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى وان الشان
كانوا من قبل بعثة الرسول عليه السلام في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق
من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرف المضاف الى اصابتكم اى حين
اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر
من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند
انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا
بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضه باختياركم الفداء يوم بدر
ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النصر ومنعه على ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم
يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه
وتخلية الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا
وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على
نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم
الامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه
قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو
ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم
فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم
هذا فانه اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل
الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون ولا يواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان و
اضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به
بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا
رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير
في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اى لاجلهم يريدون
من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا مقدر بقد اى قالوا قاعدين عن القتال
لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين
اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت
واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال

يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب
لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول عليه السلام
او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ
جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين
بل احياء اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم
ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله
من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع
بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم
المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة
الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم
من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء
حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والاية تدل على ان الانسان
غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه
ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها
الاية وما روى ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر
ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر
ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في
الحال لتحققه ودنوه واحياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة
وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين
بالفلاح يستبشرون كرر للتوكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز
ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل
زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا
يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على
انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله
محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح
صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر
عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد
لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا
فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فندب اصحابه للخروج في
طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد

وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر
والقى الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب
الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه
من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس من المدينة
واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي
انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب
في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من
زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك
والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال اتوكم في دياركم
فلم يفلت منكم احد الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون
حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده
والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله
وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان
الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم
يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل
الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل
وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه
بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل
ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان
وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا
لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز
بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة
الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو
وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل
وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان
يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته
او صفته وما بعده خبر ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم
قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم
اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول

والى اولياءه على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين
فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا
عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا
الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم
وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا
من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة
اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته
وان مسارعتهم في الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم
مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم
عذاب اليم تكرير له تأكيدا وتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد
من العرب ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول او لكل
من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل
على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول
الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم
او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها
ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح
سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل
تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا
اثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة
لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن
الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم
خير لانفسهم اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم
ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم
عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف
مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف
الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال و
الانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم
على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب

فيطلع على ما في القلوب من كفر او ايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره
ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او
بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله
ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من
يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام قال عرضت على امتي واعلمت
من يؤمن ويكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا
فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره
ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق
ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا
لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول عليه السلام او من يحسب وان جعل الموصول
كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا بل هو
اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة
بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل
لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات
والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله وانه يرث منهم ما يمسكونه
ولا ينفقون في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع
والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب
على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر
الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله
قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر وقال
اولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله عليه السلام وجحد ما قاله
فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء
بغير حق اي سنكتبه في صحايف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو
كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه
على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال
هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء
ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق
وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك
سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل
والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف

من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديهم
من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها
بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث
ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن
الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية
واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول
حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان
فيقوم النبي عليه السلام فيدعو فينزل نار سماوية فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق
وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو
وسائر المعجزات سواء في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم
فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى
بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان
به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر
واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر
والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور
على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرايع والاحكام
ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر
من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات
بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت
بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون
جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور
ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل
تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر
بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه
منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما
الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به
على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له
متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف
الانفاق وما يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد
عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم

ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن فى الدين واغراء الكفرة على
المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا
للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك
يعنى الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التى يجب العزم عليها او مما
عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشئ نحو امضائه
واذ اخذ الله اى اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه
للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش
بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذى ناب عنه قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين والضمير
للكتاب فنبذوه اى الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء
الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه
بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس
ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبى عليه السلام من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار
وعن على ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن
الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون
والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا
من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق
والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بالياء وفتح الباء فى الاول وضمها فى الثانى على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن
محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا
يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تأكيد للفعل
وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روى انه عليه السلام سأل اليهود
عن شئ مما فى التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا
فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة فى التخلف
واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى
المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوا على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك
امرهم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان فى خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب لدلائل واضحة
على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب
الحس والوهم كما سبق فى سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة فى هذه الاية
لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون فى ذات الشئ

كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك
بتبدل اوضاعها وعن النبى عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم اى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين
وعنه عليه السلام من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه
يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما
فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهو حجة للشافعى فى ان المريض
يصلى مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون فى خلق السموات
والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة
كالتفكر لانه مخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق
على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا
اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله
ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة
الى المتفكر فيه والخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما
فى معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها
ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدل على معرفتك ويحثه على طاعتك
لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث
وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه
وفائدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلق السموات والارض حملهم على
الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم
من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم
وطلبهم الوقاية منها وفيه اشعار بان العذاب الروحانى افظع وما للظالمين
من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب
لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم فى الخلاص منها ولا يلزم من نفى النصرة
نفى الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان اوقع
الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست فى ايقاعه
على نفس المسموع وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول
وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص
ان امنوا بربكم فامنا اى بان امنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها
ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب
الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم وفيه تنبيه على
انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب

واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اى ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب
لما اظهر امتثاله بما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون
من الموعودين لسوء عاقبة او قصور فى الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان
تعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه
على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف
الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعى وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير
ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفى الآثار
من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم
وهو اخص من اجاب وتعدى بنفسه وباللام انى لا اضيع عمل عامل منكم اى بانى لا اضيع
وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من
الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد والاجتماع
والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بين فيها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى
ان ام سلمة قالت يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
فالذين هاجروا الخ تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم
والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين واخرجوا من ديارهم
واوذوا فى سبيلى بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا فى الجهاد
وقرا حمزة والكسائى بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثانى افضل ولان المراد
لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير
لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا
من عند الله اى اثيبهم بذلك ثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده
حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد الخطاب للنبى
والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهى فى المعنى
للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة
عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم
روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله
فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف
اى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته فى جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام
ما الدنيا فى جنب الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع ثم ماويهم
جهنم وبئس المهاد اى ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يقدم للنازل من طعام وشراب
وصلة قال ابو الشعر الضبى ٭ وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ٭ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير
انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته
وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت فى ابن سلام واصحابه وقيل
اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا
وقيل فى اصحمة النجاشى لما نعاه جبريل الى رسول الله عليه السلام فخرج فصلى عليه
فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وانما دخلت اللام
على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من
الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون
بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم
ما خص بهم من الاجر ووعدوه فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع
الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط
والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء يا ايها
الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا
اعداء الله فى الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه
بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو
وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه
عليه السلام من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه
لا يفطر ولا ينفتل عن صلوة الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبرى
عما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح او واتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات
الثلث المترتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات
ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة
والحقيقة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة آل عمران اعطى بكل آية منها
امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرا السورة التى يذكر فيها آل عمران
يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

هذه سورة النساء مدنية مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بنى آدم اتقوا ربكم الذى خلقكم
من نفس واحدة هى آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص
واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعها او على محذوف تقديره من نفس واحدة
خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها
بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة

تقتضي ان يكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة
لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان يخشى والنعمة الباهرة التي
توجب طاعة موليها اولان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني
جنسه على ما دلت عليه الايات التي بعدها وقرئ خالق وباث على حذف مبتدا تقديره
وهو خالق وباث **واتقوا الله الذي تساءلون به** اي يسال بعضكم بعضا فيقول
اسالك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرا عاصم وحمزة
والكسائي بطرحها **والارحام** بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد
وعمروا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرا حمزة
بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدا
محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن
الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم متعلقة بالعرش تقول
من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله **ان الله كان عليكم رقيبا** حافظا مطلعا
واتوا اليتامى اموالهم اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو
الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه اجري مجرى الاسماء كفارس وصاحب ثم جمع على يتائم
ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع يتمى كاسرى واسارى لانه من باب الافات ثم جمع يتمى
على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف
خصصه لمن لم يبلغ وورده في الاية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم
بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس
منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد وكانه قال واتوهم
اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم
فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله
من الحوب الكبير **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم
بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها
وقيل لا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل
ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا
ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره كقوله تعالى فليأكل
بالمعروف **انه** الضمير للاكل **كان حوبا كبيرا** ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا
وقرئ حابا كالقال والقول **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم**
من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم
من غيرهن اذا كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده
منهن عدد لا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم

منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه
لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم
امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت
وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم
ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا مقدار ما حل لكم وانما عبر عنهن
بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره
او ما ملكت ايمانهم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا
مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلث ثلث واربع
اربع غير منصرف للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن
لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال
من فاعل طلب ومعناه الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين
فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت
كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف
في العدد **فان خفتم ان لا تعدلوا** بين هذه الاعداد ايضا **فواحدة** فاختاروا او فانكحوا
واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة
او فالمقنع واحدة **او ما ملكت ايمانكم** سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري
لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن **ذلك** اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري
ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول
الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل
عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا
من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري
مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة
الى تزوج الاربع **واتوا النساء صدقاتهن** مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون...
الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون
الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة **نحلة**
عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها
بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها
في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي اتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل
المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم
انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب
للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور موليا تهم **فان طبن لكم عن شيء منه**
نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد

تولية الهبة اردت كان ذلك وقيل للاوليا. ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد
والمعنى فان وهبن لكم من الصدقات عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة
وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب
فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنى والمرى صفتان
من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما
المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنى ما يلذه الانسان والمرى ما يحمد عاقبته
روى ان ناسا كانوا يتاثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم
فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو
الملايم للايات المتقدمة والمتاخرة وقيل نهى لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال
فيعطى امراته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا
لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التى جعل الله لكم قياما اى تقومون
بها وتنتعشون وعلى الاول يأول بانها التى من جنس ما جعل الله لكم قياما سمى ما به القيام
قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم
فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها
ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة يطيب بها نفوسهم والمعروف
ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم
قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدى الى ضبط المال وحسن التصرف
بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا
النكاح حتى اذا بلغوا بلوغ النكاح بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله
عليه السلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وعليه واقيمت عليه الحدود
وثمانية عشر سنة عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده
فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا
اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الاية ان ان الشرطية جواب لاذا المتضمنة
معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء وكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم
الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة
في تغير الاحوال اذ الطفل يتميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع المال وان لم يؤنس منه
ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم
ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل
بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر

بان الولى له حق في مال الصبي وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجرى يتيما افاكل
من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله
ولا تأكلوها يدل على انه نهى للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى
فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد
من الخصومة ووجوب الضمان فظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة
وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة رحمه الله وكفى بالله حسيبا
محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين
بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب
على انه مصدر موكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب
او على الاختصاص بمعنى اعنى نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث
لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روى ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته
ام كجة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن
على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب
ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله عليه السلام في مسجد الفضيخ فشكت اليه
فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا
فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كجة
الثمن والبنات الثلثين والباقى لابنى العم وهو دليل جواز تاخير البيان عن الخطاب
واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه
فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ
من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة
وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا
الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم
او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا
عليهم شفقتهم على اولادهم ولا يتركوه ان يضربهم بصرف المال عنهم او للورثة بالحث
على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا
اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة
فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم
وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر
عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب

لاولاده وتهديد للمخالف بحال الاولاد فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم
بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول
دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن
الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة
وكلمة الشهادة او لحاضر القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية
ما لا يؤدي بمجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما
ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون في بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها
وعن ابي بردة انه عليه السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل
من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم
نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا اي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم
بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته
وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى المفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم
الله يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل
حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه
وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف
كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية فقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به
فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر
او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة للنساء اي نساء زائدات على اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف
اي وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين
فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون
حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى
وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة
العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت
الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين
وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوي الميت لكل واحد
منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدة التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل
بعد الاجمال تأكيد السدس مما ترك ان كان له ولد ذكرا او انثى غير ان الاب يأخذ
السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد
وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث
ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكأنه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا

ينبغي ان يكون لها حيث معها احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قال الجمهور
لا ثلث المال كما قال ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة
والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل
على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس
انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد
ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس
لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ
حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي
بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة
من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة
على انهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية
على الدين وهي متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب
اليها الجميع والدين انما يكون على الندور آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم
نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم
فتحروا فيهم ما وصيكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين
اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فرفع بشفاعته او من مورثيكم
منهم او من اوصى منكم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم
ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد
او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح
والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان
لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها
وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين
ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد
وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب
وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام
والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل
اي الميت يورث منه من ورث وهو صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة
حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست
من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة
من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني
الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل

مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى الاقى محمدا
فاستعيرت للقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها
الموروث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امراة عطف على رجل
وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت
اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعيد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في
اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق لاولاد الام وان ما قدر
هنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر
من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء
بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت
الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته
بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه
وهو حال من فاعل يوصي المذكور في هذه القراءة المدلول عليه بقوله يوصى على البناء
للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وعاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب
بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصيةٍ بالاضافة اي لا يضار
وصية من الله وهو الثلث فما دونه او بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف
في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته
تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله
شرايع الله التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن
يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد
الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون
وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا
صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جرتا على من غير هما له واللاتي
يأتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها
ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين يشهدوا
عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها
سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفيهن ملائكة
الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به
التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض
ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد

المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية
وقرا ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين
فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما
فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما
علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة
الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية
والزاني في الزناة انما التوبة على الله اي قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده
من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان
ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته
ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر
احدكم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا
لان مدة الحيوة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قيل ان يشرب في قلوبهم
حبه فيطبع عليها فتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبوا في اي جزء من الزمان
القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله
عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله
عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن
ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة
والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك
الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون
السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم
وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم
قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعتدلهم لا يعجزهم عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة
من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين
آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه
على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها
غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك
وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك
او مكرهات عليه وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان
وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن
عطف على ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن عن التزويج واصل العضل

التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء
من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها
ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز
وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له وتقديره
ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة
الا ان يأتين بفاحشة وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال
في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب
ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح الدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة
الجزاء واقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم فان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امراة وتزويج اخرى وآتيتم
احديهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا
فلا تأخذوا منه شيئا اي من القنطار اتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام
انكار وتوبيخ اي اتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك
قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل
منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها
ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب
عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد
افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل
بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة
او ما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار
اليه النبي عليه السلام بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا
تنكحوا ما نكح اباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به
الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على
الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل تستحقون العقاب
بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • والمعنى ولا تنكحوا
حلائل اباءكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه
لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي
اي نكاحهن فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات
ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله

حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات
الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه
المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل في قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح
وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها
او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك
الباقية والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى
ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ يتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة
اما والراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي
در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء
اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب
بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات
المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة
من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء
لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ
والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها
بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا
لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها
للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات
بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة وطلقها
قبل ان يدخل بها انه لا باس ان تتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة
العلماء غير انه روي عن علي رضه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني
صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها
والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه
بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب
جمهور العلماء وقد روي عن علي رضه انه جعله شرطا والامهات والربائب تتناول
القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر
ما ليس بزنا كالوطي بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول
فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل
ابنائكم زوجاتهم سمي الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم

احترازٌ عن المتبنى لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفاً
على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي
محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية واحلتهما
اخرى يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل
وقول علي اصح لان اية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال
والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء على لازم المعنى او منقطع معناه
لكن ما سلف مغفور لقوله ان الله كان غفوراً رحيماً والمحصنات من النساء ذوات
الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرأ الكسائي بكسر الصاد لانهن احصن
فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج
كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا سبايا يوم
اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي عليه السلام فنزلت الاية فاستحللناهن
واياه عنى الفرزدق بقوله • وذات حليل انكحتها رماحنا • حلال لمن يبني بها لم تطلق •
وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الاية
والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً
وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم
عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم
على البناء للمفعول عطفاً على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص
عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها
وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم
ما وراء ذلك ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم
محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول بتبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا
اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية
على ان المهر لابد وان يكون مالاً ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس
عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه غرض منه فما استمتعتم به
منهن فمن تمتعتم به من الزوجات المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد
عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة
حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضاً او مصدر
مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط
عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الاية في المتعة التي
كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عليه السلام اباحها ثم اصبح
يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك

الى يوم القيامة وهي النكاح الى وقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع
بالمرأة وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله كان عليماً بالمصالح
حكيماً فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولاً غنى واعتلاء واصله
الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولاً او بفعل مقدر
صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن ما ملكت
ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات وظاهر الاية حجة للشافعي
في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقاً
واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطئ وحمل
قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات
ومن اصحابنا من حمله ايضاً على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية
دون المؤمنة حذراً عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد
وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان
فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم
ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن
الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم
ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقاً لا اشعار له
على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن اي ادوا
اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف
المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك
المهر للامة ذهاباً الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف
غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن
بالتزويج فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب
من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف
حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت
منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة
وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا
شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم على نكاح الاماء متعففين خير لكم
قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن يصبر رحيم بان رخص
له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن
اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة
كما في قول قيس بن سعد • اردت لكيما يعلم الناس انه • سراويل قيس والوفود شهود •

وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين
من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم
ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم
والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمبالغة
ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمار لها والمتعاطي
لما سوغه الشرع منها دون غيره وهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود
فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم
على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة
على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة
السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر
عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس ثمان آيات في سورة النساء
هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء
منقطع ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة
اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول
مال الغير لانه اغلب وارفق لذوي المروات ويجوز ان يراد به الانتقال مطلقا وقيل
المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه
وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة
او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس
الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تاول له في التيمم لخوف البرد فلم ينكر
عليه النبي او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل
الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة
جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها
استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار
اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه
كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل النفس ونهيكم عنه ومن يفعل ذلك
اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا
بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها
للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون

من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه
سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة
الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب
ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته
بقاطع وعن النبي عليه السلام انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف
المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس
الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به هاهنا انواع الشرك لقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة
الى ما فوقها وتحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط
يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك
فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل
هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير
من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذ عليها وندخلكم مدخلا كريما
الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرا نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان
والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال
فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا
بما قسم الله له وانه تشه بحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له
معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب
ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك
اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل
بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث
وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف له من حاله
الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسئلوا الله من فضله اي لا تتمنوا
ما للناس واسئلوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي
هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من فضله مما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان
بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة
قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا
يلونه ويحرزونه ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا
مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون

استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول
الوالدان او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا
موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عاقدت
ايمانكم موالي الموالاة وكان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي يوسف لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان
يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن
معنى الشرط وخبره فاتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه
او معطوف على الوالدان وقوله فاتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها
والضمير للموالي وقرا الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان
على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون
عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله
بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير
ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية
واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها
والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد في الفراق وبما انفقوا من اموالهم
في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه
امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله فشكى
فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير
فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب
لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام
خير النساء امراة اذا نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك
في مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على
حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن عليهم
من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما
موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله
او طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن
وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد
فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت
اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي
ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا

عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له
ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو
شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر
ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء وزوجته اضمرهما
وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به
كقوله يا سارق الليل اهل الدار او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله
وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبين الامر او اصلاح
ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها فان الاقارب
اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من
الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر
ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين
وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما
الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما
لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق
اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله
مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة
واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار
قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار
الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة
حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام
وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق
في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المراة
وابن السبيل المسافر والضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله
لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت
اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من قوله
من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره
الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل به وقرا حمزة والكسائي بالبخل بفتح
الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتيهم الله من فضله من الغنى والعلم احقاء بكل ملومة

واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه
فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل
والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا للانصار لا تنفقوا
اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين يكتمون صفة محمد عليه السلام والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد
لان البخل والسرف الذي هو الانفاق على ما لا ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط
سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتداء خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة
وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان
قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لكم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس
واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن لهم الشيطان في النار
وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم
او اي تبعة وتحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان
المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب
لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو
الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان
ههنا واخره في الاية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص هنا والتعليل ثم وكان الله
بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب
اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال
من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان تك
مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث
وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرا ابن كثير ونافع حسنة
بالرفع على كان التامة يضاعفها اي يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل
زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه
تابع للاجر مزيد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة
من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد
عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم
الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك
بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم
عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول

عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض
بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة
في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا
هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم
تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون
الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك
ختم الله على افواههم فيشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى
بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة
والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لا تقوموا اليها وانتم
سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد
الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا
حتى ثملوا وجاء وقت المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت
وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان
الصلوة وانما المراد النهي عن افراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى
بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها
صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب
على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع
لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم
الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء
وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل
وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري السبيل
بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور
في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة
وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب
تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد
او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط
فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم
النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء
وقيل او جامعتموهن وقرا حمزة والكسائي لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة
فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم

ان المرخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر
والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من اسبابه
ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال
الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم
من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم اى فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية
لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد
شىء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل
من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى
المنكب وما روى انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء
دليل ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر
عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اى الم تنظر اليهم او القلب
وعدى بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية
لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها
بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد عليه السلام وقيل يأخذون الرشى
ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله
اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله
وليا يلى امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فتوكلوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء
تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافي من الذين هادوا
بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة
لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم
عن مواضعه اى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه
الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل
الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا
قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اى مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت
او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع
اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم
اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك
ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا
المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها
وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير وطعنا في الدين

استهزاء بهم وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم
هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب
حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله
بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا
الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة
العدم كقوله • قليل التشكى للمهم يصيبه • كثير الهوى شتى النوى والمسالك •
او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا
مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط
صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا
او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة
الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها
فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت
منه وهي اذرعات الشام يعنى اجلاء بنى النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه
الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمى الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع
عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك
كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات
او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به
ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد
مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع
شىء او وعيده او ما حكم وقضى به مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به
ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه
لا ينمحى عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اى ما دون الشرك
صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا واول المعتزلة بالفعلين
على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو
من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى من ايات
الوعد ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة
والصفح بعدها والاية كما هي حجة عليهم فهى على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك
وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر
دونه الاثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق
على القول كذلك يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعنى اهل الكتاب قالوا

نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا بأطفالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا
بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها بل الله
يزكي من يشاء تنبيه على أن تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فإنه العالم بما ينطوي عليه
الإنسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية
نفي ما يستقبح فعلا أو قولا ولا يظلمون بالذم والعقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق فتيلا
أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون
على الله الكذب في زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا أو بالافتراء
إثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام أرضى
عند الله مما يدعوا إليه محمد عليه السلام وقيل في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من اليهود
خرجوا إلى مكة يحالفون قريشا على محاربة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب
وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا
والجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجبس وهو
الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره ويقولون
للذين كفروا لأجلهم وفيهم هؤلاء إشارة إليهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا أقوم دينا
وأرشد سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه
بشفاعة أو غيرها أم لهم نصيب من الملك أم منقطعة ومعنى الهمزة إنكار أن يكون لهم
نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير لهم فإذا لا يؤتون الناس
نقيرا أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر
النواة وهذا هو الإغراق في بيان شحهم فإنهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم إذا كانوا
أذلاء متفاقرين ويجوز أن يكون المعنى إنكار أنهم أوتوا نصيبا من الملك على الكناية وأنهم
لا يؤتون الناس شيئا وإذا إذا وقع بعد الواو أو الفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الإلغاء
والإعمال ولذلك قرئ فإذا لا يؤتوا على النصب أم يحسدون الناس بل يحسدون رسول
الله صلى الله عليه وسلم أو العرب أو الناس جميعا لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس
كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وأنكر الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما
تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والإعزاز
أو جعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد وأبناء عمه الكتاب
والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد أن يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم
من اليهود من آمن به بمحمد أو بما ذكر من حديث آل إبراهيم ومنهم من صد عنه أعرض عنه
ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل إبراهيم من آمن ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين أمره

فكذا لا يوهن كفر هؤلاء أمرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها أي إن
لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعد لهم من سعير جهنم إن الذين كفروا بآياتنا سوف
نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا أو بأن يزال عنه
أثر الإحراق ليعود إحساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب أي ليدوم لهم
ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة
إدراكها فلا محذور إن الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
أبدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لأن الكلام فيهم وذكر المؤمنين
بالعرض لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما
لا تنسخه الشمس وهو إشارة إلى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل
لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها خطاب يعم المكلفين والأمانات وإن نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة
بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت أنه
رسول الله لم أمنعه فلوى علي يده وأخذ منه وفتح ودخل رسول الله وصلى ركعتين فلما خرج
سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فأمر الله أن يرده إليه فأمر
عليا بأن يرده ويعتذر إليه وصار ذلك سببا لإسلامه ونزل الوحي بأن السدانة في أولاده
أبدا وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل أي وأن تحكموا بالإنصاف والتسوية إذا قضيتم
بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم ولأن الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم
إن الله نعما يعظكم به أي نعم شيئا يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة
بيعظكم به أو مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من أداء
الأمانات والعدل في الحكومات إن الله كان سميعا بصيرا بأقوالكم وأحكامكم وما
تفعلون في الأمانات يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر
منكم يريد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة
وأمراء السرية أمر الناس بطاعتهم بعد ما أمرهم بالعدل تنبيها على أن وجوب طاعتهم ما داموا
على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم فإن تنازعتم أنتم وأولو الأمر منكم في شيء من أمور الدين
وهو يؤيد الوجه الأول إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس إلا أن يقال
الخطاب لأولي الأمر على طريقة الالتفات فردوه إلى الله فارجعوا فيه إلى كتابه والرسول
بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة إلى سنته بعده واستدل به منكرو القياس فقالوا
إنه تعالى أوجب رد المختلف إلى الكتاب والسنة دون القياس وأجيب بأن رد المختلف

الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به
بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب
ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الاخر فان الايمان يوجب ذلك اى الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن
تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل
من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضه ان منافقا خاصم
يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى عليه السلام ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما
تحاكما الى رسول الله وحكم لليهودى فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى
لعمر قضى رسول الله لى فلم يرض المنافق بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك
فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به
عنق المنافق حتى برد فقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت
فقال جبرائيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت على هذا
كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمى بذلك لفرط طغيانه
او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه التحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه
كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا
بها على ان الطاغوت جمع لقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم
تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل
اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر
او اسم للمصدر الذى هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس
ويصدون فى موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق
او النقمة من الله تعالى بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك
حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض
يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه
الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين
بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه
اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب
من العقاب فاعرض عنهم اى عن عقابه لمصلحة فى استبقائهم او عن قبول معذرتهم
وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم فى انفسهم اى فى معنى انفسهم
او خاليا بهم فان النصح فى السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافى
عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك يقتضى شفقة
الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول

الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث
اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا
مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض
بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به
فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك
حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول
ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كبائر الذنوب
لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد
بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اى فوربك
ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا فى قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا فى الاثبات
كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم
واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا
مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك فى ضيق من امره ويسلموا تسليما
وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان
كتبنا فى معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو
ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه
بواو الجمع فى نحو ولا تنسوا الفضل وقرا عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون
بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا ناس قليل
وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم
ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدرى الفعلين وقرا
ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم فى عاجلهم وآجلهم
واشد تثبيتا فى دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفى الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم
ونصبه على التمييز والاية ايضا مما نزلت فى شان المنافق واليهود وقيل انها
والتى قبلها نزلتا فى حاطب بن ابى بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها
النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن
عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء فى الجدر واستوف حقك ثم ارسل
الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم

بعد التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا
مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين حال منهم او من ضميرهم
قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا
عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل
ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج
التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي
عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم
في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته
ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان
او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب
بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء والا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد
وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون
الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم
وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال
ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا
روي ان ثوبان مولى رسول الله اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال
ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك
ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة
كنت في منزلة دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما
للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم
الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة
وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا
خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به
كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت
على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه
او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها
وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن
الخطاب لعسكر رسول الله المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا

وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او بطأ غيرهم كما بطأ ابن ابي ناسا
يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان
للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه
ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة
كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني
ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله بفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط
تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كأن لم يكن بينكم وبينه مودة
اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه
على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون
معكم لمجرد المال او حال من الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه
من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث
لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف
اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة
واسمه ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب
تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا لإطلاق
للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في
ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالاخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون
الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم
المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب
فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال
وتكذيبا لقد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان
المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان
لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر
لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين
عطف على اسم الله اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم
عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه
على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار
اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون
الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان
مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم

اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية
وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله
دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر وهو محمد
عليه السلام بفتح مكة على نبيه فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد
فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما
اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث
على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان
لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد
الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه
به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم
كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم
كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته ويخشون
خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون
على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله او اشد خشية عطف عليه ان جعلته
حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو
معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل
الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله
او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا
الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به
ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والاخرة خير
لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم
المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم
الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه
كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون
مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت
وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد
القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة

والبلية

والبلية وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم
بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد
المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يقبض ويبسط حسب ارادته
فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه
وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا
من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك
يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة
لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة
الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب
فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا
وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة
ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله
الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك
للناس رسولا حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي
للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله
ولا خارجا من في زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع
الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي انه عليه السلام
قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف
الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فنزلت
ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم
عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم
بامر طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة
على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت
خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة
لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ
ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون
يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض
عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم
وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتأملون
في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند
غير الله اي ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض

معانی وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً وبعضه يصعب معارضته
وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل
لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره
ههنا للتنبيه على ان الاختلاف في ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف
الاحوال في الحكم والمصالح **واذا جاءهم امر من الامن او الخوف** مما يوجب الامن
او الخوف **اذاعوا به** افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر
عن سرايا رسول الله او اخبرهم الرسول عليه السلام بما اوحي اليه من وعد بالظفر
او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة
او لتضمن الاذاعة معنى التحدث **ولو ردوه** اي ولو ردوا ذلك الخبر **الى الرسول**
والى اولى الامر منهم اي الى رأيه ورأي كبار الاصحاب البصراء بالامور او الامراء
لعلمه على اي وجه يذكر **الذين يستنبطونه منهم** يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم
وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالاً على المسلمين ولو ردوه
الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء
الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط
استخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر **ولولا فضل الله عليكم ورحمته**
بارسال الرسول وانزال الكتاب **لاتبعتم الشيطان** بالكفر والضلال **الا قليلاً**
الا قليلاً منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه من
متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعاً قليلاً على الندور
فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك **لا تكلف الا نفسك** الا فعل
نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله
ناصرك لا الجنود روي انه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه
بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف على الجزم ولا
نكلف بالنون وكسر اللام على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم
لا انا لا نكلف احداً الا نفسك لقوله **وحرض المؤمنين** على القتال اذ ما عليك
في شانهم الا التحريض **عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا** يعني قريشاً وقد فعل بان القى
في قلوبهم الرعب حتى رجعوا **والله اشد بأساً** من قريش **واشد تنكيلاً** تعذيباً منهم
وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه **من يشفع شفاعة حسنة** راعى بها حق مسلم ودفع
بها عنه ضراً او جلب اليه نفعاً ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه السلام
من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك **يكن له نصيب منها**
وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها **ومن يشفع شفاعة سيئة** يريد بها
محرماً **يكن له كفل منها** نصيب من وزرها مساو لها في القدر **وكان الله على كل شيء مقيتاً**

مقتدراً من اقات على الشيء اذا قدر قال وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على اساءته
مقيتاً او شهيداً حافظاً واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه **واذا**
حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب
الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي
النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلاً قال لرسول الله السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل
نقصتني واين ما قال الله تعالى وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله
وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه
قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب
على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند
قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم
استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية
العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي **ان الله كان**
على كل شيء حسيباً يحاسبكم على التحية وغيرها **الله لا اله الا هو** مبتدأ وخبر او الله
مبتدأ والخبر **ليجمعنكم الى يوم القيمة** اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة
او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيمة كالطلاب والطلبة
وهي قيام الناس من القبور او للحساب **لا ريب فيه** في اليوم او الجمع فهو حال من اليوم
او صفة للمصدر **ومن اصدق من الله حديثاً** انكار ان يكون احد اكثر صدقاً منه فانه
لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال **فما لكم في المنافقين**
فما لكم تفرقتم في امر المنافقين **فئتين** اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك
ان ناساً منهم استأذنوا رسول الله عليه السلام في الخروج الى البدو لاحتواء المدينة
فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون
في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين
باحتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين
حال عاملها لكم كقولك مالك قائماً وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من
الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين **والله اركسهم**
بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او اركسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء
مقلوباً **اتريدون ان تهدوا من اضل الله** ان تجعلوه من المهتدين **ومن يضلل الله**
فلن تجد له سبيلاً الى الهدى **ودوا لو تكفرون كما كفروا** تمنوا ان تكفروا ككفرهم
فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب

على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم
حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله
ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
اى جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم
وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون
الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام
وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه
ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة
اى او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم
من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم
وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم
والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان
ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه ان قرئ حصرة
صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت
صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض
ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله
لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم
ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم
الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم
ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان
وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا
كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها
وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد
ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم
فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا
حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم
او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه
ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ لانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له
اى لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه
صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء

منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل
او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف
الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف
الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق
وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه
او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق الكريم من الشيء ومنه حر الوجه
لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها
بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة
الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله
يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم يكن فعلى
بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو
عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عليه السلام كل معروف صدقة
وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه
او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم
عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين
او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة
بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة
الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم
المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث
مسلم فمن لم يجد رقبة بان لا يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين
فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اى شرع ذلك توبة من تاب الله
عليه اذا قبل توبته او على المصدر اى وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اى فعليه
صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله
اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار
لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه
نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله
فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم
فقتله ورجع الى مكة مرتدا والمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان
عصاة المسلمين ما يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم

وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي
فتثبتوا من التثبت في الموضعين ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية
الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اي الاستسلام والانقياد وفسر به
السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا
له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاذ
وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله
مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام
تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم
فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين
في الاسلام كما فعل الله بكم فلا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان
ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتب الحكم
على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل
واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله عليه السلام غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة
باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل
وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل
نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله محمد رسول الله فقتله وقال
ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاه مغتفر
لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي
فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة القاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه
وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين
او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم
وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت
ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر
والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد
من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته
وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع
الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه والحال
بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة
لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل
الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى آجر والمفعول الثاني

له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات
منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر
كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة
على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما
للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر
والثاني ما جعل لهم في الاخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات
منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين
اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والاخرون
من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي
والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة
انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم
انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا
حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم
قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة
او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة
فاولئك ماويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه
لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد والخبر قالوا والعائد
محذوف اي قالوا لهم والجملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا
مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه
وعن النبي عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له
الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليه السلام الا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره
والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في
الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم
عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا
يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه
واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة
الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ
العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة

ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم
على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته
مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف
اي ثم يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله
وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت
الامر الواجب والاية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ
التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك
ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه
دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عايشة اعتمرت مع رسول الله وقالت
يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة
لقول عمر صلوة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة رض اول ما فرضت
الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف
الاية فان صحتا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة
فلا حاجة الى تاويل الاية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر
قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل
سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى
قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا
بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا
مبينا شريطة باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر
في قوله وان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت
السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى
كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة
تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول عليه السلام وعامة الفقهاء على انه
علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم
طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة
الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى
وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين
من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت
طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام

يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة
ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم
منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وياتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظر قاعدا
حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال
ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة وتتم صلوتها ثم يعودوا الى وجه العدو وياتي الاخرى وتؤدي
الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة
يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين
تبوءوا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم
ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة
وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم
مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر
او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم
امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحذر لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر
ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ
والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة
واشتد الخوف فصلوها كيفما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين
وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة
فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شئ من الاحوال
وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة فانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب
في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب
حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا
تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني
فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه
من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم
في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون
قوله فانهم يألمون علة النهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما
باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق

فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة
ولم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل
اليهودي فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا
بنا الى رسول الله عليه السلام فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح
وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل فانزل الله تعالى هذه الاية بما اريك الله بما عرفك الله
فاوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن
للخائنين اى لاجلهم والذب عنهم خصيما للبرآء واستغفر الله مما هممت به
ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما
عليها والضمير لطعمة وامثاله اوله ولقومه فانهم شاركوه فى الاثم حين شهدوا على براءته
وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا فى الخيانة مصرا عليها
اثيما منهمكا فيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط
الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون
من الله وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم ولا يخفى عليه سرهم فلا طريق
معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى
من القول من رمى البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما تعملون محيطا
لا يفوت عنه شئ ها انتم هؤلاء مبتداء وخبر جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا جملة مبينة
لوقوع اولاء خبرا او صلته عند من جعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة
ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوء قبيحا يسوء به غيره
او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم
الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما
متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله تعالى فان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما
فهو عليم بفعله حكيم فى مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة
او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل
بهتانا واثما مبينا بسبب رمى البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما
وان كان مقترفا احدهما دون مقترف الاخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام
ما هم عليه بالوحى والضمير للرسول عليه السلام وجمعه للتعظيم اوله ولامته فان عصمة
الرسول واطلعوا على الاحوال اللطف فى حقهم لهمت طائفة منهم اى من بنى ظفر ان يضلوك
عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفى همهم
بل الى نفى تاثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم

وما يضرونك من شئ فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر
لا ميلا فى الحكم ومن شئ فى موضع النصب على المصدر اى شيئا من الضرر وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين
والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير فى كثير
من نجويهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة
او معروف على حذف مضاف اى الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر
بصدقة ففى نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر ها
هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس
او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما
بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما ادخل الامر فى زمرة الخيرين
كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة
اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل
خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة
ما فات فى جنبه من اغراض الدنيا قرا حمزة وابو عمرو يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول
يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الاخر من بعد ما تبين له الهدى
ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد
او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل ما بينه وبين ما اختاره
ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم
والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة
واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثانى
باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة
محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم
واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت
الكلام فيه فى مرصاد الافهام الى مبادى الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله
عليه السلام وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته
وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جراءة وما توهمت طرفة عين
انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى عند الله فنزلت ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب
والاستقامة وانما ذكر فى الاية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب
ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله ان يدعون من دونه الا اناثا

يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان
وذلك اما لتانيث الاسماء كما قال وما ذكروان يكبر فانثى شديد الازم ليس له ضروس
فانه عنى القراد وهو ما كان صغيراً سمي قراداً فاذا كبر سمي حلمة اولانها كانت جمادات
والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا
الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثاً لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود
ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة
لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثاً
على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثناً بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد
وأثناً بهما على قلب الواو لضمتها الفاً وان يدعون وان يعبدون بعبادتها
الا شيطانا مريداً لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته في ذلك
عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد
وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال
لاتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً عطف عليه اي شيطانا مريداً جامعا بين لعنة الله
وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا ان الشرك ضلال
في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي
الالوهية غاية المنافاة فان الاله تعالى ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه
بانه عبادة الشيطان وهي افضع الضلال لثلثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال
لايعلق بشئ من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيداً عن الهدى والثاني انه ملعون
لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة
والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض
المقطوع اي نصيباً قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق
ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولامرنهم
فليبتكن اذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب
يفعل بالبحائر والسوائب واشار الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل
او بالقوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة اوصفة ويندرج فيه
ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك
وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله تعالى التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى
فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا
لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان
نطقا واتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعوه اليه
على ما امر الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبيناً اذ ضيع

رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون
وما يعدهم الشيطان الا غروراً وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد
اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها
محيصاً معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه
اسم مكان وان جعل مصدراً فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً وعد الله حقاً
اي وعده وعداً وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي
قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله
بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق
من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية
الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد
في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال
بامانيكم ايها المسلمون ولا اماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح
وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل
الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله
منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة
فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر بامانيّ المشركين
وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا
ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى
وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوء يجز به
عاجلا واجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال
عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له
من دون الله وليا ولا نصيراً ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه
وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها فان كل واحد
لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال
شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه
فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً بنقص شئ من الثواب واذا لم ينقص
ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك
اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله
لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي الاستفهام تنبيه على ان ذلك
منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن اي آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة

ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو
حال من المتبع او الملة او ابرهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه
بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا
على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان
كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان
في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استيناف
جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي
ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس من يمتار منه فقال خليله
لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس
فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر
فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ
فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم قالت من خليلك المصري فقال بل من خليلي الله عز وجل
فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء
وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال
قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة وكان عالما
باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب
نزوله ان عيينة بن الحصين اتى النبي عليه السلام فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت
النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت
قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب
عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله
والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد
وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب
خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض
على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن
لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى
عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن
بسبب يتامى النساء كما يقال كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة
الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب
لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان
اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن
طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة

اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان
عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا
لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت
في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز
ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا
لهم ويستوفوا لحقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان
به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها
من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها
كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح
عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له
شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز
ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى
والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة
وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان
الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم
تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى
احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها
والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها
واحب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله
كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام
كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب
مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل
البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه
فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم
على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب
عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل
ولا مطلقة وعن النبي عليه السلام من كانت له امرأتان ويميل مع احديهما جاء يوم القيمة
واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل
فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا
اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلو من سعته
غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله

ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا
او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله
بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان
لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله
مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصيكم
لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته
حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا
حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع
الخصايص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته
فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنيكم ومفعول
يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت باخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين
مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد
وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفره وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
لما روي انه لما نزل ضرب رسول الله يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد
ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد في الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب
اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة او ليطلب
الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الاخرة ما هي في جنبه
كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له
الاية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا
كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق
تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة
على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين
والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه والمشهود له
غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة ولا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما
بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم يكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة
الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير
لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق
او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها

فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين
او للمنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله
انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله
ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان
بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب
والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس ومن يكفر
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل
ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد الى طريقه ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا
بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا
كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا
تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا
عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم
لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به
اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الاية
في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار
على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين
او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز
الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة
غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرئ نزل والقائم مقام
فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها
حالان من الايات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده
الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا الاية
والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم
في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان
الذين يقاعدون الخائضين في القرآن كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم
والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة
الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون
بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم

مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم
فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ
عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء
وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين
بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم
وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي
سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شري الكافر المسلم
والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد
الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام
فيه اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل
وقرئ كسالى بالفتح وهما جمع كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة
بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يراءيه عمله وهو يريه استحسانه
ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل العبادة الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله
او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة
وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال
من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون
او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا
واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون
كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة
وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين
او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق
والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا
تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم
دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى
الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق
وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان
ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة
متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك

اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا من النفاق
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به
وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين
ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم ايتشفى به غيظا او يدفع به ضررا او يستجلب به
نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه
كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته
وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف
المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم
وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم
والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ
من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله
وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه
او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير
واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو
عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو
بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله
انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا والكافر ببعض ذلك
كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون
هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين
بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين
آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين
على احد وهو يقتضي تعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف
نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة
وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله
غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب من السماء
جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه

حين نزل او كتابا الينا يا عينا بانك رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط
مقدر اى ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان
من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ
فى ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله
جهرة عيانا اى ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين فاخذتهم الصاعقة نار جاءت
من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال
التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد
ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التى اقترفها ايضا اوائلهم والبينات
المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك واتينا موسى
سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب
سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت على لسان داود
ويحتمل ان يراد على لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء
فيه والمسخ به فى زمن داود عليه السلام وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا
فادغمت التاء فى الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا
فبما نقضهم ميثاقهم فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد
والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم
بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون
لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل فى جاره
وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما فى كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا
غلف اوعية للعلوم او فى اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة
عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر فى الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون
الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى
وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف
مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم
كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعنى نسبتها
الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اى بزعمه ويحتمل انهم قالوه
استهزاء ونظيره ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه
او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روى
ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على
قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب

ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا
ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس
اليهودى بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ
وصلب وامثال ذلك من الخوارق التى لا تستبعد فى زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى
بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به
لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم
التشبيه بين عيسى والمقتول او فى الامر على من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع
بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه
فى شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا
فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه
وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء
وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفى شك منه لفى تردد والشك كما يطلق
على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله
ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اى ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر
الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء
وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه
ما علموه يقينا كقوله كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمى ذلكم يقينا من قولهم قتلت
الشىء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات
لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به قبل موته اى وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة
قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود
والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق
روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا
فى معنى الجمع وهو كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم
ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا وروى انه
ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون
الملة واحدة وهى ملة الاسلام ويقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود
بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اى فباى ظلم منهم
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعنى ما ذكر فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم

عن سبيل الله كثيرا ناسا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما
عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس
بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب
وآمن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمومنون اي منهم ومن
المهاجرين والانصار يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة
نصب على المدح ان جعل يومنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم
الانبياء اي يومنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير
في يومنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنوتيهم والموتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه
المذكورة والمومنون بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه
من اتباع الشرائع لانه المقصود بالاية اولئك سنوتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان
الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره
في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم
تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشرف الانبياء ومشاهيرهم
وآتينا داود زبورا وقرا حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر
دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه
السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب
الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا عليه السلام بان اعطاه مثل ما اعطى
كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال
ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن
نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك
جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين
ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه
مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريد حكيما فيما دبر من امر
النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله
وكانه لما تعنتوا عليه بسوال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا
اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما
انزل اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك
فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ

او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في
معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول
والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون
ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص
الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هولاء بالنظر
الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا
اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل
يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقطاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته
او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك وعليه يدل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا يجري مجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على من مات
على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب
ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين
الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة
والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا
مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف
مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يودي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في
السموات والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم
ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه
وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين
غلت اليهود في حط عيسى عليه السلام حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعته
حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا
الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته
القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه
لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات
او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اي الالهة ثلثة الله والمسيح ومريم
ويشهد عليه قوله تعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله
ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب
الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق
انما الله اله واحد اي بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه

تستحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه
فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شي من ذلك فيتخذه ولداً
وكفى بالله وكيلا تنبيه على غنائه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله
سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف
المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون
عبداً لله من ان يكون عبداً له فان عبوديته شرف يتباهى به فانما المذلة والاستنكاف
في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا
قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار
انه عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف
الملائكة المقربون ان يكونوا عبيداً لله واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال
مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف
اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه
ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى
فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس
ولا مرؤس وان اراد التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين
حول العرش او من على منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد
الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ويترفع عنها
والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق
بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعاً فيجازيهم فاما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذاباً اليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً تفصيل للمجازاة
العامة المدلول عليها من فحوى الكلام فكانه قال فسيحشرهم اليه جميعاً يوم القيمة يوم
يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم
والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً عنى
بالبرهان المعجزات وبالنور القران اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم
عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القران فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به
فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب
وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطاً مستقيماً
هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك اي في الكلالة
حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الاحكام قل الله

يفتيكم

يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اوائل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت
فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن
في هلك والواو في له يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه
جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان
ورثت مع بنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها
اي والمرء يرث اختها ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكراً كان او انثى ان اريد
بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط
الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب
وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما
الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه
باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا
اخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات
فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم
اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة
ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم
فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء
فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثاً واعطي من الاجر كمن اشترى محرراً
وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام
بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا
عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث
يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده والزمها
اياهم من التكاليف وما يعقدونه بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوهما مما يجب الوفاء به
او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام
تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام
للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها
الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار
وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم
ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير

فى لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول
وانتم حرم حال عما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل
وتحريم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعنى مناسك الحج جمع شعيرة وهى اسم
ما اشعر اى جعل شعارا سمى به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك
وقيل دين الله تعالى لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل فرائضه التى حدها
لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسئ ولا الهدى ما اهدى الى الكعبة
جمع هدية كجدى جمع جدية السرج ولا القلائد اى ذوات القلائد من الهدى وعطفها
على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى او القلائد انفسها والنهى عن احلالها
مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة
وهو ما قلد به الهدى من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له ولا آمين
البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا اى يثيبهم ويرضى عنهم
والجملة فى موضع الحال من المستكن فى آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل
الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه
يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الاية نزلت عام القضية فى حجاج
اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق
سرح المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم
فاصطادوا اذن فى الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا
من الامر دلالة الامر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها
وهو ضعيف جدا واحللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم اى لا يحملنكم او لا يكسبنكم
شنئان قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا
ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان
او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان فى النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم
عنه عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه
لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين
ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين
وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفى والانتقام واتقوا الله ان الله شديد
العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه
الروح من غير تذكية والدم اى الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية
يصبونه فى امعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اى رفع الصوت لغير الله
كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التى ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة

بنحو خشب او حجر حتى يموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التى تردت من علو او فى بئر
فماتت والنطيحة التى نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء فيها للنقل وما اكل السبع
اى وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته
لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء
مخصوص بما اكل السبع والذكاة فى الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح
على النصب النصب واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت
يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها
بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هى جمع والواحد نصاب وان تستقسموا
بالازلام اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا
ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الاخر نهانى ربى والثالث غفل
فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها
ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو
استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم
كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال
باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربى وجهالة وشرك ان اريد به الصنم
او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر
وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة
عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه
الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون
واخلصوا الخشية لى اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص
على قواعد العقائد على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتى بالهداية
والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة او هدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام
اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات
وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين
الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات
فى مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا
حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسئلونك
ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام فى ماذا وانما قال
لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى امثاله
والمسؤل ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلى عليهم ما حرم عليهم سالوا عما احل لهم قل احل لكم
الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات

العرب وما لم يرد نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات
ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها
فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين
معلمين اياه الصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه وآثر او لان كل سبع
يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم
وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من الحيل
وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم
ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك
عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام
لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء
وقال بعضهم لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه
عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في محرماته ان الله
سريع الحساب فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى
واستثنى علي رضه نصارى بني تغلب قال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب
الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم
سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم
وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات اي الحرائر او العفائف
وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن
حربيات وقال ابن عباس رضه لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد
الحل بايتائها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها
محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به
والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في
الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه
يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد
العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة
لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصده وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة
وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم
الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته وقيل مطلق اريد به
التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر

ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها
فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق
الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى
قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى
التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا
واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن
في الآية دليل وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها
تفيد الغاية مطلقا وما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها يقتضي خروجها
والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لكن
لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤوسكم
الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل
ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح
برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فانه كقوله
فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه
الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو
قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع
وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة
وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره
كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي
وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد
في صب الماء عليها وتغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء
على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا
فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم
ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب
او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف
واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم
في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم
نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين

أو ليتم برخصة إنعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة على سبعة
أمور كلها مثنى طهارتان أصل وبدل والأصل اثنان مستوعب وغير مستوعب
وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وأن آلتهما
مائع وجامد وموجبهما حدث أصغر وأكبر وأن المبيح للعدول إلى البدل مرض أو سفر
وأن الموعود عليهما تطهير الذنوب وإتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام
ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا
يعني الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع
والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره أو ميثاق ليلة العقبة أو بيعة الرضوان
واتقوا الله في إنساء نعمه ونقض ميثاقه إن الله عليم بذات الصدور أي بخفياتها
فيجازيكم عليها فضلا عن جليات أعمالكم يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء
بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى
لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل
كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا
هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب إلى التقوى صرح لهم بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى
بعدما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى وإذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك
بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم
إما لاختلاف السبب كما قيل إن الأولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود أو لمزيد
الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم إنما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة
فإنه استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فإن الوعد ضرب من القول
وكأنه قال وعدهم هذا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى
أن يتبع حال أحد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين
وتطييب لقلوبهم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي أن المشركين رأوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان قاموا إلى صلاة الظهر يصلون معا
فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى العصر
فرد الله كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف والآية إشارة إلى ذلك وقيل إشارة إلى ما روي
أنه عليه السلام أتى قريظة ومعه الخلفاء الأربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما
عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك
ونقرضك فأجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله
يده فنزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق
سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء أعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني

فقال الله فأسقطه جبريل من يده فأخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا أحد
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فنزلت إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم
بالقتل والإهلاك يقال بسط إليه يده إذا بطش به وبسط إليه لسانه إذا شتمه فكف
أيديهم عنكم منعها أن تمد إليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فإنه الكافي لإيصال الخير ودفع الشر ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها
أو كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به روي أن بني إسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا
بمصر أمرهم الله بالمسير إلى أريحا أرض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال
إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها فإني ناصركم وأمر موسى
أن يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما أمروا به فأخذ عليهم الميثاق واختار منهم
النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون الأخبار ونهاهم
أن يحدثوا قومهم فرأوا أجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم
إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط أفرائيم بن يوسف وقال الله
إني معكم بالنصرة لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم أي نصرتموهم
وقويتموهم وأصله الذب ومنه التعزير وأقرضتم الله قرضا حسنا بالإنفاق في سبيل الخير
وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لأكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام
في لئن ساد مسد جواب الشرط ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة
فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك إذ قد يمكن أن يكون له شبهة ويتوهم له معذرة
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية
وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية
وهي إما مبالغة قاسية أو بمعنى ردية من قولهم درهم قسي إذا كان مغشوشا وهو أيضا
من القسوة فإن المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية بإتباع القاف للسين يحرفون
الكلم عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم فإنه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله
والافتراء عليه ويجوز أن يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب إذ لا ضمير له فيه
ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التوراة أو من اتباع محمد والمعنى
أنهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه أنهم حرفوها
فزلت بشؤمه أشياء منها عن حفظهم لما روي أن ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم
بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة أو فرقة خائنة أو خائن
والتاء للمبالغة والمعنى أن الخيانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى
ذلك منهم إلا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله

وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا وعاهدوا والتزموا الجزية
وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه
وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين
قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم
وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قالوا انا نصارى ليدل
على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا
من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى
وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا
يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب
لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد
وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به
اذا لم يضطر اليه امر ديني وعن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز
وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد
ولانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة
من العذاب او سبيل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه
بارادته او توفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤدي
اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم
وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم
ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن
يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم
وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور
مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك
السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم
من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات
والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات
ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل
لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك
مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم فان من كان
بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم

انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء
وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر
الناس لا مزية لكم عليه ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه
خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره
ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم
رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال
وانقطاع الوحي او بمبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير
كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف
اي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال
تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي
وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة
وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان
العبسي وفي الاية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج
ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم
ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيكم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى
قتلوا يحيى عليه السلام وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط
فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت
احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها
مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين
وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب
الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم
لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين
خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر
تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم
الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف
والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى
مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو الذي يجبر الناس
على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم

قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اى يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين
من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
اى من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يُخافون بالضم اى المخوفين
وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله بالتذكرة او يخوفهم
الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا
عليهم الباب باب قريتهم اى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحار
فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم فى المضايق من عظم اجسامهم ولانهم
اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم
او علما من عادته تعالى فى نصرة رسله وما عهدا من صنيعه تعالى لموسى فى قهر اعدائه
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اى مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى
انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ما داموا فيها بدل من ابدا
بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا هٰهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله
ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب انى
لا املك الا نفسى واخى قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم
ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه
لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخى من يواخينى فى الدين فيدخلان فيه
ويحتمل نصبه عطفا على نفسى او اسم ان ورفعه عطفا على الضمير فى لا املك او على محل
ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير فى نفسى فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا
وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها
ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون فى الارض عامل الظرف اما محرمة
فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التى كتب الله لكم ويؤيد ذلك
ما روى ان موسى سار بعد بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح اريحا واقام بها ما شاء الله
ثم قبض وقيل انه قبض فى التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبى وان الله امرهم
بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبنى اسرائيل واما يتيهون
اى يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض
المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا فى التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم
روى انهم لبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم
بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع عليهم بالليل فيضئ
لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون
كانا معهم فى التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة فى درجتهما وعقوبة لهم وانهما

ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء
فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على
الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابنى آدم قابيل وهابيل
اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لان توأمه
كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار
فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابنى آدم لصلبه وانهما رجلان
من بنى اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بنى اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اى تلاوة
ملتبسة بالحق او حال من الضمير فى اتل او من نبأ اى ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب
الاولين اذ قربا قربانا ظرف النبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اى اتل عليهم
نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان
اسم ما يحلى اى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد
منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع
وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص
النية فى قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له
على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين فى جوابه اى انما اتيت من قبل نفسك
بترك التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه من تقصيره
ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه
وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك
لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله
واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام
كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط فى جواب لئن بسطت
للتبرى من هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك
اكد النفى بالباء انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء
الظالمين تعليل للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك
ارادة اثمى لو بسطت اليك يدى واثمك ببسطك يدك الى ونحوه قوله عليه السلام
المستبان ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمى اثم قتلى وباثمك
الذى لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما فى موضع الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمين
حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصد بهذا الكلام الى ان ذلك
ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لى فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون
لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصى جائزة فطوعت له
نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت

على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كان تدعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة
الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة
عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة
في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوأة
اخيه روى انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بنى آدم
فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه
في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يوارى والجملة ثاني
مفعولي يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال
يا ويلتى كلمة تجزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضرى فهذا
اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة
اخى لا اهتدى الى ما اهتدى اليه وقوله فاوارى عطف على اكون وليس جواب الاستفهام
اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اوارى او على تسكين المنصوب
تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته
سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه الغراب واسوداد لونه وتبرء ابويه اذ روى انه لما قتله
اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جسدك وتبرء عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله
لاجله من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل
مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات لقولهم من جراك فعلته اى من ان جررته
اى جنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اى ابتداء
الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص
او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا
من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرى الناس عليه او من حيث ان قتل
الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما
احيا الناس جميعا اى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ
من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل
النفس واحياؤها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون
اى بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل
بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في
الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد
عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله يحاربون اولياءهما

وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به ههنا
قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض
فسادا اى مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا
فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اى قصاصا من غير صلب
ان افردوا القتل او يصلبوا اى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء
خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا
او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع ان اقتصروا
على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير
والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع الطريق ذلك لهم خزى في الدنيا ذل
وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل
ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى
فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة
وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط
الحد وان سقط العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه
العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة اى الى الله ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك
المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا
في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله
والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال
جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة
واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض
وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى
عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله معه بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما
في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل الى الخلاص منه ولهم
عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين
بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان
عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند
المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذى سرق والتى سرقت
وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل

والسرقة اخذ مال الغير بالخفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار
او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك
لاحاديث وردت في ذلك وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد
بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى
كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو
ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام
اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له
او المصدر دل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه
اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب
عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة اما القطع فلا يسقطه
عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
الخطاب للنبي عليه السلام او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء
قدير قدم التعذيب على المغفرة ايتاء على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب
مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين
قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا
لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا
سماعون للكذب خبر مبتدا محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون
ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين هادوا خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام
في الكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما تفتريه الاحبار
او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم
آخرين لم ياتوك اي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا
في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك
لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني التاكيد
اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي
وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير
مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف
لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم
هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم
محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنا
بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم
فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي
لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي
انزل عليكم كتابه حلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال
خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين
فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له
من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله
ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي
هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الاخرة عذاب عظيم وهو الخلود في
النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين
سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله
لانه مسحوت البركة قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان
كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض
ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي والاصح وجوبه
اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والآية
ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا
بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم
بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم
شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم
من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه
على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون
عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف
وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث
في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك
الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك
بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا
التورية فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها
النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا
ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين
مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء

واقتداء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل
على ان النبيون انبياء هم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون
طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم
بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا
عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا
فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها
خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها
ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا فاولئك هم
الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون
والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون
كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها
او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون
في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا عليهم فيها في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس
تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها
الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى فكانه قيل كتبنا عليهم النفس
بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستأنفة
ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة
بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله
بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة
للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو
وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا
عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه
وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء
ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم
اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول به لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون
بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية
وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا
لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز
نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم
وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم وامرنا بان ليحكم ومن لم

بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به
والاية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى
وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل
باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا لما
بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا
عليه ورقيبا على سائر الكتب المحفوظة من التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات
وقرئ على بنية المفعول اي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ هو الله تعالى
او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى
لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس
شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية
وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به
على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة
على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب
وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتيكم
من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين
ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا
الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم
جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر
وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق
اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير امرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم
واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي ان يضلوك ويصرفوك عنه
وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة
ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا
يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين
قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم
انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك
تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع عظمته واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على
التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد ° او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا

من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه أفحكم الجاهلية يبغون الذي
هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل
نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بما كان يحكم به
أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على أنه مبتدأ ويبغون خبره وراجعه
محذوف حذفه في الصلة كما في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك
في غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية أي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهوتهم
وقرأ ابن عامر بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم
يوقنون أي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون
فإنهم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكما
من الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فلا تعتمدوا عليهم
ولا تعاشروهم معاشرة الأحباب بعضهم أولياء بعض إيماء إلى علة النهي أي فإنهم متفقون
على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم
منكم فإنه منهم أي ومن والاهم فإنه من جملتهم وهو التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال
عليه السلام لا تتراءى ناراهما أو لأن الموالين لهم كانوا منافقين إن الله لا يهدي القوم الظالمين
أي الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار والمؤمنون بموالاة أعدائهم فترى الذين في
قلوبهم مرض يعني ابن أبي وأضرابه يسارعون فيهم أي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون
نخشى أن تصيبنا دائرة يعتذرون بأنهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان
بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار روي أن عبادة بن الصامت قال لرسول الله
عليه السلام إن لي موالي من اليهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من موالاتهم
وأوالي الله ورسوله فقال ابن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي فنزلت
فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله على أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده
يقطع شأفة اليهود من القتل والإجلاء أو الأمر بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم
فيصبحوا أي هؤلاء المنافقون على ما أسروا في أنفسهم نادمين على ما استبطنوه
من الكفر والشك في أمر الرسول عليه السلام فضلا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم
ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على أنه كلام مبتدأ ويؤيده
قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون
حينئذ وبالنصب قراءة أبو عمرو ويعقوب عطفا على أن يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال
عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا أو يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى
مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث أو على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتي بالفتح ويقول المؤمنين
فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم
يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الإخلاص

أو يقولونه لليهود فإن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم
لننصرنكم وجهد الأيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير
وأقسموا بالله يجتهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ
كونها معرفة أو على المصدر لأنه بمعنى أقسموا حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين إما من جملة
المقول أو من قول الله شهادة لهم بحبوط أعمالهم وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط
أعمالهم وما أخسرهم يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرأه على الأصل نافع
وابن عامر وهو كذلك في الإمام والباقون بالإدغام وهذا من الكائنات التي أخبر الله عنها
قبل وقوعها وقد ارتدت من العرب في أواخر عهد رسول الله عليه السلام ثلاث فرق بنو مدلج
وكان رئيسهم ذو الحمار الأسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز
الديلمي ليلة قبض رسول الله عليه السلام من غدها وأخبر الرسول في تلك الليلة
فسر المسلمون وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن
الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد
فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر بجند المسلمين
وقتله الوحشي قاتل حمزة وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وفي عهد أبي بكر
سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل
وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبية زوجة مسيلمة
وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله أمرهم على يده
وفي عهد عمر غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام فسوف يأتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه قيل هم أهل اليمن لما روي أنه عليه السلام لما نزلت أشار إلى أبي موسى الأشعري
وقال قوم هذا وقيل الفرس لأنه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال
هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة
وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس والراجع إلى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله
بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد إرادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب
في الآخرة ومحبة العباد له إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه أذلة على المؤمنين عاطفين
عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل واستعماله مع على إما لتضمين معنى العطف
أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أو للمقابلة أعزة
على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون
في سبيل الله صفة أخرى لقوم أو حال من الضمير في أعزة ولا يخافون لومة لائم
عطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه

او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين
خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة
المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف
فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله
انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها
وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الموالاة لله على الاصالة ولرسوله
والمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا
فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز ان يكون نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون
متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة
في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضه
حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته
زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل
الجمع على الواحد خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس
في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها
وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم اولياء
فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها
على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون
وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء
فهم حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار
اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها
على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار
على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين
خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق
رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين
واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين
بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة
او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع
المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار
واهله نيام فتطاير شررة في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي

الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا
وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة
الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم
فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا
الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم
فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم
او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم
او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع
على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال
يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به
فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى
لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة
عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا
موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله
وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من شر على حذف مضاف اي بشر
من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه او خبر محذوف اي هو من لعنه الله
وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح
الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى
وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد
الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت
وعبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرأ عابد
الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم
او ان اصله عبدة فحذف التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت
بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله
اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم
وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى
وقدح اليهود والمراد بصيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين
في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك
كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان
من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا

لما فيهما من التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال
والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي من اليهود
او من المنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله تعالى عن قولهم الاثم
والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون
لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت
تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل
افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان
الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم لان
ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك
الانكار عليها وكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي ممسك يقتر بالرزق
وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك
يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده
ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله قد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد
او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغللون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار
في الاخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله
دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود
فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطي
للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة
ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز
جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما
فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء قال ذلك لما كف الله عن اليهود
ما بسط عليهم من السعة بشوم تكذيبهم محمدا عليه السلام واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون
طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء
والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فلا يتوافق قلوبهم ولا تتطابق
اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله كلما ارادوا حرب رسول الله عليه السلام
واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد
غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس
الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا

او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة
الحرب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان
اهل الكتاب آمنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم
سيئاتهم اي التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم
داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله
وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل
باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة
فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض
او يكثر ثمرات الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل منها من رأس
الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم
لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين
منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملون
وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط
في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب
احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل فان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته
فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة
فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا
من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك
من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله
لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي عليه السلام بعثني الله برسالته
فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس
كان رسول الله عليه السلام يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها
الناس فقد عصمني الله من الناس فظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ
ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم
افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل
حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد
والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة
بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم

زيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين
مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق
تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير
عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك
كذا كقوله فانى وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق
وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها
يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون
والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا
وانت بما عندك راض والرأى مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط
بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان
ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا
وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة
وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع
بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر مبتدأ كما مر والراجع
محذوف اى من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين
وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة
الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا
ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا
كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول
منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء بيقتلون موضع
قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان
ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة رؤس الآى وحسبوا ان لا تكون فتنة
اى وحسب بنو اسرائيل ان لا تصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو
وحمزة والكسائي ان لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون
وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان وان
بما في حيزهما سادة مسد مفعوليه فعموا عن الدين والدلائل والهدى وصموا عن استماع
الحق كما ضلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله عليهم
ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم
وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة
الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اى العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة

قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم
وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك
بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة
يمنع دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين وماويه النار فانها المعدة
للمشركين وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر
موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون
تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا
اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلثة اى احد ثلثة وهو حكاية عما قالوا النسطورية والملكانية منهم القائلون
بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد
وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون
ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر
او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم
وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم يقلع عنه ولذلك عقبه بقوله
افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال
الزايغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد
والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب
من اصرارهم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول
كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيا الموتى على يده فقد احيا العصى وجعلها
حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام
وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق ويصدقن الانبياء
كانا ياكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال
ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على
نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من مواد المركبات الكائنة الفاسدة
ثم عجب ممن يدعى الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف
نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم
لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله
اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة

والسمعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته وتوطئة لنفي القدرة عنه رأسا وتنبيها
على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية
وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد
فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق
اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة
وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم
وائمتهم الذين قد ضلوا قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا
ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي
هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل
والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود
وعيسى بن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا
في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام
ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه
او عن منكر ارادوا فعله وتهيئوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه
اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم
من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله
عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود
في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا
وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون
خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى
التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم
مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم
على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود
وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان
كان في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون

وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض
انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء
كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا
او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله
يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد عليه السلام فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا
بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار
واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول
في مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى
الفعل اي واي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه
ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن
او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن
فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل
او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه
بعث اليه رسول الله بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان
والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل
نزلت في ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله عليه السلام فقرأ
عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم
عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين
وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى
على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء
عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين
ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية
عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان
بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا
اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا
في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر
بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام

واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا اى كلوا ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول
كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا
ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر
محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لو لم يقع لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا
الله الذى انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد
كقول الرجل لا والله بلى والله واليه ذهب الامام الشافعى وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك
ولو لم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفى ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائى
وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل
بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره
على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين
ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير اطعام عشرة مساكين
من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده فى النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا
ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا
عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون
وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها فى الاحوال الثلثة كالالف وهو جمع اهل كالليالى
فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وقيل هو جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام
او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار
وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا
وتقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف فى محل الرفع تقديره
او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعى الايمان قياسا
على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين
فمن لم يجد اى واحدا منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة
فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا
ولم يرو سنة ذلك اى المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا
ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت
بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اى مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام
شرايعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين
يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التى

نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها فى اوائل السورة رجس قذر تعاف عنه العقول
وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف كانه قال انما تعاطى الخمر والميسر
من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر
او للتعاطى لعلكم تفلحون اى لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر
والميسر فى هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا
وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب
عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية
والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة و
البغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة
الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام
للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن
وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان
من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الباطل ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام
مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر فى المنع
والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امر
واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين
اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به
انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم
لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال
الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء
المعاصى واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر
قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر
فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث
استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله
ولذلك بدل الايمان بالاحسان فى المرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلام فى تفسيره او باعتبار
المراتب الثلث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات
توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس
عن الخسة وتهذيبا له عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشئ
وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين آمنوا
ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت فى عام الحديبية ابتلاهم
الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم

وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي
تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو
اشد منه **ليعلم الله من يخافه بالغيب** ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة
ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره
او تعلق العلم **فمن اعتدى بعد ذلك** الابتلاء بالصيد **فله عذاب اليم** فالوعيد لاحق
فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما يكون النفس اميل اليه
واحرص عليه **يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم** اي محرمون جمع حرام كرداح
وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب
فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب
والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه
على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم
بالميتة ومذبوح الوثني او لا يكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب **ومن قتله**
منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثرون على ان ذكره
ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله
ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش
فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت **فجزاء مثل ما قتل من النعم** برفع الجزاء والمثل
قرأ الكوفيون ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار
بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها
وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي
لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء
او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة
عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت
ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين يوما وان لم تبلغ
نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ
تخير بين الطعام والصوم واللفظ للاول اوفق **يحكم به ذوا عدل منكم** صفة جزاء
ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر
لما كان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما
فان الانواع يتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام **هديا** حال من الهاء
في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن
نصبه **بالغ الكعبة** وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم
والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء **او كفارة** عطف على جزاء

ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف **طعام مساكين** عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف
اي وهي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة
والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد
فيعطي كل مسكين مدا **او عدل ذلك صياما** او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام
كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء
في المقدار كعدلي الجمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل **ليذوق وبال**
امره متعلق بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء
عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه
الطعام الوبيل **عفا الله عما سلف** من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم
او في هذه المرة **ومن عاد** الى مثل هذا **فينتقم الله منه** فهو ينتقم الله منه وليس فيه
ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح **والله عزيز ذو انتقام** ممن اصر
على عصيانه **احل لكم صيد البحر** ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله
عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل
يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر **وطعامه** ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد
وطعامه اكله **متاعا لكم** تمتيعا لكم نصب على الغرض **وللسيارة** اي ولسيارتكم يتزودونه
قديدا **وحرم عليكم صيد البر** ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم
ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد
حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم **ما دمتم حرما** اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام
يدام **واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة** صيرها وانما سمي البيت
كعبة لتكعبه **البيت الحرام** عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني **قياما للناس**
انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه
الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم
وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر
او الحال **والشهر الحرام والهدي والقلائد** سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي
يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرائنه وقيل الجنس **ذلك** اشارة الى الجعل
او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره **لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات**
وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار وجلب المنافع المرتبة عليه دليل حكمة الشارع
وكمال علمه **وان الله بكل شيء عليم** تعميم بعد تخصيص ومبالغة اطلاق **اعلموا ان الله**
شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ
عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه **ما على الرسول الا البلاغ** تشديد في ايجاب القيام
بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرا في التفريط **والله يعلم ما تبدون**

وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب
حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها
رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة
دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال
فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل
لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم
المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا
عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية
وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم
تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال
وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلب لامه
فجعل لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع شيء على ان اصله شيّء كهيّن او شيئ كصديق
فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها
صفة اخرى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس
حج البيت قال سراقة بن مالك أكل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت
نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئناف اي عفا الله
عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط
منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة
ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار
وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسئلة التي
دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها
وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها
ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا ما جعل الله من بحيرة
ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت
الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب
ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم
الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما
قالوا وصلت الاخ فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره
ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى
الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك
ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر والناهي ولكنهم يقلدون

كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا
بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال
اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح
بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم
احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم
وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم
مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا
واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا
اسلم قالوا سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده
ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد
المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد
وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد
ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بفعل غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم
اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع
وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت
اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية
مما ينبغي ان لا يتهاون فيها او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على
حذف المضاف ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران
من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم
لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم
الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف
المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان
منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استئناف كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين
فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل
وملائكة النهار وقيل اي صلوة كانت فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث
منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال
الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا
بالطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم عليه قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري

ولا نكتم شهادة الله اى الشهادة التى امر الله باقامتها وعن الشعبى انه وقف على شهادة
ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى بغير مد
كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اى ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اى فعلا
ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم
من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان
الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان
او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير فى يقومان وقرأ حمزة ويعقوب
وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اى من الذين استحق عليهم وقرئ
الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان
بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا
فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان
اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد عدلين من ذوى نسبه
او دينه على وصيته او يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخران من غيرهم
ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطلع
على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان
الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا
وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصى باليمين
لامانته او لتغيير الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن بدى خرجا الى الشام للتجارة
وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام
مرض بديل فدون ما معه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا
متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا
بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله
فنزلت يا ايها الذين آمنوا فحلفهما رسول الله عليه السلام بعد صلوة العصر عند المنبر
وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء فى ايديهما فاتاهم بنو سهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه
ولكن لم يكن عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد
بخصوص الواقعة ذلك اى الحكم الذى تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة
على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم اى ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فتفضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة
وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة

والله لا يهدى القوم الفاسقين اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله
لا يهدى القوم الفاسقين اى لا يهديهم الى الحجة والى طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله
الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف
المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر فيقول اى للرسل ماذا اجبتم
اى اجابة اجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر او باى شئ اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال
لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اى لا علم لنا
بما كنت تعلم انك انت علام الغيوب فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا
فى قلوبهم وفيه التشكى ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك
ولا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله
انك انت اى انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء
اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة
ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر
عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار
اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتى او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس
بجبريل عليه السلام او بالكلام الذى يحيى به الدين والنفس حيوة ابدية ويطهر من الآثام
ويؤيده قوله تكلم الناس فى المهد وكهلا اى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولية
والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله فى الطفولية بحال الكهولية فى كمال العقل والتكلم
وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل التكهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى
وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى سبق تفسيرها فى آل عمران وقرأ
نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بنى اسرائيل عنك
حين هموا بقتلك اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم
ان هذا الا سحر مبين اى ما هذا الذى جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر فالاشارة
الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين اى امرتهم على لسنة رسلى ان آمنوا بى
وبرسولى ان يجوز ان يكون مصدرية وان يكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون
مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها
منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع
ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه
الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى
هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى
هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان

اذا كان عليه الطعام من ماد الماء اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه
ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال
قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان
لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة
الى العلم الاستدلالي بكمال القدرة ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا
ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين
للخبر قال عيسى بن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه فاراد
الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا
وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا
ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا
وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها
اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت
خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها
عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل
مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف
حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير
ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين
ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني سمن
وعلى الثالث عسل وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا
ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله
ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله
فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا
وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون
حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض
الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء
والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها
بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد انه هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات

وعن بعض الصوفية ان المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان
الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق ولم يستعدوا للوقوف
عليها وقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها
فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل
ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله
ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة
لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع
عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم
لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل
الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك
اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول
قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك
للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار
منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم
ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط
البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعول له
مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان
مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة
تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر وكان مثل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا
لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك الي
والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد
الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات وانت على كل شيء شهيد
مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض
على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك
وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك
القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب
فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم وان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك

مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف
مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني
على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق
الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك
السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير تنبيه على كذب النصارى
وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا لغير العقلاء وقال وما فيهن
اتباعا لهم لانه غير اولى العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية
واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس
كلها فهو اولى بارادة العموم وعن النبي عليه السلام من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر
حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني تنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست او ثلث من قل تعالوا وهي مائة وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى
حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين
هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات
متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل
الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه
معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل
تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام
الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد
وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية
ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به
يعدلون فيكفرون نعمته ويكفرون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم
وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه
ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء
على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل
وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به

هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر
خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة
وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث وقيل الاول لمن مضى
والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذا استغنى عن تقديم الخبر
والاستيناف به لتعظيمه ولذا نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير
واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم
تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم
فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع
تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك
واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي
الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء
اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي
لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد
فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم
بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر
فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب
اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية
للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او اية من ايات القرآن الا
كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن
وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا به لما جاءهم
او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون
عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم
ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا او الاخرة او عند ظهور الاسلام
وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب
اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم
قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا
وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والالات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها
ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة
والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر
او السحاب والمظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم
فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم

شيئا وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان اهلك
من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير
لا يقع فيه ولا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع
وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه
ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر
جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث
عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون
بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون
جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة
يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا
قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية
فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبيا
بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم
ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام ولبّسنا بالتشديد
للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى
من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الشيء الذي كانوا
يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا
والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا
ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في
السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه متعين
للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا
واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب
الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم
للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم
على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته بعثه اياكم
وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او للجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم
وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر
اي وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم

مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال
النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل
والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه
او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع
العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم
قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي
الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض
مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما
انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ
بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام
لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى
كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما
للفاعل على ان الثاني من اطعم وعلى معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط
قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي عليه السلام سابق امته في الدين ولا تكونن من
المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب
والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ
اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان
الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه
نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر
ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة وصحة
فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله
فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة
وهو الحكيم في تدبيره وامره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة
نزلت حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر
ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه
في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان
يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا
القرآن لانذركم به اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير
المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم
به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين

وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله
آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد
اى بل اشهد ان لا اله الا الله واننى برئ مما تشركون يعنى الاصنام الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التورية والانجيل
كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون
لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله
وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا وانما
ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط
فى الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم
نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اى آلهتكم
التى جعلتموها شركاء لله وقرا يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم
انهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم
وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم
ولكن لما لم ينفعهم فكانهم غيب ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته
وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل
جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الاخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر
وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر بالياء والنصب
على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب
والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة
كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند
انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم
فى الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون
لكم وقرا حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر
وعقبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه
ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان
وهو ما يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا يمنع من استماعه
وقد مر تحقيق ذلك فى اول البقرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام
التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاؤك يجادلونك
وحتى هى التى تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا

الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك
حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول
تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط
وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القران او الرسول والايمان به وينأون عنه
بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله عليه السلام وينأون عنه فلا يؤمنون به
كابى طالب وان يهلكون اى وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون اى ضررهم
لا يتعدى الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اى لو تراهم حين يوقفون
على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها
لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا
يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين
استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود انا لا اعود تركتنى او لم
تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم المتمنى وقوله وانهم لكاذبون
راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار
ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى
على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى
والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما
على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا الى الدنيا بعد الظهور والوقوف لعادوا لما نهوا عنه
من الكفر والمعاصى وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على
انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه فى الدنيا ان هى الا حياتنا الدنيا
الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ
وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق
كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث
وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر
غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث
وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة
فجاة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها قصرنا
فى الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة يعنى فى شانها والايمان بها
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون
بئس شيئا يزرون وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو
يلهى الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم

اي هي الا حيوتنا الدنيا وللدار الاخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها
وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرا ابن عامر ولدار
الاخرة افلا تعقلون اي الامرين خير وقرا نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين
او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل
وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن
فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرا نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا
او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بايات الله و
يكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم جحدوا بما جحدوا لتمرنهم على الظلم
والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا
صادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا
على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء
بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين الايات ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم
وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت
ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع
لهم آية او مصعدا تصعد فيه الى السماء فتنزل منه آية وفي الارض صفة نفقا وفي السماء
صفة سلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني
محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام
قومه وانه لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا
ولكن لم يتعلق به مشيته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى
بان ياتيهم باية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص
على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون
انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى
الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون
للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اي اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الايات
المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية
تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله
قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرا ابن كثير
ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض يدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه

في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم
امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود منه الدلالة على كمال
قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم
للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في
العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه
ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول
فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى
ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضهم من بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء
وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات
الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتاثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون
بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد
وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشإ الله يضلله من يشاء
الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم
بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب
اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت
الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الاية ان يقال
ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها
ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون
وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه
تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف
ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الاخرة وتنسون
ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول انه القادر على كشف الضر
دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك
ومن زائدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة
والفقر والضراء الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون
يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي
تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم
الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به
من الباساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة
عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة

او مكراً بهم لما روي انه عليه السلام قال مُكِرَ بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتّحنا
بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا
اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحيرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم
بحيث لم يبق منهم احد من دَبَرَه دَبْراً ودبوراً اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم
فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم
واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله
يأتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف
الآيات ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات
وظهورها قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة تتقدمها امارة
تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك
سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ
يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين للكافرين
بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع
لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا
يمسهم العذاب جعل العذاب ماساً لهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى عنه عن التوصيف
بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله مقدوراته وخزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل
وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون
عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية او الملكية وادعى النبوة التي
هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي
الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي والجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية
او الملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء
الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص منه وانذر به الضمير لما يوحى
الى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون
للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين
الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان
المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم
وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء

المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد
المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت
حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة
والعشي الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه
حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك
الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله
اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم
واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا
في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك
من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم
بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي
فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر
وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور
الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف
قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء من انعم الله
عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء
وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا
ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله
باعلم بالشاكرين بمن يقع منهم الايمان والشكر فيوفقه ومن لا يقع منه فيخذله واذا
جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين
يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ما وصفهم
بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله
وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك
ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة
وقيل ان قوما جاؤا الى النبي عليه السلام فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا
فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا
بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضه فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهلة
فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل
او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول

غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فأمره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح
نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والأوابين و
لتستبين سبيل المجرمين قراءة نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد
سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو
ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع
على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الآيات
ليظهر الحق ولتستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي
من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون
من دون الله ما تدعونها آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تأكيد لقطع اطماعهم
واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ
ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد
قد ضللت اذًا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى
حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه
بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها
القرآن والوحي والحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز
ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار
المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتأخيره يقض الحق
اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اي صنعها فيما يقضي من تعجيل
وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل وقرأ ابن كثير
ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان
عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كأنه قال
ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم
وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفتاح الذي هو جمع مفتح بالكسر
وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها
لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته
حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في
البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات
وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض
ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء

الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف
على محل من ورقة او للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه
ويراقبكم استعير التوفي من الموت لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله
قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب
جريا على العادة ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار
ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون
كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور
في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل
الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة يحفظون
اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض
على رؤوس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه
وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته
رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتأخير
وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه
وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح
الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار
حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت
الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم
ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف
والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية
بالكسر لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا
وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها
شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون
الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك
في عبادة الله فكأنه لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف
بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم
يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها
بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا

انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك
اى بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل
بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبإ
خبر يريد انباء العذاب والايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون
عند وقوعه فى الدنيا او فى الآخرة واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا بالتكذيب
والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا
فى حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان
بان يشغلك بوسوسة حتى تنسى النهى وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد
الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم
ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين
يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من
شىء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض
وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم
ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شىء لان من حسابهم يأباه ولا على شىء لذلك ولان
من لا تزاد فى الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم
ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا ينثلم بمجالستهم
روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس
فى المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم
على التشهى وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم
البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا
عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم
واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا
باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى
انكروا البعث وذكر به اى بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك
وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت
منه والباسل للشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام ليس لها من دون الله
ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل
الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل
مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين
ابسلوا بما كسبوا اى سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم
شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم

بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا اى نعبد
من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا
ونرجع الى الشرك بعد اذ هدينا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذى استهوته
الشياطين كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا
اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد
اى مشبهين الذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته فى الارض حيران
متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى اى يهدونه
الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون
له ائتنا قل ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا
لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر
اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه
عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم
وان اقيموا روى ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا
كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق وتعظيما لشانه واظهارا للاتحاد
الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى خلق السموات
والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم
فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات
والارضين وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الهاء
فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول
لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة
فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب والشهادة
وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابراهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه
وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ
وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه او نعت
مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده
فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر
يفسره ما بعده اى اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ
آزر تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء
وهو يدل على انه علم انى اريك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك
نرى ابراهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ بالتاء ورفع الملكوت

ومعناه نبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل
عجايبها وبدايعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين
اى ليستدل وليكون او فعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى
تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه
كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق
النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله
هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه
بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما
افل اى غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب
بالاستار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتديا فى الطلوع
قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه
واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان
القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس بازغة
قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر
كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام
المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها ثم لما تبرا عنها توجه الى موجدها
ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات
والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال
لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال
وحاجه قومه وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله فى وحدانيته وقرا نافع وابن عامر
بتخفيف النون وقد هدان الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف معبودكم
فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من
جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من الهتهم وتهديدهم بعذاب الله وسع ربى كل شىء علما
كانه علة الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها
افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم
ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه
اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به
عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاى الفريقين احق بالامن اى الموحدون
والمشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف
منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه
او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الاية لما نزلت

شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس ما تظنون انما هو
ما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود
الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج
به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجونى اليه حجتنا
آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها او علمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك
وبمحذوف ان جعل بدله اى آتينا ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء فى العلم
والحكمة وقرا الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم
بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما هدينا
ونوحا هدينا من قبل اى من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف
الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب
ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم ولو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الاية
والتى بعدها والمذكورون فى الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب ابن اموص
من اسباط عيص ابن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين اى نجزى
المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا
ويحيى وعيسى وهو ابن مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس
قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الاية الاولى وقيل هو من اسباط
هارون اخى موسى كل من الصالحين الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز
عما لا ينبغى واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرا حمزة والكسائى والليسع وعلى القراءتين
علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد فى قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا
باعباء الخلافة كاهله ويونس وهو يونس بن متى ولوطا هو ابن هاران ابن اخى ابرهيم
وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن
آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء
بعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف
على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك
هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدى به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية
ولو اشركوا اى لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا
يعملون لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب
يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر
بها اى بهذه الثلثة هؤلاء يعنى قريشا فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها
بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبى عليه السلام
او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم

فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد
واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسي
بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف
ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف ولا اشبعها
ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا اسألكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم
كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ
او القرآن او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره
وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء
حين انكروا الوحي وبعثة الانبياء وذلك من عظايم رحمته وجلائل نعمته او في السخط
على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك
مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء
حملهم للتورية وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض
لا يشتهونه وروي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل
التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون
والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذايعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد عليه السلام ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان
هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش
قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره
وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم
فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون
او حال من المفعول او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب
انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله
ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي لتنذر
اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم
واعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس
وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي ولينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف
العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي عليه السلام والكتاب والضمير في به

يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه
احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن
ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين
تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله
وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال
ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده
من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ
او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوا الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا
عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت
الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة
واهانة فاضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد
والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها
ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد
وساير ما آثرتموه من الدنيا وعن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد
والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم
اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد
فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة
مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا
فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم
شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم
لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل
للفصل والوصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع
بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة
ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم
بطل وضاع ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب
والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي
يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب
ويخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق

فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان له ذلكم الله اى ذلكم المحيى المميت هو الذى يحق له العبادة
فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل
او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغلس الذى يليه والاصباح فى الاصل
مصدر اصبح اذا دخل فى الصبح يسمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب
على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه
اذا اطمأن اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه
جاعل فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان
فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا
يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما
بجعل مقدرا وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا اى على ادوار
مختلفة تحسب بها الاوقات ويكونان علمى الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا
اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم ذلك تقدير العزيز الذى قهرهما وسيرهما على الوجه
المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذى جعل لكم النجوم
خلقها لكم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها
اليهما للملابسة او فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض
منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذى انشأكم من نفس واحدة وهو ادم عليه السلام
فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار فى الاصلاب او فوق الارض واستيداع
فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف
على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار هنا
دون الاستيداع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها
ظاهر ومع ذكر تخليق بنى ادم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال
مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذى انزل من السماء
ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شىء نبت
كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المختلفة المفتنة بماء واحد
كما فى قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء
خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب
نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اى واخرجنا
من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شىء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان
ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنو وصنوان

وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع
دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها
لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شىء
وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم او وثمة جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه
على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب
على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان
او من الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة واللون والقدر والطعم
انظروا الى ثمره الى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو
جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا
لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه كيف يعود او الى نضيجه كيف يعود ضخما
ذا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر
وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون اى لايات
على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة
من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح
ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده
ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اى الملائكة
بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم
او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم
او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية
ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه
وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال
بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ
وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى جعلوا له اختلاقهم
للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء وقرئ
وحرفوا اى زوروا بنين وبنات فقال اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا
عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة
المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل
معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء
وخبره انى يكون له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد

وقرئ بالياء للفصل ولان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم
لا يخفى عليه مخافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية استدلال على نفي الولد
من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضون وهي مع انها من جنس ما يوصف
بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول
من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد
كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثاني انه لذاته
عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات
وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض
بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات
استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه
وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه لا تحيط به
الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به
المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في
الاية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا
لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها
وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف
اى لا يدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف
مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر
من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها
الحق وتبصرها فمن ابصر اى ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي
عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم
يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام وارد على لسان الرسول عليه السلام وكذلك
نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة
من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اى وليقولوا درست صرفنا
واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو ودارست اى دارست اهل
الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الايات وعفت
كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول
بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر
لشهرتهم بالدراسة ودرس اى عفون ودرس اى درس محمد صلى الله عليه وسلم ودارسات
اى قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه واللام على اصله لان التبيين
مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر

لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله
الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية
واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم ومن جعله منسوخا
باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم
ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك
عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله اى ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله
عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ
يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه عليه السلام
كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل
كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان
الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك
زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا
ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم
ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله
جهد ايمانهم مصدر في موضع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على
الرسول في طلب الايات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن
بها قل انما الايات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي
وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اى الاية المقترحة اذا جاءت
لا يؤمنون اى لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه
تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها اذا جاءت لا يؤمنون بها وهي لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل
اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال
وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا
في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم
انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اى وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة
كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الايات فيؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم
عطف على لا يؤمنون اى وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم
فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اى بما انزل من الايات اول مرة ونذرهم
في طغيانهم يعمهون ندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم
على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فاتوا

بآياتنا او ثاني بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشروا به وانذروا
او جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع
وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم
القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اى لا يؤمنون فى حال الا حال
مشية الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون
انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل
الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او لكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون
نزول الآية طمعا فى ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا اى كما جعلنا لك عدوا او جعلنا
لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين
الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى
ولكل متعلق به او حال منه يوحى بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس
او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه
اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر فى موضع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه
اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء
او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم
ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق
بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا
اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر
والصغو الميل والضمير لما له الضمير فى فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا
ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغى حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب
من يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل
عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذى انزل اليكم الكتاب
القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالباس وفيه تنبيه
على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب
به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم
بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنو
اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين
فى انهم يعلمون ذلك او فى انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب
التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل واحد
على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه وتمت كلمة ربك

بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا فى الاخبار والمواعيد وعدلا فى الاقضية
والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا
منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتورية
على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبى
ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به
او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من
فى الارض اى اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة
يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال فى غالب الامر لا يأمر الا
بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم
وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله
فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة وتحليل الميتة وتحريم
البحائر او يقدرون انهم على شىء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة فى محل النصب
بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر فى مثل ذلك او استفهامية مرفوعة
بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اى يضله الله
فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله
من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى
يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب
عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله
على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان
بها يقتضى استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه
واى غرض فى ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم
بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول
ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم
فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقرأ
الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل
يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا
ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا فى الحوانيت
واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تأكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر فى تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود
وعن احمد مثله وقال مالك والشافعى بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر

اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه
لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي
دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم
بقولهم تاكلون مما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة
وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره
واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي اومن كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال
وجعل له نور الحجج والايات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل
وقرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات
وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل
لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين ما كانوا
يعملون والاية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل
قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا
في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم
المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل
بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها
وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم
لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل
ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف حتى اذا
صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت
الله اعلم حيث يجعل رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي
بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها
وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب
الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله
وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه
يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو
كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار
عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا
هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق
فلا يدخله الايمان وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق

والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره
بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة وتنبيه على ان
الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن
الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر
عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله
الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر
للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القران او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق
والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته
مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة
والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر
هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد
حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها
او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده
لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم
بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير
لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين
قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا
معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا
استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها
والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون
بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان
واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثويكم منزلكم او ذات مثويكم
خالدين فيها حال والعامل فيها مثويكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا
الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل
الدخول كانه قيل النار مثويكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باحوال
الثقلين واعمالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل
بعضهم يتولى بعضا فيغويهم اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا
يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس
خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان
يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم

وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولّوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم
اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا
بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطا رايهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيا
واللذات المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة
على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة
الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم
واهلها غافلون تعليل الحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء
كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما
وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا
من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به
من ثواب او عقاب وقرا ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد
والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على
ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله
ان يشا يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم
ما يشاء من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم
انما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ تمكن او على
ناحيتكم وجهتكم وحالكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرا ابو بكر
عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القران وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم
اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة
في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان
المهدد لا ياتي منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون
له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها
هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون
اي فسوف تعرفون الذي له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه
على وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي
انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمون موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا
لله اي مشركو العرب مما ذرا خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا
لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم
كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منها

لآلهتهم

لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم
وان راوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرا تنبيه على فرط جهالتهم
فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي
له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرا الكسائي بالضم
في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء بالكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا
وكذلك ومثل ذلك التزيين في القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
بالواد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر
زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه
مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله
فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع
شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم
وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل
ان كان التزيين من الشيطان وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل
المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون
افتراهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر
حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم
وحرج اي ضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء
بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحاير والسوايب والحوامي وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على
ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا
او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم
بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحاير
والسوايب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث
ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث
الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن
بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر
او مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانه لا تتقدم على
العامل المعنوي وعلى صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة
الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فيه لان المراد
بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب

على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم الكذب إنه حكيم عليم قد خسر الذين
قتلوا أولادهم سفهاً يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر
وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله
رازق أولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال أو المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر
ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
إلى الحق والصواب وهو الذي أنشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما
يحملها وغير معروشات على وجه الأرض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروش
ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفاً أكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة
والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه أو للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفاً
عليه أو للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منهما ومختلفاً حال مقدرة لأنه لم يكن كذلك
عند الإنشاء والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه يتشابه بعض أفرادهما في اللون
والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك إذا أثمر وإن لم يدرك
ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله وآتوا حقه يوم
حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة لأنها فرضت بالمدينة
والآية مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى
لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة
والكسائي حِصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها
كل البسط إنه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الأنعام حمولة وفرشاً عطف
على جنات أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش المنسوج من شعره
وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش
عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما أحل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل
والتحريم من عند أنفسكم إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية أزواج بدل من حمولة
وفرشاً أو مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما أو فعل دل عليه أو حال منهما بمعنى مختلفة أو متعددة
والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الأول من الضأن اثنين
زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس
كالإبل وجمعه ضئين أو جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز
اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز
كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز
حرم أم الأنثيين أم أنثييهما ونصب الذكرين والأنثيين بحرم أما اشتملت عليه
أرحام الأنثيين أي ما حملت إناث الجنسين ذكراً كان أو أنثى نبئوني بعلم بأمر معلوم
يدل على أن الله حرم شيئاً من ذلك إن كنتم صادقين في دعوى التحريم ومن الإبل اثنين

ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين كما سبق
والمعنى إنكار أن الله حرم من الأجناس الأربعة ذكراً وأنثى وما تحمل إناثها رداً عليهم فإنهم
كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيف كانت تارة زاعمين
أن الله حرمها أم كنتم شهداء بل أكنتم حاضرين شاهدين إذ وصاكم الله بهذا حين
وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة
والسماع فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً فنسب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون
لذلك أو عمرو بن لحي المؤسس لذلك ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين
قل لا أجد فيما أوحي إلي أي في القرآن أو فيما أوحي إلي مطلقاً وفيه تنبيه على أن التحريم
إنما يعلم بالوحي لا بالهوى محرماً طعاماً محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة إلا أن يكون
الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع
ميتة على أن كان هي التامة وقوله أو دماً مسفوحاً عطف على أن مع ما في حيزه أي إلا وجود
ميتة أو دماً مسفوحاً أي مصبوباً كالدم في العروق لا كالكبد والطحال أو لحم خنزير فإنه
رجس فإن الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسة أو خبيث مخبث أو فسقاً عطف
على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل أهل لغير الله به صفة موضحة وإنما سمي ما ذبح على
اسم الصنم فسقاً لتوغله في الفسق ويجوز أن يكون فسقاً مفعولاً له لأهل وهو عطف
على يكون والمستكن فيه راجع إلى ما رجع إليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة إلى تناول
شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فإن ربك غفور رحيم
لا يؤاخذه والآية محكمة لأنها تدل على أنه لم يجد فيما أوحي إلى تلك الغاية محرماً غير هذه
وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد
وعلى حل الأشياء غيرها إلا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ماله
أصبع كالإبل والسباع والطيور وقيل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفراً مجازاً ولعل المسبب
عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والإضافة
لزيادة الربط إلا ما حملت ظهورهما إلا ما علقت بظهورهما أو الحوايا أو ما اشتملت على الأمعاء
جمع حاوية أو حاوياء كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما
وأو بمعنى الواو أو ما اختلط بعظم هو شحوم الألية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم
أو الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون في الأخبار والوعد والوعيد
فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بإمهاله فإنه
لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل أو ذو رحمة واسعة للمطيعين
وذو بأس شديد على المجرمين فأقام ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على إنزال البأس عليهم
مع الدلالة على أنه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين أشركوا إخبار عن مستقبل
ووقوع مخبره يدل على إعجازه لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء أي لو شاء

خلاف ذلك مشية ارتضاء كقوله فلو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا نحن وآباؤنا ارادوا
بذلك انهم على الحق المشروع المرتضى عند الله لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله
اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم
اى مثل هذا التكذيب لك فى ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل
وعطف آباؤنا على الضمير فى اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذى انزلنا
عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا
فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون فى ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون
تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع
اذ الاية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة
على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم
وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين
قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع
عند بنى تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون
فى اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فخففت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد
لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما فى الاية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون
ان الله حرم هذا يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم
وانه لا متمسك لهم كمن تقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد بهم
فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمهم موافقة لهم
فى الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على ان مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها
والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا
قل تعالوا امر من التعالى واصله ان يكون من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم
اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان يكون استفهامية
منصوبة بحرم والجملة مفعول لاتل لانه بمعنى اقل اى اى شىء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم
او اتل ان لا تشركوا به اى لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر
بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب
بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير
اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول
وبالوالدين احسانا اى واحسنوا بهم احسانا ووضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما
للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة فى شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم
من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية

ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا
ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التى
حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به
بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتى هى احسن الا بالفعلة التى هى احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده
حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا
الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها
ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسير فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه
معفو عنكم واذا قلتم فى حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له
او عليه من ذوى قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية
احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطى مستقيما
الاشارة الى ما ذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ
حمزة والكسائى بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون
به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ
وهذا صراطى ربك وهذا صراط ربكم ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة
للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبايع والعادات
فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع
وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم
وثم للتراخى فى الاخبار او للتفاوت فى الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا
ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذى احسن على من احسن القيام به
ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا او على الذى احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه
اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى على
الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شىء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه
فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم
لعل بنى اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اى بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعنى القرآن انزلناه مبارك
كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا
كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى
ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور من الكتب السماوية حينئذ لم يكن
غير كتبهم وان كنا ان هى المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبر كان اى وانه كنا عن دراستهم
قراءتهم لغافلين لا ندرى ما هى ولا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا

من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم وصدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل اية يعني ايات القيمة والهلاك الكلي لقوله او ياتي بعض ايات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف رسول الله عليه السلام فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن امنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع بالجد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة وقرا حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او عن عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرا يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا مستقيما

كقوله صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة او الخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرا نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال في موضع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ببيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما اتيكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو ات قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم ولم يضفه الى نفسه ووصف انه بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله عليه السلام انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية الا ثمان ايات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا محكم كلها وقيل الا قوله اعرض عن الجاهلين مائتان وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القران انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان يكذب فيه او يقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف والجواب وكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن

انه من عند الله حرج على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين
يحتمل النصب باضمار فعلها اى لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر
والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعنى القران والسنة
لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن
والانس وقيل الضمير فى من دونه لما انزل ولا تتبعوا من دون دين الله اولياء وقرئ ولا تبتغوا
قليلا ما تذكرون اى تذكرا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره
وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرا حمزة والكسائى
وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبى عليه السلام
وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاكها او اهلكناها بالخذلان فجاءها
فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف
عليه اى قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفى
عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفى التعبير مبالغة
فى غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون
مجئ العذاب فيهما افظع فما كان دعويهم اى دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم
اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه
تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن
المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله ولا يسئل
عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة
فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم
ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا
شئ من احوالهم والوزن اى القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف
الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما
يسئلهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روى ان الرجل يؤتى به
الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فيوضع
السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روى
عنه عليه السلام انه ليأتى العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ
الذى هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوى فمن ثقلت موازينه حسناته
او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب
بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم فى الارض اى مكناكم

من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون
جمع معيشة وعن نافع انه همز تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون
فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور
ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم
بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتاخير الاخبار
فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد اى ان تسجد
ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم اهل الكتاب يعنى ليعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه
ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه فكانه
قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال
انا خير منه جواب من حيث المعنى استيناف به استبعادا لان يكون مثله مامورا
لمثله كانه قيل المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به
فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتنى من نار وخلقته
من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر
وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى
اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين
وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له
خواص ليست لغيرهم والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة
ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب
قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصى فانها
مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده
واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لكبره قال عليه السلام
من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرنى الى يوم يبعثون امهلنى الى يوم
القيمة فلا تمتنى ولا تعجل عقوبتى قال انك من المنظرين يقتضى الاجابة الى ما سأله ظاهرا
لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت
يعلم الله انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته
قال فبما اغويتنى اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن باى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى
بواسطتهم تسمية او حملا على الغى او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم
المحذوف لا بأقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم
كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله
كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من جميع الجهات الاربع

مثل تصدع اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك
لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل
من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل
الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم
من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنهم ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم
وعن شمائلهم من جهة تيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم
وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة
فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم
شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى مبدأ الشر
متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤوما من ذأمه
اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول ومسؤل او كمكول ومكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا
مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين
وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا
الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب
ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه
الشجرة وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين
فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس
لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة
ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة
او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة
وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع
ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما
من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل
لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام
الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة
على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما
في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك
واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه
لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه

اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل
بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور
فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما
العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف
في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا
وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة
قيل كان ورق التين وقرئ يُخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف
ويخصّفان واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما
ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو
وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا ضررناها بالمعصية والتعريض
للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر
معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك
قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم
من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا
ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال
اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين
الى تقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم
قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره
قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان
ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون
لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى
يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك
كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل ومنه تريش الرجل
اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله
وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير
او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله
ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم
لا يفتننكم الشيطان لا يمتحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم
من الجنة كما محن ابويكم باخراجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم
عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او فاعل اخرج

واسناد النزع اليه للتسبب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مرتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم قالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا والله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم وتحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطي والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة فقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به

التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم وحان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت ولا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون الله اين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيمة من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم

ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا
لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم
فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت
ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الله للفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا
عنها اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح
لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتانيث الابواب والتشديد
لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التانيث غير حقيقى والفعل
تقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم وهو البعير
فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ
الجُمّل كالقُمّل والجُمَل كالنُغَر وفى سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل
ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية
والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواشٌ على الغاء
المحذوف وكذلك نجزى الظالمين عبّر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا
بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة
والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته تعالى
فى ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر للترغيب
فى اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما فى
صدورهم من غل اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم
الا التواد وعن على رض انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجرى من تحتهم
الانهار زيادة فى لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا لما جزاؤه هذا
وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفى
وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى
لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه
فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الآخرة لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم
ونودوا ان تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات
اورثتموها بما كنتم تعملون اى اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها
معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان فى المواقع الخمسة هى المخففة او المفسرة

لان المناداة والتأذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار
وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا
وعدهم بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائى بكسر العين وهما لغتان
فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير
وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة
القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة
او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر
فى المعانى والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح فى المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة
كافرون وبينهما حجاب اى بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار
ليمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اى اعاليه وهو السور
المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه يكون
بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار
حتى يقضى الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين
وعلمائهم او ملائكة يرون فى صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم
بعلامتهم التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى
معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة
ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم
يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه الباقية واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
اى فى النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا
ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ
تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال
والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة تحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون
ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اى فالتفتوا
الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم
ما قالوا وقيل لما عيّروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال
الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة
مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء
اى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة

او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما
عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول
البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم
نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم
ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد
جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم
عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم
فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على ساير الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى
ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تأويله الا ما يؤول اليه
امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين
نسوه من قبل تركوه ترك الناسين قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤا بالحق
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا
على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم
شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام
الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا
يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموت والارض في ستة ايام
اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف
زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها
دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على العرش
استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى
ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم
المحيط بساير الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل
منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ
يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا
كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال
من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه
وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع
على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين
تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة
كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر

فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب
كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية
فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة
الاثار والافعال واشار اليه بقوله وخلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين
ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله
وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم عالم الملك وعمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه
لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي
والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية
اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين
ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء
والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي عليه السلام
سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب
اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب
المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع
الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم
وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين
ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه
صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر
كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرا
ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف
حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات
او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير
وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى بين يدي رحمته
قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور
تفرقه حتى اذا اقلت حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا
بالماء جمعه لان السحاب جمع بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ
لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب
او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء

للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات
من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد
الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات
نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى
والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض
الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره وعبر به عن كثرة النبات
وحسنه وغزارة نفعه ونصبه على الحال وتقدير الكلام لانه اوقعه في مقابلة والذي
خبث كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام
والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار
مرفوعا مستترا وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد الا نكدا فيكون مفعولا ونكدا على المصدر
اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم
يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن تدبر الايات وانتفع بها
ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتاثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف
ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع
وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده وهو ابن خمسين سنة
او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي
غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول
الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء انا لنريك في ضلال
زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا
في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه
وكونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات
ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف ومساقها
على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف
اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه
والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على محاض النصح
وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي
اشياء لا علم لكم بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم
ان جاءكم اي من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم
او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا
بهذا في ابائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون

بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل
وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه
وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة بنوه سام وحام ويافث
وسبعة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلب غير مستبصرين
واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم
عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا
العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود
بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله
وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استئنافه ولم يعطف
كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قوم
كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به
كمرثد بن سعد انا لنريك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت
دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين
ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن
مقالتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي
قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرأ ابو عمرو ابلغكم في الموضعين
في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي
في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل
عالج الى شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة
وقوة فاذكروا الاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها
المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا استبعدوا
اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به اباؤهم انهماكا في التقليد وحبا
لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم
او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون
ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم
على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب
ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان
اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو
الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة

بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقيق المسمى
واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به
على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال
بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم
مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين
برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا
مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان
روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك
الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء
توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عير ومرثد بن سعد في سبعين
من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر
فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون
الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى
ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين • الا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا غماما • فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا لا يبينون الكلاما •
حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم
وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود
وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات
ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال
اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها
وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه
فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم
الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل
وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي
القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة
نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها
معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم
خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط
واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل في ارض الله العشب ولا تمسوها
بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر

وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة
الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح
وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا
من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي الذين استضعفوهم
واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل
البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا
انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله
اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك
قال قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم
موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها واسند الى جميعهم
فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله
وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من
المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم
وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال
وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم
صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا
فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار
سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة
مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت
لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت
عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع
في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم
فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل
ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف
بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق
ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها
فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم
غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات

طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا
بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان
بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله عليه السلام
اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك
على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا
واذ بدل منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح
ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن
الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار
كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتاتون الرجال شهوة
من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع
وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد
بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة
طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى
الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار
عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف
وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه
ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا
انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به الا امرأته استثناء
من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير
لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران بن
تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم الى الشام نزل الاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم
الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا
وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا
اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له
خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصاه
موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها
ووقوع عصا آدم عليه السلام في المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة يحتمل ان يكون كرامة لموسى
او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلق الكيل على المكيال

كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود اوفوا الكيل ووزن الميزان
ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم
حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل
والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر
والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا
فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين
اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية
وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين
كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام
وكانوا اذا رأوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل يجلسون على المراصد فيقولون
لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون
الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر
بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله
من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان
مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موضع الحال من الضمير
في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها
للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عُدَدكم فكثركم بالبركة في النسل
او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة
منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله
بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين
وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد
الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء
لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم
وعلى ذلك اجري الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون
لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا
في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل
لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقربه من الحال اي قد افترينا
الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه
باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا
وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل

على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء
علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان
ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي
والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل
اذا بينته وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم
شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم
بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة
الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم
جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا
كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين
صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه
كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف
آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم
شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق
فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي
الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا
ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء
والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال
عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا
لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء
وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العقاب
ولو ان اهل القرى يعني المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما
حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر
لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا اي الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي
افأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض
والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا
او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم
وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع
وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل

ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم
افأمنوا مكر الله تقرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه
من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر
والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون
ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشأن
لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله
مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع
عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياقه
جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى
يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته
بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها
ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا
عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل اي بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل بما كذبوه من قبل الرسل
بما كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم
الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة
على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله
على قلوب الكافرين فلا يلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية
اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم
في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة
مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين
من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدأ والخبر
والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى
الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه
فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا
موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن
مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من
رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه
في دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول
كقراءة نافع فقلب لأمن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد
لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب علي القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى
الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس

وجئت على حال الحسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة
من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن
ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جئت باية اي من عند من
ارسلك فأت بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهي الحية العظيمة
روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه
الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم
الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك
بالذي ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده
من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة
يجتمع عليها النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان
آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية
غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو
واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد
ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل
في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا الى فرعون
والارجاء التأخير اي اخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو ويعقوب من ارجأت
وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرأ نافع
في رواية ورش واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء
بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل
وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه
النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت
تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم
عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا
ان كنا نحن الغالبين استئناف كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير
ونافع وحفص ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم
قال نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اي عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب
لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للادب
واظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم
الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك
قال بل القوا كرما وتسامحا وازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس

بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم
طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا
كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك
فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يأفكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف
وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها
لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا
حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا
سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون
من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا
الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه فالقي السحرة ساجدين جعلهم
ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك
او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر
عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون
ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون آمنتم به بالله او بموسى
والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب
بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر
مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجا
للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة
ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا
ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك
فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب
لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا
لمنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا
ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا
وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا
الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب
علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على
الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما
الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس
عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو
كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك

ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذروا او استيناف او حال وقرئ
بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان
يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم
الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا
نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون
والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون
غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول
فرعون فجزعوا وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم
وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير
لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان
واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة
بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه
بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام
فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة ومعصية ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم
ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت
على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا
ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشوم كفرهم
ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا
جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم
سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابتنا الا
بشومهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب
وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها
عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق
الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد
لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيته او سبب
شومهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم
وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شوم اعمالهم
وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا
للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به للكاف وما الجزائية ومحلها الرفع بالابتداء
او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي اي شيء تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية

على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا
وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى
فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري
وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل وقيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد
قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر
احد ان يخرج من بيته ودخل الماء في بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل
مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها
ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا
فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد
فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا
فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت
منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم
وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله
عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم
وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود
ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان
يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم
الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات
مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم
اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه السلام
لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان
وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل والطاعون ارسل الله
عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة
او بالذي عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع
او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف
دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب
بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا
بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز
الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت
الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا
عنهم فاجئوا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم

فاغرقناهم فى اليم اى البحر الذى لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها
غافلين اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم الايات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين
عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفهم مشارق الارض ومغاربها يعنى ارض الشام
ملكها بنوا اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها التى باركنا فيها بالخصب
وسعة العيش وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز
عدته اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ
كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان
يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات وما كانوا يرفعون
من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه
وقوله وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنوا اسرائيل من الامور الشنيعة
بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام تسلية لرسول الله عليه السلام مما راى
منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى عبر
بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم
يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم
كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائى يعكفون بالكسر
قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف
قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من
الايات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعنى ان الله
يهدم دينهم الذى هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون
من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء
اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين فى الجملتين الواقعتين
خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلى لازب لما مضى
منهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم
على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث
قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شئ
من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم فى هذا الوقت وقرأ ابن عامر
انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من
آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفى ذلكم بلاء
من ربكم عظيم وفى الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذى الحجة فتم ميقات ربه

اربعين ليلة بالغا اربعين ليلة روى انه عليه السلام وعد بنى اسرائيل بمصر ان يأتيهم
بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأل ربه
فامره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك
رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره ان يتخلى ثلاثين
بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية فى العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون
اخلفنى فى قومى كن خليفتى فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع
سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا
لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسيط
كما يكلم الملائكة وفيما روى ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه
على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارنى انظر اليك
ارنى نفسك بان تمكننى من رؤيتك او تتجلى لى فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى
جائزة فى الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضى الجهل بالله ولذلك
رده بقوله لن ترانى دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الى تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها
على معد فى الرائى ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة
خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيل شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا
اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال
بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا
وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة
بحقيقة الرؤية قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى استدراك
يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفى تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان
المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له
اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك
والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائى دكاء اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء
للتى لا سنام لها وقرئ دكا اى قطعا دكا جمع داك وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول
ما رأى فلما افاق تعظيما لما رأى قال سبحانك تبت اليك من الجرأة والاقدام على السؤال
بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى فى الدنيا قال
يا موسى انى اصطفيتك اخترتك على الناس الموجودين فى زمانك وهرون وان كان نبيا
كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتى يعنى اسفار التورية وقرأ ابن كثير
ونافع برسالتى وبكلامى وبتكليمى اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين
على النعمة فيه روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له
فى الالواح من كل شئ مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شئ بدل من الجار والمجرور

اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة
وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده وشققها
باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله
فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة
وامر قومك يأخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار
والاقتصاص على طريق الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة
وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء ساوريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه
بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة
وهي جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله
واورثنا القوم ساصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين يتكبرون في الارض
بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان
اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون
بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها
لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول
وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي
الرَشَد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثها لغات كالسُقم والسَقَم والسقام وان يروا سبيل الغي
يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب
تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي ساصرف ذلك الصرف بسببهما
والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعده الله في الآخرة حبطت
اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى
من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج
من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي
وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم
ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي
ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل عليه السلام فصار حيا وقيل
صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله
اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم
ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها
انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر
اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير مواضعها

فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم
المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض
فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين
وقراهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا
شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم
العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه
وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد
والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل
معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي
وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح اي طرحها من شدة الغضب وفرط
الضجرة حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها
انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيها المواعظ
والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون
كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام
ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم
هنا وفي طه يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى
المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي
في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي
ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة
التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار
ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم
الراحمين اي وانت ارحم بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من
ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم
وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى
ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي
ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من
الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب
كجريمة عبدة العجل وكثر جرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب

باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له
على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبّر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت
على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها
وفيما نسخ فيها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي
من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم
يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل
والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل
الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان يأتيه
في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان
فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا
من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم
انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة
او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم
وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك
بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت بالانقاذ منها فان ترحمت
عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر
على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون
اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت
تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي
الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا
تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى
بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت
خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن
معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع
وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا
انفسنا وامِلنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول
عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا
المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فساثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة
منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها
ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين
يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين

يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد عليه الصلاة والسلام وانما سماه رسولا بالاضافة
الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها
على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم
كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين
القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل
الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم فالذين
آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير
ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا
لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه
متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب
والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك
السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم
عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول
لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه
بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه
وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ كلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى عم
تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة
لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالالتزام شرعه
فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق
يهدون الناس محقين او مكلمين بالحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها
الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة
القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل
مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله عليه السلام ليلة المعراج
فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة اسباطا
مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة
امما بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباطا فكانه قيل

اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه
في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى
لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا
عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس
وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا
هذه القرية باضمار اذكروا والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا
حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا منها بالفاء
افاد سببية سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه
واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذلك الواو
العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه
بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة
ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم
بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا
غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها
واسألهم للتقرير والتقريع بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم
الا بتعليم او وحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت
حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل
طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف
لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم
ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون
الات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا
يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل
اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله
ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع عليها
اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم
وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت واذ قالت عطف على اذ يعدون
امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان
قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول

او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به
وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا
انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب على المصدر
او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس
لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله
بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على وزن
فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر فخفف عينه بنقل
حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلب في ذيب او على انه
فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس
على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه
تكبروا عن ترك ما نهوا عنه لقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله
انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم
اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون الاية الثانية تقريرا
وتفصيلا للاولى وروي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم
فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين
فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القردة
تعرفهم فجعلت تأتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث
وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعنى
كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى
فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن الى يوم القيامة والمعنى
واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال
وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عم بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم
وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس
حتى بعث الله محمدا عليه السلام ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر
الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن
وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم
حتى لا تكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل
منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك
اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم

من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل
جمع وهو شايع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله عليه السلام
ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا
الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى
في الحكومة وعلى تحريف الكلام والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله
بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر
يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين
على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم
على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب
ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض
والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلمون ذلك
ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص
ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف
على الذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين
على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع الضمير تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ
ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا
الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي
كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم
كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام
التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم
خذوا على اضمار القول اي قلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد
وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم
تتقون قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم
اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم
بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم
اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة
من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف
على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اي كراهة
ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او يقولوا عطف على ان يقولوا
وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية

من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا
افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله
آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك
بحديث رواه عمر رضه وقد حققت الكلام فيه في شرح كتاب المصابيح والمقصود من ايراد
هذا الكلام هاهنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم
والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال
كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل
واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية
بن ابي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا
ان يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين
اوتي علم بعض كتب فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان
حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روي ان قومه
سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه
حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها
بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة
واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه
بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب
لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي
هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث
ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه
اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة
فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد
او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان
من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع
موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا
على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين
كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكورة في اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
تفكرا يؤديهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم
على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها
وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى

الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب
الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي
ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله
تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني
باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين
والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه
في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز
بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة
الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر
اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك
كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم
وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها
ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك
بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات
فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين
فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض
الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او ذروهم
والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى
من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا
يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا
امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعدما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين
عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به
على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام
او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم
الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة
من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم
فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم
ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه السلام من جنة من جنون روي انه عليه السلام

صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون
بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى
على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء
مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على قدرة صانعها ووحدة
مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى
ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة
واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها
فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب
فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان
كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل
هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون
الى الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأي حديث احق
منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له
ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله
ومن يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده
احد غيره ويذرهم يعمهون حال منهم يسألونك عن الساعة عن القيمة وهي من الاسماء
الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها
عند الله كساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره
ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من أي لان معناه اي وقت
وهو من اويت الى الشيء لان البعض آو الى الكل قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع
عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو
والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام في قوله
اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين
لهولها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تأتيكم الا بغتة فجاءة على غفلة كما قال عليه السلام
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته
في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كانك حفي عنها عالم بها فعيل
من حفي عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه
فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هي من الحفاوة بمعنى الشفقة
فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها
كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وزوي علمها عن غيرهم وقيل معناه
كانك حفي بالسؤال عنها لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره

لتكرير يسئلونك لما نيط به من هذه الزيادة للمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها
عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا جلب نفع ولا دفع ضر
وهو اظهار للعبودية والتبري من ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني
اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه
لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا
الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون
بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا وهو الذي خلقكم من نفس
واحدة هو آدم عم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله تعالى
جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليستانس بها ويطمئن بها اطمئنان
الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها
اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى
او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت
بالتخفيف وفاسترت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب ومن المرية اي فظنت الحمل
وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول
اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من
الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل
اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا
وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها
ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته
لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك
ويسهل خروجه فتسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت
سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش
فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما
اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون
لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك
وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا
اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين
الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام
اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث

انه مسوي بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم
احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله
اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصورة
الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحق
عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل
يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان
يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت
عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل
ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه
من مكروه انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية
الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن
عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه
لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم
وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون
الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ
ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد
الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب
الزكوة وأمر بالمعروف المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم
ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها
واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف
ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ الغرز شبه وسوسته للناس
اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع
استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك
عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم الفاعل من طاف يطوف كانها طافت
بهم ودارت حولهم فلم يقدر ان يؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير
وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيّف كلين وهين والمراد
بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون
بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية
تاكيد وتقرير لما قبلها وكذلك قوله واخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين

لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يُمدّونهم من امدّ ويمادّونهم
كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون
ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي
ولا يقصر كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون
الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم بآية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا
جمعتها تقوّلا من نفسك كسائر ما تقرأ او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي
لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب
بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع
قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء
على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك
في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام
عن قراءته كما هو مذهب الشافعي تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول
او متكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال باوقات
الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن
من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض
بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي عليه السلام اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد
اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار
وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال وهي سبعون وست آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما
سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له
وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله
وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرين منهم
او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم
حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ
والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي

وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاتيت به رسول الله عليه السلام واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه
في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى
نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله عليه السلام سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي
فاذهب فخذه وقرئ يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون
عن في اللام وقرئ يسئلونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في
الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله
وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء
عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل
هو الرجل يهم بمعصيته فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت
بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به
او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال
الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون
يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه
مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار
عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله
حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم
ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك
للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال
ثبتت لله والرسول عليه السلام مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك من بيتك يعني المدينة
لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون
في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن
هشام فاخبر جبرئيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها
لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة
النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا
وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء واخذ صخرة من الجبل

ثم علق بها ولم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدث بها العباس وبلغ ذلك
ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة
ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل جبرئيل عم بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما
قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا
للعير فردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله
عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضه
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين
ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك
حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عم اذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم
وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا
نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله
قال اجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به الحق واعطيناك على ذلك
عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى
بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك
فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني
احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر
قيل له عليك بالعير فناداه العباس رضه وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال
لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك
في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون
اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال
كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم
اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط
فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي
يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم
يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير
لكثرة عددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق
ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ

بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا
مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل
الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت
والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون
ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر
واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا
على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضه ان النبي عليه السلام نظر الى المشركين
وهم الف والى الصحابة وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال
ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم
فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول واجراء استجاب
مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم
بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين
من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين بمعنى انهم كانوا
مقدمة الجيش وساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين
فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع
وقرئ بآلاف من الملائكة ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور
ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من
قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد
الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم
وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد
والأهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه
بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر
او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من غشيه الشيء
اذا غشيه اياه والفاعل على القراءتين هو الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بالرفع
امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن
معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون
فعل المغشي وان تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه
كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له امنة من الله لولاها
لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة
كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم

رجز الشيطان يعنى الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش
روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب
المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم
تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله
المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا
وتوضؤوا وتلبد الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة
وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اى بالمطر حتى لا تسوخ
فى الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت فى المعركة اذ يوحى ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت
الى الملائكة انى معكم فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول
ولاجراء الوحى مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم
فيكون قوله سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا وفيه
دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله
سالقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولى هذا
فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التى هى المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع
اى جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب والامر به والخطاب للرسول عليه السلام
او لكل احد من المخاطبين بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق
لان كلا من المتعاديين فى شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب
ومن يشاق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم
فى الآخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع
اى الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم
ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه
والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم فى الآخرة ووضع الظاهر فيه موقع الضمير للدلالة
على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبى اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمى به وجمع على زحوف وانتصابه
على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها
محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا من الفاعل والمفعول
اى لقيتموهم متزاحفين تدبون اليكم ويدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون
اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره
الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة
او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى

ابن عمر انه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو
لا عمل له او الاستثناء من المولين اى الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل
والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية
مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه فى الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم
بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العقنقل
قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك
ما وعدتنى فاتاه جبريل عليه السلام وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا
من الحصباء فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه
فهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول
الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا يوصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اى اتيت
بصورة الرمى ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمى فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا
وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه
وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه
نزل فى طعنة طعن بها ابى بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم
رماه يوم حنين نحو الحصن فاصاب لبابة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده فى الموضعين وليبلى المؤمنين
منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع
لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمى
ومحله الرفع اى المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه
اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك لانهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر
ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته
نعد لنصرته ولن تغنى ولن تدفع عنكم فئتكم اى جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت
فئتكم وان الله مع المؤمنين اى بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح
على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم
النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم

وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن يغني عنكم كثرتكم اذا لم يكن الله معكم
بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم ويؤكد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله
ولا تولوا عنه اى لا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه
وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ
سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا
السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا ان شر الدواب
عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون
اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم
خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم
ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون
لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك
ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول روى انه
عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال
كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته
لا يقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التأخير
وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية
فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته • فذاك ميت وثوبه كفن
او مما يورثكم من الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقايد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم
اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه
على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب
وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين القلب بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد
قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان
ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل
مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر
بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب
الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به
النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة

لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او النهي على ارادة القول
كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف
كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب
عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول
للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا
ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة
يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس
والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش ومن عداهم فانهم كانوا جميعا معادين
مضادين لهم فآويكم الى المدينة وجعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره
على الكفار بمظاهرة الانصار او بامداد الملئكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم
لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض
والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم وروي انه عليه السلام
حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا
الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا
ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا
ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت
اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق
طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا ثم تاب الله عليه
فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله عليه السلام
هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها
الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص
كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم
وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون
او انكم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع
في الاثم او في العقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة
وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم
اليه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم يفرقون بها بين الحق
والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من
الشبهات ونجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم
بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز
والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر

لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى
تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ
يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه
عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق والحبس والاثخان بالجرح من قولهم ضربه
حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك
او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم
فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره ودخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال
انا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال
ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه
منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فاستحسنوه
فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن
غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا تقوى
بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى
فتفرقوا على رايه فاتى جبريل عليه السلام فاخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا على مضجعه وخرج
مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين
معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين
اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها
ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا
مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم
فانه كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم
اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم
بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان
ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام
هذا القائل بلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي
ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القران حقا منزلا فامطر الحجارة
علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين
والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدا لا فصل وفائدة التعريف
فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا
لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت

فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف
في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي
بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار
من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا
كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم
مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك
ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية
وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة
البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين
لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه
نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم
عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال
من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدا على ابدال
احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير
استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته روي انهم كانوا
يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل
كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي عليه السلام ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا
فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان يكون
للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا
من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش
سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او لاصحاب العير فانه لما اصيب
قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد
بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم
في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد
ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته
وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة
وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك
والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله
الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن والفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون
او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله عليه السلام مما انفقه المسلمون في نصرته

واللام متعلقة بقوله ثم يكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز
وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه الى بعض
حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله
في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم
الخاسرون والكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان
واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم
ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله
وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير
كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك
ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون
بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله
بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير
يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة
مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله موليكم ناصركم فثقوا به ولا
تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما
غنمتم ان الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله
خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان
ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف
الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول عليه السلام يصرف الى ما كان يصرفه
اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة قال
ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك
الامر فيه مفوض الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية وقال
يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عليه السلام
وذو القربى بنو هاشم وبنو عبد المطلب لما روي انه عليه السلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له
عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم
ارأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام انهم
لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل
جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله
لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت

ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس
عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم
بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم
العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا
على عبدنا محمد من الايات والملائكة والنصر وقرئ عُبُدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين
يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله
على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا
بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم
والكسر وهو قراءة ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة
تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء
على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم
في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال
من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة
عنها وتوطين نفوسهم على ان يخلوا مراكزهم ويبذلون منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين
والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا
كانت رخوة تسوخ فيها الرجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى
وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم
وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم
من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه
الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر
اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله
مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر
وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك
ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح
وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم
بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول
والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق
بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا
وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر وتفرقت اراؤكم
بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور

يعلم ما سيكون فيها وما يتغير أحوالها وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا الضميران مفعولا
يرى وقليلا حال من الثاني وإنما قللهم في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن إلى جنبه
أتراهم سبعين فقال أراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول عليه السلام ويقللكم
في أعينهم حتى قال أبو جهل إن محمدا وأصحابه أكلة جزور وقللكم في أعينهم قبل التحام القتال
ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم
وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلا
والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما يتصور ذلك بصد الله الأبصار
عن إبصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله أمرا كان مفعولا كرره
لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثمة الالتقاء على الوجه المحكي وههنا إعزاز
الإسلام وأهله وإذلال الشرك وحزبه وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا إذا
لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء
مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين
بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه
على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره
فارغ البال واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله
ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر وأحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه
ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها
ونفاذها مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا يكون
إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور واصبروا إن الله
مع الصابرين بالكلاءة والنصرة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني أهل مكة حين خرجوا منها
لحماية العير بطرا فخرا وأشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم لما بلغوا
جحفة وأتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم
بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها
ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين
مرائين بأن يكونوا أهل تقوى وإخلاص من حيث إن النهي عن الشيء أمر بضده ويصدون
عن سبيل الله معطوف على بطرا إن جعل مصدرا في موضع الحال وكذا إن جعل مفعولا له
لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه وإذ زين لهم الشيطان
مقدر باذكر أعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس إليهم وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس وإني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون
ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات
مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته

وليس صلته وإلا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان أي التقى الفريقان
نكص على عقبيه رجع القهقرى أي بطل كيده وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم وقال
إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله أي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم
لما رأى إمداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين
كنانة من الإحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال
لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد
الحارث بن هشام فقال له إلى أين أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى ما لا ترون ودفع
في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك
فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وعلى هذا
يحتمل أن يكون معنى قوله إني أخاف الله أن يصيبني بمكروه من الملائكة أو يهلكني ويكون
الوقت هو الوقت الموعود إذ رأى فيه ما لم ير قبله والأول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر
والله شديد العقاب يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا إذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا إلى الإيمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة
وقيل هم المشركون وقيل المنافقون لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين
دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء الألف
ومن يتوكل على الله جواب لهم فإن الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وإن قل حكيم يفعل
بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه ولو ترى ولو رأيت فإن لو تجعل
المضارع ماضيا عكس إن إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر وإذ ظرف ترى والمفعول
محذوف أي ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه
قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز أن يكون الفاعل ضمير الله تعالى وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم
والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الأول حال منهم
أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين وأدبارهم ظهورهم وأستاههم ولعل
المراد تعميم الضرب أي يضربون ما أقبل منهم وما أدبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون
بإضمار القول أي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع
من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الأمر وتهويله
ذلك الضرب والعذاب بما قدمت أيديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك
وأن الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه
إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم بذنوبهم فإن ترك التعذيب
من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام
للتكثير لأجل العبيد كدأب آل فرعون أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم
وطريقهم الذي دأبوا فيه أي داموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا

بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذهم ولا ان الله قوي شديد العقاب
لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة
انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ
كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعادات الرسول ومن تبعه
منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه
بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو
جري عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء
الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون
كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا
آل فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم وبيان
ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ والثاني لتشبيه التغيير في النعمة
بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين
انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه
فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون
والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف الذين
عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص
وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين
بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالئوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف
الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم
لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم
فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك
ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب
وقرئ فشرذ بالذال المعجمة كانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم
فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم
معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء
على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء
في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا
على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين
تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف
ولا يحسبن خطاب للنبي عليه السلام وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرا ابن عامر
وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم

فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان المصدرية كالموصول فلا يحذف
او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا
حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا
لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت الا انه
تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو
وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد
او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام
يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر لانه اقواه
ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي
يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ
ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبرئيل وميكائيل
على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم
او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل
هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم
يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل
او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد تعدى باللام والى للسلم للصلح واللام
وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال
السلم تاخذ منها ما رضيت به ۞ والحرب يكفيك من انفاسها جرع ۞ وقرئ فاجنح بالضم وتوكل
على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو
السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل
عامة نسخها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله
وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا هو الذي
ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة
في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس
واحدة وهذا من معجزاته عليه السلام وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر
على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب
يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصي عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف
ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت
فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا
يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه

كقولك فحسبك والضحاك سيف مهند • اذا كانت الهيجا واشتجر القنا او الجر عطفا
على المكنى عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت
بالبيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى عليه السلام ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر
فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضه نزلت فى اسلامه يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال
بالغ فى حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا
شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله تعالى وتاييده
وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الايتين ووافقهم البصرى فى وان يكن منكم مائة
بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات المؤمنين
رجاء الثواب وعوالى الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات
لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك
ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم
القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين
فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين
بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبى وقرئ للنبى على العهد ان يكون له اسرى
وقرا البصرى بالتاء حتى يثخن فى الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل
حزبه ويعز الاسلام ويستولى اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن
بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الاخرة يريد
لكم ثواب الاخرة او سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على
اضمار المضاف كقوله • اكل امرئ تحسبين امرأ • ونار توقد بالليل نارا • والله عزيز يغلب
اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء
حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة
للمؤمنين روى انه عليه السلام اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن
ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله تعالى يتوب عليهم
وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر
وان الله اغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب
اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله عليه السلام وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون
الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر
مثل ابرهيم عليه السلام قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح

قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على
رسول الله عليه السلام فاذا هو وابو بكر رضه يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى فان اجد بكاء بكيت
والا تباكيت فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه
الشجرة لشجرة قريبة منه والاية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن
لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح وهو ان
لا يعاقب المخطئ فى اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهى عنه او ان الفدية
التى اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روى انه عليه السلام
قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا
مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب
والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد
بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اى اكلا حلالا وفائدته ازاحة
ما وقع فى نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله
طيبا واتقوا الله فى مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها
النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى وقرا ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا ايمانا
واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روى انها نزلت فى العباس كلفه رسول الله
عليه السلام ان تفدى نفسه وابنى اخويه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد
تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
وقلت لها انى لا ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله
وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرنى به ربى قال اشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك رسول الله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل
قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك لى الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين الفا
واعطانى زمزم ما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله
ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعنى الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد
خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اى فامكنك منهم كما فعل
يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا
وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها
فى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم فى سبيل الله بمباشرة القتال
والذين آووا ونصروا وهم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم
اولئك بعضهم اولياء بعض فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة
والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولو الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله
او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا

اي من تولّيهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيهاً لها بالعمل والصناعة كالكتابة
والامارة كأنه بتولّيه صاحبه يزاول عملاً وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فوجب عليكم
ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم
عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث والموازرة
وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا
ما امرتم به من التواصل بينكم وتولّي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم
وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر
وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين
آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقاً لما قسّم المؤمنين ثلثة اقسام بيّن ان الكاملين
في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال
ونصرة الحق ووعد لهم الموعود الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منّة
فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد
وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث في كتاب الله في حكمه او في اللوح المحفوظ
او في القرآن واستدل به على توارث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من التوارث
والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولاً واعتبار القرابة ثانياً عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة الانفال والبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي
عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا

سورة براءة مدنية وقيل الا الآيتين

من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث
والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة
وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه
والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع عشرة

وانما تركت التسمية لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي عليه السلام اذا نزلت
عليه سورة او آية بيّن موضعها وتوفي ولم يبيّن موضعها وكانت قصتها تشابه قصة
الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل
لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما
فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلق بمحذوف

تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر
الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله
بريئان من العهد الذي عاهدتم به من المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة
بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين وان كانت صادرة باذنهما واتفاق
الرسول فانهما بريئان منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناساً منهم بني ضمرة
وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا
فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها
نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر
لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله عليه السلام علياً رضي الله عنه
راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميراً على الموسم فقيل له لو بعثت
بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنى علي سمع ابو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف
وقال هذا رغاء ناقة رسول الله عليه السلام فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان
قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة
فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين
آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني
الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدي عنه كثيراً لم يكونوا من عترته
بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل
منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا
انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر
في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال
كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه
تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر
عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله الحج عرفة ووصف
الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله
فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد
اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين
اي من عهدهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها
اجراءً للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفاً على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا
تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام
بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوبة

خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي
الله لا يفوتونه طلبا ولا يعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة
الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم
بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا
من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم
احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين
ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ
انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي
ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا
مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد
ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم
واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام
واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف
فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم
وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم لا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان
تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيلهم ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم
ان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين
المأمور بالتعرض لهم استجارك استأمنك وطلب منكم جوارك فاجره فأمنه حتى يسمع
كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه موضع امنه ان لم يسلم
واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر
بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون
ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار
والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله
بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو
على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين
ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله
النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا
امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم
عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين
سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة

وحذف الفعل للعلم به كما في قوله * وخبرتماني انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب
اي فكيف مات وان يظهروا عليكم وحالهم انهم ان ظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم
الا حلفا وقيل قرابة قال حسان * لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رال النعام *
وقيل ربوبية ولعله اشتق من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم
وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية
والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى
الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبريل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم
بافواههم استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر
ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات
ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر
والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما تتفوه به افواههم
واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في
بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر اليه احدوثة السوء اشتروا بآيات
الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا
عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على
ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون
في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين
اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون
في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين
لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام
المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه
من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا
ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة
والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم
اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب
ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل واظهارها ياء لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة
والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده
واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها
لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان ولا اسلام
وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار
عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن

غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون
قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا
نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم
فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما ذكر
في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد رسول الله عليه السلام وهموا باخراجه
من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة
بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم
وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه
فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه
قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف
صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا
فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج
قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب
الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب
بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم
تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق
الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين
الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه
من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما
في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه
وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله
شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد
وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين
على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حال من الواو
والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي
انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي في القول فقال
تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك
العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم

خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى
الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها
تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها
مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد
وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان
يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول عليه السلام لما علم ان الايمان بالله قرينته وتمامه الايمان به
ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية
عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكر بصيغة
التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم
مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم
ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا
سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لابد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن
او جعلتم سقاية الحج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد
والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك
بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين
اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عليه السلام منهمكون في الضلالة فكيف يساوون
الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم
وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات فيه او من اهل السقاية
والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم
بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا
اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه
ما استوجبوه لاجلها ونعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء
نزلت في المهاجرين لانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا
وذهبت تجارتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله
ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم
الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد

كعقد العشرة وقرأ ابو بكر عشيراتكم وعشائركم وأموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة
تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف في التحفظ عنه
فتربصوا حتى يأتي الله بأمره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة
والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن
يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر المواطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع
ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما
فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد
بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا
العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا
اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي عليه السلام او ابو بكر رضه او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم
من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم
فانهزموا حتى بلغ اولهم مكة وبقي رسول الله عليه السلام في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا
بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس
وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا
عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه السلام
هذا حين حمي الوطيس واخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا
فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت
برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون
فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب
الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا على رسوله
وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول
عليه السلام ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف
او ثمانية او ستة عشر على اختلاف في الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك
جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم
بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا
الى رسول الله عليه السلام واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلنا
واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى
فقال اختاروا اما سبايا كم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله
عليه السلام وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا

بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن
قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري
لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين
آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس
او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل
على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضه ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ
بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام
لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي
عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رح وقاس مالك سائر المساجد
على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا
يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب
منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق فسوف يغنيكم الله
من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا
ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم
الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده
بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون
لبعض دون بعض في عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة
فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة
وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا
وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين
اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق
من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية بمعنى منقادين
او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه
او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية
بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم
صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رضه تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية
يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضه لم يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد
عنده عبد الرحمن بن عوف انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل
الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم
الجزية عندنا وعند ابي حنيفة يؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عليه السلام

صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة
دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط
نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير ابن الله
انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة
بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا
من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت
عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين
على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف
او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف
مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقرر وقالت
النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب
او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم
بافواههم اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد
عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون
قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة
بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به
عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل التي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله
دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون
عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم
ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا
اي وما امر المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها
واحدا وهو الله تعالى واما اطاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة
طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون
تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا ان يخمدوا نور الله حجته الدالة على الوحدانية
وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عليه السلام بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويأبى الله
لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم
ابطال نبوة محمد عليه السلام بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله
ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون
محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه

وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك والضمير
في ليظهره للدين الحق او للرسول عليه السلام واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها
او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال
الناس بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه
ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال
والضن بها وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون
اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم
وقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع الانفاق فيما امر الله
ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها
لقوله عليه السلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة
لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه
وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار
ذات حمى شديد عليها واصله يحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذف النار
واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة
التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه
اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير
فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة
وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية
والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف
الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد
او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة
القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون
اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها
عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنى عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه
وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت
او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام
والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسمعيل

والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور
على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كالارتكاب
في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم وفي الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا
ويؤيد الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف
عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم
انما النسيء اي تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه
وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما النسي
بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وكلتاهما
مصادر نسأه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه
الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء
للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفاعل الله يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة
ويحرمونه مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة
بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه
ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال
ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل
عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم
سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا
قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين
آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل
واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل
فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ
مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة
بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل
مستحقر الا تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك
بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين
كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصر دينه شيئا فانه الغني
عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول عليه السلام اي لا تضروه فان الله وعده بالعصمة
والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة
بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فينصره الله كما نصره الله اذ
اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين لم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه

او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد
الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له في الخروج وقرئ ثاني
اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال
اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب
في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف
لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان
المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام
ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل
لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
فانزل الله سكينته امنته التي يسكن عندها القلوب عليه على النبي عليه السلام او على
صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم
ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة
على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله
هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عليه السلام
عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن
او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع
ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا
اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم
وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا
وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله عليه السلام
اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير
او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا
اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك
لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا
يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها
لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط
وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب
وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله
والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية

عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو والمعاتبة
عليه والمعنى لاى شئ اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا
توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين
فعاتبه عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص منهم
يبادرون اليه ولا يتوقفون على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوك في التخلف عنه
او ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى
وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع
عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا
الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله
فاخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم
استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى
كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين
تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية
قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين
لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا
يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوا لان الزيادة باعتبار اعم العام
الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك
لانه لا يكون مفرغا ولا اوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب
او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم
بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون
لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم
بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك
من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذي جدة
اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد
والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهي وظهر
امر الله علا دينه وهم كارهون اى على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة لاعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن

ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة
اى العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يؤذن
او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم
لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر
ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هي التي سقطوا فيها
وهي فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين
جامعة لهم يوم القيمة او الان لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك
حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة
كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم
في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول وهم فرحون مسرورون
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة
او ما كتب لاجلنا في اللوح ولا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيّبنا
وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه
من الصواب لانه وقوع الشئ فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا
ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا
تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوئيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر
اى لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين
في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول
جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه
قوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم
الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل
على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم
كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة
الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد
والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر
في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون

بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون
منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ
حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول
وقرأ يعقوب مدخلا من دخل اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل
لولوا اليه لاقبلوا اليه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجموح وقرئ
يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ ابن كثير يلامزك وقرأ يعقوب يلمزك
بالضم في الصدقات في قسمتها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة
الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال
اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجأة نابت مناب الفاء
الجزائية ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة والصدقة
وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه السلام كان بامره وقالوا حسبنا الله
كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر
مما آتانا انا الى الله راغبون ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف
تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول عليه السلام
فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم
وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له
ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب
لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين
وانه عليه السلام سأل المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة
والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم
ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم
وقد اعطى رسول الله عليه السلام عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن
مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه السلام كان يعطيهم والاصح
انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها
على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم مؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله
وكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها
على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فيعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى
والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان
بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح

ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله
او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين
للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد والانفاق على المتطوعة
وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع
عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الاية اى فرض لهم الصدقات فريضة او حال
من الضمير المستكن في الفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء
في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب
الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب
الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضه والتابعين جواز صرفها
الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه يفتي شيخي ووالدي
على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمتها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي
ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه
صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع
كأنف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول
قل اذن خير لكم اى تصديقه لكم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذممتم به بل من حيث انه يسمع
الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن
للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه
بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اى وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث
يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما
عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير
اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة له او خبر ثان
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا
او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق
بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام في ايذاء
الرسول صلى الله عليه وسلم وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول
كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشأن وقرئ بالتاء من يحادد الله
ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اى فحق ان له
او على تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره
من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم
استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرو ومحتج

عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل
انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزؤا ان الله مخرج
مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم
ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله
عليه السلام في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه
هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك
وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله
واياته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة
عليهم ولا يعبأ باعتذارهم لكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة
بالكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان
ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب
طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم
بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول
ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة
في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيبهم في حلفهم بالله انهم
لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين
وهو قوله يأمرون بالمنكر اي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة
ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا
طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون
في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم
الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه
من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد
منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم
نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة
من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية
تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا
كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا
والاخرة الم ياتكم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح

وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين
واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط
ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل
قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم
يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة
بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين
مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء
مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور
من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه السلام
عدن دار الله لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد
الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه كأنه وصفه اولا بانه من جنس ما هو
ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه
محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا
وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين
لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر
لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه السلام
ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط
احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك
قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم
هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأويهم
جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه السلام اقام في غزوة تبوك
شهرين ينزل عليه القران ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد
فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا

بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك
ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته
يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة
السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين
من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا
وما انكروا وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر
اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر
الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك
خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار
على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض
من دون الله من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب [illegible] اتى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه
فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له
فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة
والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح
ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة
فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت
الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك
فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان
فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم
الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد
في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه
يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيامة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب
اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان
خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الجهتين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد
الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم
ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم
من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون

ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين
من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف
باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له
حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة
وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت
صاعا لعيالي وجئت بصاع فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين
عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون
الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن
بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم
او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله
عليه السلام في مرض ابيه ان يستغفر له فقال عليه السلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين
العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير
دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال
السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة
الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم
قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم
وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك
في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول عليه السلام في استغفاره
وهو عدم يأسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار
بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد
ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو
خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه
على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا
للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه
ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين
تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها
او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا

جزاءً بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤل اليه حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر
للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد
من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من
المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر
رجلاً فاستأذنوك للخروج اي غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابداً ولن تقاتلوا
معي عدواً اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان
اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا
مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر
الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابداً روي ان ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل
عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات
ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه
عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلاً بالكرم ولانه
كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار
له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابداً يعني الموت على الكفر فان احياء
الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة
انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك
اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة
عليها ويجوز ان يكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بعضها
ان آمنوا بالله بان آمنوا بالله ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك
اولوا الطول منهم ذو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر
رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة الذي لا خير فيه
وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما
في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم
اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع
الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات
الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسداً وغطفان استاذنوا في
التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا
معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهماً ان له

عذراً ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين
ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب
المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه
من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين
بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو
الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار
سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره
عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبنو عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا
لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه
فعلاً او قولاً يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس لهم
جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون
في سلك المحسنين غير معاتبين كذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين
اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار
معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن
معقل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا
على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون
وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم
عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع
اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها
لانه يدل على ان العين صارت دمعاً فياضاً حزناً نصب على العلة او الحال او المصدر
لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزناً او بتفيض ما ينفقون
في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة
رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر
وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثاراً للدعة وطبع الله على قلوبهم
حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف
اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن
نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في
ضمايركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتيبون عن الكفر ام تثبتون
عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه
فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء

من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم
اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلو تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس
لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس
لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأويهم جهنم من تمام التعليل وكانه
قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى
ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون علة وان
يكون مصدرا يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم
فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم رضى الله
ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا
عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله ولا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية
النهي عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب
اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم
وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق ان يعلموا حدود ما انزل الله
على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر
حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق
يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه
ثوابا وانما ينفق رياء وتقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر
عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون
عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي به عقبة الزمان والسوء بالفتح
مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم
بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله
سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول
وسبب صلوات لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر ولذلك سن للمصدق ان يدعو
للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل
ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة
معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة والضمير لنفقتهم
سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله
غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين
وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين
شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة
واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير

وقرئ

وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين
من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم
وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات
تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا
ذلك الفوز العظيم وممن حولكم اي وممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون
وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف
على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف
واقامة الصفة مقامه قوله • انا ابن جلا وطلاع الثنايا • متى اضع العمامة تعرفوني وعلى
الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدا لبيان تمرنهم
وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في
تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم
ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم
مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان
ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا
من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد
لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته
فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم
فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف
وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما
او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي
مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه
خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا
فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم من الذنوب
او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا
للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف
عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها
قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع عليم
باعترافهم وندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم
والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده
اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا

ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم
وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون
فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اى موقوف
امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان
لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد
للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل
بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك
اخلصوا نياتهم وفوضوا امورهم الى الله فرحمهم الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا عطف على
وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اى فيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص
وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم اخوانهم بنو غنم
بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة
والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين
يريد الذين كانوا يصلون يجتمعون في مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وارصادا
اى ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع
مع هوازن وهرب الى الشام لياتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله عليه السلام ومات بقنسرين
وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق
بحارب او باتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة
تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر فاذا قدمنا
ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه
الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون
في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعيد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو
مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر

اقوين من حجج ومن شهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا
من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله
يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس
فقال امؤمنون انتم فاعادها فقال عمر رضه انهم مؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم
اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء
قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار
ان الله تعالى قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله
نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس
بنيانه اي بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله
وطلب رضاه بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد
وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما
وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم
في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على
ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة
ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم
الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه
على الاضافة واسس واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف
للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي
القوم الظالمين الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي
بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه
بقوله ريبة في قلوبهم اى شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد
نفاقهم بانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد
بحيث لا يزول وهمه على قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك
والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن
بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء
وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف
وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول عليه السلام او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل
او المفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل

يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو
لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد
لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقران مذكورا فيهما كما اثبت
في القران ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظايم المطالب كما قال وذلك
هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون
ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله
وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون
لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين
عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم في السراء والضراء السائحون
الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات
او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون
للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان
والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه
في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله
فيما بينه وعينه من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل
وهذا مجملها وقيل للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد
التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين
يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر
دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضره الوفات قل كلمة احاج لك بها
عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج
الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي
واستاذنته في الاستغفار فلم ياذن لي وانزل علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد
ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار
لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابرهيم لابيه فقال
وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم اياه لاستغفرن
لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها
ابرهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه
بان لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان ابرهيم لأواه يكثر التاوه وهو كناية عن فرط

ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته
وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا او يؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هداهم
للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر
الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم
مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف
ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا
اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود
ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه
ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف وبراهم عن علقة الذنوب كقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد
الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله
جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك
النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه
في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على
واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد
تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم
والعايد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي
وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد
وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم
انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلثة وتاب على الثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجؤن حتى اذا
ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل
لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها
انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم
تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين
او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو
التواب لمن تاب وان عاد في اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليه بالنعم يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله
نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة

ولحزابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله عن حكمه
نهى عبر عنه بصيغة النفى للتاكيد ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ولا يصونوا انفسهم
عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانا
وكانت له امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء
البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله عليه السلام
فى الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه
ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك
اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهى عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم
لا يصيبهم ظمأ شىء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة فى سبيل الله ولا يطؤن
موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا
كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك
مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه
على ان الجهاد احسان اما فى حق الكفار فلانه سعى فى تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى
للمجنون واما فى حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا
ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان فى جيش العسرة ولا يقطعون
واديا فى مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض
الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون بجزاء احسن اعمالهم او احسن
جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو
وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا فى الدين
ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر
لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم
فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد لعلهم يحذرون ارادة
ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى
ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كى يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر
الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا فى كتابى المرصاد
وقد قيل للاية معنى آخر وهو انه لما نزل فى المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا
عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع
التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير

فى ليتفقهوا ولينذروا للبواقى الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف
اى ولينذر البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب فالاقرب كما امر الرسول
اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالى المدينة
كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا
فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا
ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول
انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره
زادته فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان
بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم
واما الذين فى قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها
وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعنى المنافقين وقرئ بالتاء
انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون
ما يظهر عليه من الآيات فى كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم
ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها
وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اى يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من حضرة الرسول
صلى الله عليه وسلم فان لم يرهم احد قاموا ثم انصرفوا من حضرته مخافة الفضيحة صرف الله
قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم
او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربى مثلكم وقرئ من انفسكم اى من اشرفكم
عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اى على ايمانكم وصلاح
شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة
الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبى الله فانه يكفيك معرتهم
ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب
العرش العظيم الملك العظيم او الجسم العظيم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم
بالرفع وعن ابى ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن على الا آية آية
وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهى مائة وتسع آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء
مجرى المنقلبة من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآى

والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته
لم ينسخ شيء منها أكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه
ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام
للدلالة على انهم جعلوا اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم
من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم وقيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله
الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم
بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال
وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء من قبله كذلك وقيل تعجبوا
من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة
من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قل ما من احد
ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم
بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت
النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها
بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول صلى الله
عليه وسلم لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله
عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة
وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات
في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته
وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور
لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم
ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك
الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غيره اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك
فاعبدوه وحدوه بالعبادة أفلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق
للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت والنشور لا الى غيره
فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله
حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه
واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم
على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه
لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه
ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في
استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة

والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك
لم يعينه واما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والاية
كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله
المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه
ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل
الشمس ضياء ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه
منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين
والقمر نورا اي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات
ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا
بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد
منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة
احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات
من الاشهر والايام في معاملتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق
مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الايات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار
وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحياة
الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها
وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون
فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد
على الجمع بين الذهول عن الايات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر الاخرة ببالهم اصلا
واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالاخرين
من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعداد له اولئك مأواهم النار بما كانوا
يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه السلام
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل
على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال
الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار
استئنافا او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم
خبر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعويهم فيها اي دعاؤهم

سبحانك اللهم اي انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة
اياهم فيها سلام وآخر دعويهم آخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك
ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت
الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى
فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد
ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم
بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير كأن استعجالهم تعجيل لهم والمراد شر استعجلوه
كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير
حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه
لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل
وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على
فعل دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا يعجل ولا يقضي فيذرهم امهالا واستدراجا واذا
مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه اي ملقيا لجنبه اي مضطجعا
او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال والاصناف المضار فلما كشفنا
عنه ضره مر اي مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كأن لم يدعنا
كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان الى ضر مسه
الى كشف الضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك
في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا
حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات
بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا
وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون
على كفرهم واللام لتأكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل
واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم
او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف
في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر
كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى
الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات
الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر
نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه
من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا

ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي
وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان
بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه
بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن
كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت
ربي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح
قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير
ولادريكم به بلام التأكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري والمعنى
انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا ادرأكم
بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع
اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي
حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار اربعين سنة
من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة
فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ
قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بزت فصاحته كل منطيق وعلى كل منثور ومنظوم
واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث
الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم
بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك
وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا
حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله
يشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه
وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم
قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عند الله قل اتنبئون الله اتخبرونه
بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او في هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه
العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العائد
المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي واما ارضي
ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى
عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة
موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل

او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة
الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم
او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا
فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه
اي من الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات
المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين
لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الايات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس
رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط او مرض اذا لهم مكر في اياتنا بالطعن فيها
والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله
بالحيا فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر
عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة
جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف
على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي
يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين
بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكرة لغيرهم ليتعجب حالهم وينكر عليهم
بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك
او الريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديد الهبوب وجاءهم الموج
من كل مكان يجي الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص
كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض
من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما
انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه
بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم
وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم
او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى
عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع
الحيوة وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر موكد اي تتمتعون متاع الحيوة
الدنيا محذورا او ضلالا او مفعول لفعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم
في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في
سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به

نبات

نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام
من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت باصناف النبات
واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها
وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وازينت على افعلت كاغيلت
والمعنى صارت ذات زينة وازينت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها
متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا
فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن زرعها
اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس
فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات
فجاة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه
قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل
الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التقضي
والافة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة
فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو
طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل
على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى
المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى
مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من
الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هي اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها
قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم
ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد
والحجرة عمرو او الذين مبتدا والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه
على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما
اعتراض فجزاء سيئة مبتدا خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة
الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد
يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا
من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل
في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل

في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما
صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب
ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول
اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا
ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل
اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا
بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز
عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك
لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا
منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشيطان فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت
من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت
او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال
ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر بحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها
بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية
بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم
بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ
الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان
آلهتهم تشفع لهم وما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما
جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة
عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع
والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها
وسرعة انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت
او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم
وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك
لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك
فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته
لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام
انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال
فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية لله

او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه على الذين
فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة
او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم
يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها
ولذلك امر الرسول عليه السلام بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده
لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل
قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر
وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية
الهداية وانها لم تتوجه نحوها على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله
قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي
لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله
وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر
يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي
فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع
الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك
وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل
بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة
فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد
بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني
من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق
حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن
غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم الظن واعراضهم عن البرهان وما كان
هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه
مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو
لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل
محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق و
تفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب فيه منتفيا
عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه
مفعول في المعنى وان يكون استينافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب
العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز
ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع من اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه

والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فاتوا بسورة
مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة
واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم
ان تستعينوا منه من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين
انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه
قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما يجهلونه ولم يحيطوا به علما من ذكر
البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله
ولم يبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين
لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا
تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة
اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا
وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك
كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم
بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم من المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه
ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به
في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم
بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك فان اصروا على تكذيبك بعد الزام
الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم
جزاء عملكم حقا او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون
بعملي ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنه وتخلية سبيلهم قيل انه
منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرائع
ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم
ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة
استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتاتى
الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم
ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا
بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك
ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم
ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار
هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر
ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم

ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون
بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب
الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة
من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم
كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول
ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة
ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا
قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما
نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا
او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا
مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها
جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الاليم واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم
من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم
فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله
شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك
رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية
رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي
بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون
وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد
عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا واستهزاء ان كنتم
صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف
املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله
من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم فاذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم
وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتيكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات
واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه
المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلون وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق
بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي
ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا

عجل الاستعجال الاوعر نحو الخطاء ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني
وتكون الجملة متعلقة بارايتم او بقوله **اثم اذا ما وقع آمنتم به** بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به
بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
على ثم لانكار التاخير **آلآن** على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب
الآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام **وقد كنتم به**
تستعجلون تكذيبا واستهزاء **ثم قيل للذين ظلموا** عطف على قيل المقدر **ذوقوا**
عذاب الخلد المؤلم على الدوام **هل تجزون الا بما كنتم تكسبون** من الكفر والمعاصي
ويستنبئونك ويستخبرونك **احق هو** احق ما تقول من الوعيد وادعاء النبوة تقوله
بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه
على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فانه تعريض
بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع
النصب بيستنبئونك **قل اى وربى انه لحق** ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت
وقيل كلا الضميرين للقرآن واى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه
في التصديق فيقال اى والله ولا يقال اى وحده **وما انتم بمعجزين** بفائتين العذاب **ولو ان**
لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدي على الغير **ما في الارض** من خزائنها واموالها **لافتدت به**
لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه **واسروا الندامة لما راوا العذاب**
لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا
وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه
من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره **وقضي**
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم
والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم
لدلالة الظلم عليهم **الا ان لله ما في السموات والارض** تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب
الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه **ولكن اكثرهم**
لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا **هو يحيي ويميت**
في الدنيا وهو يقدر عليهما في الاخرى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة
بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا **واليه ترجعون** بالموت والنشور **يا ايها الناس**
قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اى قد جاءكم
كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة
عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى
الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين من حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال
الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان

والتنكير فيها للتعظيم **قل بفضل الله وبرحمته** بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل
يفسره قوله **فبذلك فليفرحوا** فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته
فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب
اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدريه
فيهما فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فيهما فليفرحوا او للربط
بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها
للتاكيد كقوله فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل
المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا **هو خير مما يجمعون** من حطام الدنيا
فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون
فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون **قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق** جعل الرزق
منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم
فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال
فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا **قل آلله اذن لكم** في التحريم والتحليل فتقولون ذلك
بحكمه **ام على الله تفترون** في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة
بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها تقرير لافترائهم على الله **وما ظن الذين يفترون على الله الكذب** اى شيء ظنهم **يوم القيمة**
ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن
وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم **ان الله لذو فضل على الناس** من حيث انعم عليهم بالعقل
وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب **ولكن اكثرهم لا يشكرون** هذه النعمة **وما تكون**
في شان ولا تكون في امر واصله الهمز من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في
وما تتلو منه له لان تلاوة القرآن معظم شان الرسول عليه السلام او لان القراءة
تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو **من قرآن** على ان من تبعيضية او مزيدة
لتاكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله **ولا تعملون من عمل**
تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر
حيث عم ما يتناول الجليل والحقير **الا كنا عليكم شهودا** رقباء مطلعين عليه **اذ تفيضون**
فيه تخوضون فيه وتندفعون **وما يعزب عن ربك** ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا
الكسائي بكسر الزاي **من مثقال ذرة** موازن نملة صغيرة او هباء **في الارض ولا في السماء**
اى في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم
الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها **ولا اصغر**
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام براسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها

وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة
وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد
بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف
عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول والاية مجمل فسره قوله الذين آمنوا
وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى فى الحيوة
الدنيا وهو ما بشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح
لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفى الاخرة بتلقى الملائكة اياهم مسلمين
مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا النصب والرفع على المدح او على
وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله اى لا تغيير لاقواله
ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة
والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل
بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه
وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استيناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه
قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم
وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من فى السموات
ومن فى الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح
احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وما
يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز
ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اى ما يتبعون
يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة
معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة
والنبيين اى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم
لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون
ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال
مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب ان فى ذلك
لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اى تبناه سبحانه تنزيه له
عن التبنى فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغنى علة لتنزهه
فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما فى السموات وما فى الارض تقرير لغناه ان عندكم
من سلطان بهذا نفى لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم

وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم فى هذا سلطان اتقولون
على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول
لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ
قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون
لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع فى الدنيا خبر مبتدأ محذوف اى افتراؤهم
متاع فى الدنيا يقيمون به رياستهم فى الكفر او حياتهم وتقلبهم متاع او مبتدأ خبره
محذوف اى لهم تمتع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم
العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال
لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامى نفسى كقولك فعلت كذا لمكان
فلان او كونى واقامتى بينكم مدة مديدة او قيامى على الدعوة وتذكيرى اياكم بايات الله
فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اى مع شركائكم ويؤيده
القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف
على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصدى
والسعى فى اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم فى قصدى
عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم
عليكم غما اذا اهلكتمونى وتخلصتم من ثقل مقامى وتذكيرى ثم اقضوا الى ذلك
الامر الذى تريدون بى وقرئ ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الى بشركم او ابرزوا الى من افضى اذا خرج
الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلونى فان توليتم اعرضتم عن تذكيرى فما سألتكم من اجر
يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله او يفوتنى لتوليكم ان اجرى ما ثوابى
على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبنى به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من
المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه
بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب
فنجيناه من الغرق ومن معه فى الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم
لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح
رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المبينة
لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان
الله اياهم بما كذبوا به من قبل اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة
الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم فى الضلال واتباع المألوف
وفى امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك

ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا
بالايات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام
فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه
بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين
ظاهر انه سحر او فائق في وقته واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم
انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم
بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان لا يكون الاستفهام فيه
للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم
فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون
من تمام كلام موسى عم للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة
ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم
قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا
لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون
لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر والتكبر على الناس
باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر
وقرا حمزة والكسائي سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون
وقومه سحرا وقرا ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به
خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدا محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل
يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه
ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد
وتمويه لا حقيقة له ويحق الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته
ولو كره المجرمون ذلك فما امن لموسى في مبتدا امره الا ذرية من قومه الا اولادا من اولاد
قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير
لفرعون والذرية طائفة من شبانهم امنوا به او مؤمن آل فرعون وامراته اسية وخازنه
وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون
وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر
او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده
بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملا كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب
فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال
موسى لما راى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا وثقوا به واعتمدوا

عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين
فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع
التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا
مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم
الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم
وشوم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا
لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا
يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت
قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا
الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم
عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان
التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاورهم ثم جمع لان جعل البيوت
مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة
صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة ما يتزين به من اللباس
والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك
دعاء عليهم بلفظ الامر لما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل
اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر
استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها
ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا او تنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم
وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اي اهلكها والطمس المحو وقرئ واطمس بالضم
واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى
يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وبينهما
دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عم لانه كان يؤمن فاستقيما
فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن
في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان
بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ
جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال
تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو
وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال امنت انه بانه لا اله الا الذي امنت به

بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي إنه بالكسر على اضمار القول او الاستئناف
بدلا وتفسيرا لآمنت فنكبها عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن
اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك
وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه
قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ يعقوب
ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اى نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال
اى ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من
الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك
كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنوا اسرائيل اذ لو كان
في نفوسهم من عظمته ما يخيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عم حين اخبرهم بغرقه الى ان
عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن
شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشأن
وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اى لخالقك آية
كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد لكشف تزويرك واماطة الشبهة
في امرك وذلك دليل على كمال القدرة وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا
من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا انزلنا
بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات
من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرأوا التورية
وعلموا احكامها او في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته
ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق عن المبطل بالانجاء
والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير
فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا
اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة فان القرآن مصدق لما فيه
او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة
تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل
الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع في شك
مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي
ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل
للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج
والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت

عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون
اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو
تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون
فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب
ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها
الا قوم يونس لكن قوم يونس عم لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى
حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي
لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها
كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع
على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عم بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه
واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء
غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا
صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وذراريهم وفرقوا بين كل
والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا
الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء
ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان
لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين فان من شاء ايمانه
يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم
حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام
للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله
بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد
الاهتمام به فنزلت فذلك تقريره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته
والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان
فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون يستعملون عقولهم
بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول
قوله قل انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال
قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم
لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم
ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم
من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا

كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي
المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة
ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله
الذي يتوفيكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا
فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم
الذي يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان
وان يكون غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب وان اقم
وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلتها محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما
في الغرض لان المقصود وصلها بما تضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها
كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستداد فيه
باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين
او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط
وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له
يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي اراده ولعله
ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات
وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه
متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده
يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة
ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن
ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها
ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم
بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على الاسرار اطلاعه على الظواهر
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس
وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته
نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ
فالمراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقولة
من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت
بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما
وفصل ما فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل احكمت
آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم
خبير صفة اخرى للكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها
وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا
وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء
على التوحيد بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها
انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا
ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض
عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز
ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى
هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان
كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل
فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا او في الآخرة وهو وعد للموحد
التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة
وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ فان تولوا من ولي الى الله
مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على
تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق
وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي عليه السلام او يولون ظهورهم وقرئ
تثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلأ
الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمزة
وتثنوي ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت
في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا
على عداوة محمد عليه السلام كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية
والنفاق حدث في المدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم
ويتغطون ثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه
سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور

او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها
لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه
ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مسكنها
من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل واحد من
الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالآية بيان كونه
عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق
من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما
بينهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض
لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما
لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء
اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم ليبلوكم
ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم
كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم
ودلائل وامارات تستدلون وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه
من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار
الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي
دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر
في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ
انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او يكون بمعنى عل اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى
توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن
اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن
استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم
ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم وهو دليل على جواز تقديم
خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة
في التهديد ما كانوا به يستهزؤون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤون
موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة
ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه
ليؤس قطوع رجاؤه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له

من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف
الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح بطر
بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة
والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة
وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول
الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة
والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله
على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به
ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة
الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ههنا وضائق به صدرك وعارض لك
احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه
في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره
ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا
فما لك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم
جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا
بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر
عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم
ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه
بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم
من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم
باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم
وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل
وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه
ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر
عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم
ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه
عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون
على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل
خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة

لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه
منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة
القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام
الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم
اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق
وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي
بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب
مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الريا
وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار
مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم
اوزار العزايم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الاخرة او لم يكن
لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف
بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان
كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في
معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه
اي برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا
شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي
اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن
مخلص وقيل المراد به النبي عليه السلام وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان
الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله
ومن قبل القران كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق والبينة هو القران
ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرئيل عم او لسان الرسول عليه السلام على ان الضمير له او من التلو
والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى
جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة
دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القران التورية اماما مؤتما به
في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان
على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القران
وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم
واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه
ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا ويعرض اعمالهم ويقول الاشهاد

من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ بظلمهم
بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها
بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالاخرة هم كافرون
والحال انهم كافرون بالاخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك
لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله
من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم
يضاعف لهم العذاب استيناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد
ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم
عن ايات الله وكانه العلة في مضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة
بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله
يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله
وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم
ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لا احد
ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه
وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به
تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتابيه
عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما
مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين
ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالايب وهذا
من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا اي تمثيلا او صفة او حالا
افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم بانى لكم
وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب
ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان يكون مفسرة
متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة
المعذب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ
الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر
او اراذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او من البدء اول الرأي والياء
مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف

اى وقت حدوث بادى الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم
لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل
وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم
كاذبين اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائب
قال يا قوم ارأيتم اخبرونى ان كنت على بينة من ربى حجة شاهدة بصحة دعواى وآتانى
رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم يهدكم وتوحيد
الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير
فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائى
وحفص فعميت اى اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انلزمكم على الاهتداء
بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس
احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل والوصل ويا قوم لا اسئلكم
عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجرى الا على الله
فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا
ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكنى
اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او فى التماس طردهم او تتسفهون عليهم
بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرنى من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة
والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب
ولا اقول لكم عندى خزائن الله خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلى ولا اعلم الغيب
عطف على عندى خزائن الله اى ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا او حتى
اعلم ان هؤلاء اتبعونى بادى الرأى من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه
على اقول ولا اقول انى ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدرى اعينكم
ولا اقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم فى الآخرة خير
مما آتاكم فى الدنيا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك
والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاى فى الجهر واسناده الى
الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة
حالهم وقلة منالهم دون تأمل فى معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا
فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين
فى الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا
وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم شرط
ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام
ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك تقول لو قال الرجل

انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان
جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف
مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم
خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون
افتريه قل ان افتريته فعلى اجرامى وباله وقرئ اجرامى على الجمع وانا برئ مما تجرمون
من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب
والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى به يحفظ الشئ
ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا
اليك كيف تصنعها ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا فلا تراجعنى فيهم ولا تدعنى باستدفاع
العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك
حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزءوا به لعمله السفينة
فانه كان يعملها فى برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت
نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق
فى الدنيا والحرق فى الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه يعنى به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين
الذى لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله
ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه وحتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور
نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة
وكان فى الكوفة فى موضع مسجدها او بالهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور
وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها فى السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات
المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى
احمل اثنين من كل زوجين اى من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين
او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه
كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل
قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث ونساؤهم
واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم وروى انه عم اتخذ السفينة فى سنتين من الساج
وكان طولها ثلث مائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل
فى اسفلها الدواب والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اى صيروا
فيها وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا
حال من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما

على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما
بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدا وخبر اي اجراؤها
بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها
او حال مقدرة من الواو والهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد
ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما
وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا
وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم
اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا
اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء
عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء
والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر
ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه
بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما
وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة
ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه
مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا اي في السفينة والجمهور
كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القران غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان
في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا
على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه في سائر المواضع
وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين
او الانعزال قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم
الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم
معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم
بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه
وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه وبين الجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين
بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون به
تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه
المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع
الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين
واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل
روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم وصام ذلك اليوم وصار سنة

وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا بحيث لا يرجى عوده وبعدا اذا بعد
بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة
لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد
الاخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره
اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار
ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء
وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي
فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك
اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع
قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين واشار اليه بقوله انه عمل
غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة
كقول الخنساء. تصف ناقة. ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار * ثم بدل
الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله
عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم ما لا تعلم
اصواب هو ام ليس وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شأن ولده
او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك
ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه
عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون
الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسئلنني فحذفت نون الوقاية
لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة واثبتها نافع برواية
ورش في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسئلك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي
بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرطت مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل
علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره
من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك
حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم
ممن معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد
بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا
عذاب اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح
ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء
وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك
او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت

ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك
او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم
تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم
فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر
وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا
الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ
بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها
شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به
قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون
افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان بالله ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا
التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا
كثير الدر فيزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة
القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام
نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود عم على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة
بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم
من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال
من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول
الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا
بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول
للقول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى
على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا
عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا
فيه وراوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة
ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته
فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة العتاة العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام
ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت
على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غايتكم وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله
واثق بكلائته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه

بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما
يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل
لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به
فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف
قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع
وكانه قيل فان تولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم
يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم
ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا
عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف
ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم وكانت تدخل في
انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة
ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة
بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم
وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى
رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد
يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا
من دعا الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيامة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب
الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد
دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم
بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار
بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء
الى استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد
النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم
من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها
منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم
فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا
يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان يكون لنا
سيدا مستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك

انقطع رجاؤنا عنك اتنهينا ان نعبد ما يعبد آباؤنا حكاية الحال الماضية واننا لفي شك
مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة
على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة
وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني
من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذا باستتباعكم
اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني
بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال
وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل في ارض الله
ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى
عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم
عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون
ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له افي بك
فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء
امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي
يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وقرأ نافع والكسائي في
ههنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه
ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب واخذ الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا في ديارهم جاثمين سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كأن لم يغنوا فيها الا
ان ثمود كفروا ربهم وقرأ حمزة وحفص ان ثمود ههنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال
من غير تنوين ونونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القران وابن كثير ونافع
وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي والاب الاكبر ولقد جاءت
رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل
بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما اي سلمنا عليك سلاما
ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم
سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات
وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ
مجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي
بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين
فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك
منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار

قالوا لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة
اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم
او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها
فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت
فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم تعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت
السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه
ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق
يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف
ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره
الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد
وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم
من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد
ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها
كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع
وقرئ بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله
القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة
وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب
يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر
الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت
النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه
عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء
لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد
كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم
وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم
قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او في سياق الجواب بمعنى
الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به
اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه
كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك
بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت
الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي
بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك

ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم
اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
سيء وسيئت باشمام السين الضم في العنكبوت والملك والباقون باخلاص حركة
السين وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده
وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه
ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا
منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدا بهن اضيافه كرما وحمية
والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم
لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك
اهون منه واظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم
فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه
وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو ولا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها
فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحون من الخزي او ولا تخجلوني
من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل
رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة
وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم
او آوي الى ركن شديد الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي عليه السلام
رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال
لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه
واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب
قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك
ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم
فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ
ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السري بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت
منكم احد ولا يتخلف او ولا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امرأتك
استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك
وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فان اريد به النظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك
قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها
مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها

لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة فالاولى جعل الاستثناء في القراءتين
عن قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح
ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة
الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع
ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه
العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله
جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المأمورون به
فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبرائيل ادخل جناحه تحت مدائنهم
ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا
عليها على المدن او شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل
فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية
في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت
لامه نونا منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال بتتابع بعضه على بعض والصق به
مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم
من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر
عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم
الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون
بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا
اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر
ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اريكم بخير بسعة
تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم
او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم
محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة
او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها
على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى
دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب
غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان
يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص
الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور في المعاملات

والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر
وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقيت الله ما ابقاه لكم
من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين
بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان
او ان كنتم مصدقين لي في قولي وقيل البقية الطاعة لقوله تعالى والباقيات الصالحات
وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم
عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت
حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعمة الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب
اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاصنام اجابوا به لما امرهم بالتوحيد
على الاستهزاء والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما
دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة فلذلك
جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك
بالتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا
ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان
العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع
الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه
بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين
عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما آتاه الله
من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب
الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية
ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف
والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان آتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا
لآثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول
عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اي ما اريد
الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح
فيما انتم عليه ما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان
العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها
حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه
وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته
او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب

الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد
ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى
مراتب العلم بالمبدأ واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة
على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتي ويذر من الله والاستعانة
به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم
المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي
معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح
من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير
يجرمنكم من اجرم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا
على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت
حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم
فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد
لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث
لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه
ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ
المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه
ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك
لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه
اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك
سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف
ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين
ولولا رهطك اي قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط
من الثلثة الى العشرة وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه
وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج
والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت
العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة
برسوله فلا تتقون الله وتتقون رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب
فظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى
عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بانه

والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك
فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب
والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني
ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا
يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم فارتقبوا فانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب
منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا
شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه
ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله
وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين
ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبرئيل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم
اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود
شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت
من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون
بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتورية
او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها
ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على
نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية
تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون
وملئه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق
المؤيد بالمعجز القاهر الباهر واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان
الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم
وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه
يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم
النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا
ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورود الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين
العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته
لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشد ما يكون مأمون العاقبة حميدها
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا والآخرة بئس الرفد
المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص
بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك ذلك النبأ من انباء القرى المهلك
نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد

عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو
ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه
فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء
لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك
ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر
اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة
لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار
كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه
وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله علينا
من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظته لعلمه بان ما حاق بهم انموذج
مما اعده الله للمجرمين في الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه انها من اله مختار يعذب من يشاء
ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل
تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى
يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة
على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله
يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود
اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به
كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه
لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل
معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل
لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأت اي الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم
بمعنى حين او الله تعالى عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسر لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي
من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف
الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا
يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او المأذون فيه هو الجواب
الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد
وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه
معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم
فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره
والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه

والمخصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها
ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة
على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به
عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض
زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه
وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل
عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل
ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه
بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من
الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة
الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني
فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض
باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا
لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه
لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف
لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين
في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك
اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله تعالى
ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا
في النار حين يأتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى
هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير
وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الفان القديمان والمعنى سوى ما شاء
ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير
اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه
على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب
في التابيد وقرأ حمزة والكسائي سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده
وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا اعطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك
بعد ما انزل عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال
مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه
في انه لا يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي

عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة ابائهم او ما يعبدون شيئا
الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل
في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه
وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كابائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب
عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه
وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به
قوم كما اختلف هؤلاء في القران ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة
لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه
من القران مريب موقع للريبة وان كلا اي وان كل المختلفين من المؤمنين منهم والكافرين
والتنوين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل
لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس
وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون
ميما للادغام فاجتمعت ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء
اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا
وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين
امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله عليه السلام
بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه
والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع
كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي
في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك
والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في فاستقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل
مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى
التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس
واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل
فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان
الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم
ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي
عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة
التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او على غيره
بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه
وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون

اعدائهم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم
وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد
فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا
واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا
من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة
صلوة الصبح لانها اقرب الصلوة من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر
لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون
كبسر وبسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي
الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آتها فنزلت
ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين
واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن الضمير ليكون كالبرهان
على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص
فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية من الرأي والعقل او اولو فضل
وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم
ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب
ويؤيده انه قرئ بقْيَة وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض
الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله
الا اذا جعل الاستثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا
فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين
كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم
واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام
اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع واعتراض وقرئ
واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده
تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون
الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء
عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وكانه قيل الا قليلا ممن انجينا وهلك سائرهم وقيل
الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم
وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده
يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين
يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق

والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة
او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من
احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان
لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة
قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على
المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل
وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى
للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم
انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم
ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله
فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يُرجع فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك
وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون
انت وهم فيجازي كلا ما يستحقونه وقرأ نافع وحفص وابن عامر بالتاء ههنا وفي النمل عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به
وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

سورة يوسف مكية وهي احدى عشر ومائة آيه

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد
بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة
لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا
محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب
قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة
ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول
وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون
علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه او تحيطوا بمعانيه
وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور
الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب
او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض
والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا القرآن

بهذه السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وعنه عليه السلام الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار العوض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك على اخوتك ولقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله عليه السلام فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف فسكت فنزل جبرئيل فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي راهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه اما لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحواء

فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعزة وكمال النفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كالاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم ايات دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك للسائلين لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحد لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لا يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا وقيل قاله شمعون او دان ورضي به الاخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه راياً

وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها
لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب
غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين
يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه
قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق
عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور
لا تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين
وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع يتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة
وهي الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى
يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على
اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع
على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي
وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام
ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون
وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا والباقون بترك الهمزة واشتقاقه في رواية
اليزيدي وابو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت
من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه
قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون
ضعفاء مغبونون او مستحقون ان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به
واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس
او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما
محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه
ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا
تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم
ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا
والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى
الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن
سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عم وفي
القصص ان ابرهيم عم حين القي في النار وجرد عن ثيابه فاتاه جبريل عم بقميص من حرير الجنة
فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف
فاخرجه جبريل والبسه يوسف لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون

انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك
اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون بشره
بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي آنسناه
بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير
عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انهم لما سمع بكاءهم
فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو
او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا
وفرط محبتك بيوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز
ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين وكدب
بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم
اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال
من الدم ان جوز تقديمها على المجرور وروي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل قميصه فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا
اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت
في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل
اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والله المستعان على ما تصفون
على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت
سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلثة ايام
من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي
فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها فتشبث بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام
نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالي فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له
ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وامال فتحة الراء
حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي
بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا
امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف
وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته
فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه
بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال
اي قطع للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم
واخيهم وشروه وباعوه وفيه رجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس

زيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية
ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف
من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة
وكانوا بايعين فزهدهم لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون خائف من انتزاعه مستعجل
في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام
للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة
لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير
او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حيوته وقيل
كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء روي انه
اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان
وهو ابن ثلثين سنة واتاه الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة
وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل
وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه
اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا
واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد
ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر
حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما
مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث
عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان
يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او يعبر المنامات
المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل بسنيه
والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف
شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله
بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته
وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم آتيناه
حكما اي حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث
وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه
في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها
من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة
والتشديد للتكثير او للمبالغة في الاغلاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت

والكلمة

والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرا ابن كثير
بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهو لغة فيه وقرئ هيئت
كجئت وهيت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله
معاذا انه اي ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه
فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف على قلبه فلا اعصيه
انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني
باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم
عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد
الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف
نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان رأى
برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز
ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب
محذوف يدل عليه وقيل رأى جبرئيل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل
نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت
ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من
عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالكسر في كل القران اذا كان في اوله الالف واللام اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا
الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتداء وذلك ان يوسف
فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته
من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها
وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب
اليم ايهاما انها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به
انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن
نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب الاليم ولو
لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد
وعن النبي عليه السلام تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج
وعيسى بن مريم وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه
قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع
عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته
والشرطية محكية على ارادة القول وعلى ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة

لانها تراودها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت
الى فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن على باحسانك امنن عليك باحساني السابق
وقرئ من قبلُ ومن دبرُ بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين
للجهتين فمنعا عن الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك
ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها
ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد
تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف
حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري
لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير
للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله
وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن
خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأة العزيز
تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى
فتي لقولهم فتيان والفتو شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل
الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه
بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب
فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك
لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن
تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد
وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى تتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن
ويشغلن عن نفوسهن فيقع ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها
اذا خرج وحده على اربعين امراة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم
كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل • فظللنا بنعمة واتكانا
وشربنا الحلال من قلله • وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ
متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك
الشيء اذا بتكه ومتكا من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه عظمنه
وهبن حسنه الفائق وعن النبي عليه السلام رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت
لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة
الشبق كما قال المتنبي • خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فان لحت حاضت في الخدور العواتق
وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها لله من صفات العجز

وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأ ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة
تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان
كما في قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله
منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار
في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو لغة الحجاز
في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى
لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة
من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن
الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل ان تتصورنه
حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك
موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة
اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اي ما آمر به
فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين
الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ
ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف
وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر
احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا
مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها
وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به
ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله عليه السلام على من كان يسأل الصبر والا تصرف عني
وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن
امل الى جانبهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا
لان النفس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين
من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون
بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا
تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها
على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم
ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة
على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن
وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه
زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء

على انه بعضهم خاطبه العزيز على التعظيم او العزيز من يليه وعتى بلغة منيل ودخل معه السجن
فتيان اى ادخل يوسف السجن واتفق انه ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه
للوتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعنى الشرابى انى ارانى فى المنام وهى حكاية
حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا وسماه بما يؤل اليه وقال الاخر اى الخباز انى ارانى
احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتاويله انا نريك من المحسنين
من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه فى السجن
يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رأينا
ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله اى بتاويل ما قصصتما
على او بتاويل الطعام يعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان
يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالاه منه كما هو
طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة
لهم من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اى ذلك
التاويل مما علمنى ربى بالالهام والوحى ليس من قبيل التكهن والتنجيم انى تركت ملة قوم لا
يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون تعليل لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك
واتبعت ملة اباءى ابرهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه
من بيت النبوة لتقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف
نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالاخرة
ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان ذلك اى التوحيد
من فضل الله علينا بالوحى وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثتنا لارشادهم وتثبيتهم عليه
ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون
او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الايات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها
ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبى السجن اى ساكنيه
او يا صاحبى فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب
متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار
الغالب الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما
من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اى الا اشياء
باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون
الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة
ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم فى امر العبادة الا لله لانه المستحق
لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا
الا اياه الذى دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا

من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة
ثم برهن على ان ما يسمونه آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات
واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى
لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون
فى جهالاتهم يا صاحبى السجن اما احدكما يعنى الشرابى فيسقى ربه خمرا كما كان يسقيه قبل
ويعود الى ما كان عليه واما الاخر يريد به الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه
فقالا كذبنا فقال قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه
وهو ما يؤل اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة
عاقبة ما نزل بهما وقال للذى ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد
وان ذكره عن وحى فهو الناجى الا ان يؤول الظن باليقين اذكرنى عند ربك اذكر حالى
عند الملك كى يخلصنى فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابى ان يذكره لربه فاضاف
اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان
بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى
السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت محمودة فى الجملة
لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث فى السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى
التسع من البضع وهو القطع وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
لما دنى فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل
فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا
اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان
حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف
السبع الثانى بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه
عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى عبروها
ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى
المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور وهى المجاوزة وقيل من عبرت الرؤيا عبارة اثبت
من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى
باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة
الرؤيا قالوا اضغاث احلام اى هذه اضغاث احلام وهى تخاليطها جمع ضغث واصله
ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة فى وصف الحلم
بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين
يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات
الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتاويله وقال الذى نجا منهما من صاحبى السجن

وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وقرئ
امة بكسر الهمزة وهي النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان يقال امه يامه امها
اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون اى الى من عنده علمه او الى
السجن يوسف ايها الصديق اى فارسل الى يوسف فجاء فقال يوسف وانما وصفه
بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه
افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اى في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل
ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام
فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا قال تزرعون
سبع سنين دابا اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار
فعله اى تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقرا حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب
في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه
في سنبله لئلا ياكله السوس وهي على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تاكلون
في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اى ياكل اهلهن
ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون
تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث
او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار
وقيل يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول
من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا
او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها
بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله
علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية حتى ان يوسع على عباده بعد
ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه
قال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تانى في الخروج وقدم
سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد
ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواضعها
وعن النبي عليه السلام لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال
فاسئله ما بال النسوة ولم يقل فاسئله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق
الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم
النون ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد

بعلم الله تعالى عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك
لهن ما شانكن والخطاب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه
قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب
قالت امراة العزيز الان حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ
قال فحصحص في صم ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استاصله
بحيث ظهر بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن
اى ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل
او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب عني او ظرف اى بمكان الغيب وراء
الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده
او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها
زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اى لا انزهها تنبيها
على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق
وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس
لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى
والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس
فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل
الاية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة
واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر
لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به
استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اى فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد
والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه
لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جديدا فلما دخل على الملك قال اللهم اني
اسالك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا
اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال
احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه
على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه
راعيل فوجدها عذراء وولد منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها
والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها فلعله عم
لما راى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب
التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق

الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض
مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب
برحمتنا من نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا
ولاجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء
اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط
الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيها وتوجه الناس اليه
فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم
بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك
فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه
غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه
لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي
رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم
بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد
السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني
باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله
نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا
اثني عشر فذهب احدنا معنا الى البرية فهلك قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر
قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا
قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت
شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم
وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين
للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون اي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او معطوف على الجزاء قالوا سنراود
عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه
لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا
بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا
وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم
وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها
او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم
ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه
بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه

وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ او يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا
وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل
وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه
وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله
لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي
بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي
ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا
او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه
وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا
هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف
على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا
على المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كان
ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على
ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي كيل قليل
لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا
اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا
فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير
لا يخاطر لمثله الولد قال لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا
من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتنني به
جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا
تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير
لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به
في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت
اي ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق
وايفائه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك
فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى
لانهم مجهولين حينئذ وكان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين
والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذة اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من شر كل دابة
وهامة ومن شر كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به عليكم

فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوء ولا ينفعكم
ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة
لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء
سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان
يغني عنهم راي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا
واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة
في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازه
من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذا
قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه
لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام
او في المنزل روي انه اضافهم واجلسهم مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي
يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثاني له فيكون
معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن
لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا
يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت
مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة
وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن
مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقل بامر يوسف او كان تعبية السقاية
والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون
والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله
عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به
لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع
عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته
فقيدا قالوا نفقد صواع الملك قرئ صاع وصوع بالضم والفتح والعين والغين وصوغ
من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده
وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب
والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا
سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك
مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا
او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف
ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته

اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير
للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جوابها على انها شرطية والجملة
كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو
كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا
الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع
لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد
كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر
لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد الا ان يشاء الله
ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن
اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي
علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه
من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى
ومعناه الذي له العلم البالغ ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص
قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته
من ابيها منطقة ابرهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها
فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت
احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت
عناق او دجاجة فاعطاها السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها
لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير
ويفسرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا
اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة
او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم
ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر
وذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك
مستانس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين بالاحسان فلا تغير
عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم
فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من وجدنا
الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه
يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا
نجيا متناجين وانما وحد لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي
واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان

اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه
وتأكيد من جهته ومن قبل اى ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز
ان يكون مصدرية في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف وعلى اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل
وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون
موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض
فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لى ابى في الرجوع او يحكم الله لى او يقضى لى بالخروج منها
او بخلاص اخى منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال
روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده
فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم
فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو
خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سُرِّق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه
الا بما علمنا بان راينا ان الصاع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين
فلا ندرى انه سرق او سُرِّق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين
اعطيناك المواثيق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسئل القرية التى
كنا فيها يعنى مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن
القصة والعير التى اقبلنا فيها واصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون
تاكيد في محل القسم قال بل سولت اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت
اى زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق
يؤخذ بسرقته فصبر جميل اى فامرى صبر جميل عسى الله ان ياتينى بهم جميعا بيوسف
وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر انه هو العليم بحالى وحالهم الحكيم في تدبيرها
وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اى يا اسفا تعال
فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على
يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا
آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حيوته وفي الحديث لم تعط امة من الامم
انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا يرى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب
لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن وكان العبرة
محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمى وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف
والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه
عند الشدائد ولقد بكى رسول الله عليه السلام على ولده ابرهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع

ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده
ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شد على ملئه
او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا تجرعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها
في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اى لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا
كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة
الاثبات كان على النفى حتى تكون حرضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى اذابه هم او مرض وهو
في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين
كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثى وحزنى همى الذى لا اقدر الصبر عليه
من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى وشكايتى واعلم من الله من صنعه
ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجى اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام
ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل راى ملك الموت في المنام فساله عنه فقال هو حى وقيل
علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله
لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من رحمته التى يحيى بها العباد انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته
في شئ من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة
ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة
ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كان دراهم زيوفا
وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا
الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة
على ما يساويها واختلف في ان حرمة التصدق تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه السلام
ان الله يجزى المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام
في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به
ثوابا من الله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه
وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة
اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك نصيحا لهم وتحريضا
على التوبة وشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه
كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه
فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين
قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه
وقرا ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه

وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب
مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشانه وادخالا له
في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي من يتق الله تعالى ويصبر على البليات
او على الطاعات او عن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه
على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا
بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا
معك قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة
كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب
او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنة فما ظنكم
بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ
وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عم
انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي
منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم
اخوتي واني من حفدة ابراهيم عم اذهبوا بقميصي هذا الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث
الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا اي يرجع بصيرا اي يبصر وأتوني انتم
وابي باهلكم اجمعين نسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها
قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين
اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل
يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف
تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم
لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف والاكثار ذكره والتوقع للقائه فلما
ان جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه
القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد
بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال
الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه
ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى
صلوة الليل او ليلة الجمعة تحريا للوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه
عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو
وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبرائيل عم وقال ان الله

قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم
وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل
واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين
دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عم ستمائة الف
وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه
وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل
واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول
الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
تحية وتكرمة فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا
وقيل الضمير لله تعالى والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا
للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل رأيتها ايام الصبي
قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون
تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد
ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها
وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وينفذ فيه
مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل
كل شيء في وقت على وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف عم طاف بابيه في خزائنه فلما ادخله
خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس ما كتبت الي على ثمان مراحل
قال امرني جبرئيل عم قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبريل الله امرني بذلك
لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك
وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الاحاديث الكتب والرؤيا ومن ايضا للتبعيض
لانه لم يؤت كل التأويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى
او منادى برأسه انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والآخرة او الذي تتولاني
بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين
في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب عم اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي
واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده ثلثا
وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا
فتخاصم اهل مصر في دفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه
في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عم الى مدفن آبائه
وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون

ورحمة امرأة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبإ يوسف والخطاب فيه للرسول عليه السلام
وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون
كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف
حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم
ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف
هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله تعالى ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم
بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر كما يفعله
حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين عامة وكأين من آية وكم من آية
والمعنى وكأي عدد تشت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده
في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون
فيها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب
على ويطئون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة
وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره
او باتخاذ الاحبار اربابا او نسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب
ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا
ان تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة
من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة
الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة
بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تأكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ
خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه
تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة
وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم
وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل
القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين
بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة
او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون يستعملون عقولهم
ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي
اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم
تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم

لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم
حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم
ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل فظنوا
ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس رضي
ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس
في القلب على طريق الوسوسة وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل
وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي ظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ
كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم
لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم
للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر
وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين
اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء وامهم او في قصة
يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة من شوائب الالف والركون
الى الحس ما كان حديثا يفترى اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه
من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند
من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين
لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي عليه السلام علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم
تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد الا قوله ويقول الذين كفروا الآية

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني
بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن
والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على
الخاص او احد الوصفين على الآخر او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة
الاولى وتعريف الخبر ان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا
كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم
بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول
صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم
وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات
كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المتساوية لها

في حقيقة الجرمية ولاختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني
يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش
بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراده منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة
ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية
مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته
من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها
مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها
وتتحققوا كمال القدرة فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء
وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام وتتقلب عليها الحيوان
وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها
صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال
اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها
من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير
يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
يغشّي بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه
دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات
بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها
بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك
القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية
من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل
وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات
اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم وهو لغة بني تميم
كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا
وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد
الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب
يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في
ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث
فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة
ايسر شيء عليه والايات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة
من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا ائنا

لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق
جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال
في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط لتخصيص الخلود بالكفار
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا
بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم
من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يخافوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء
وضمها كالصدقة والصدقات العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص
وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات بضم الميم
وفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو
قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر
او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي عليه السلام
لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول
الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا
لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك
الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص
بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم
وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل عليه من الايات ثم اردف ذلك بما يدل
على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما
لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه تعالى قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم
لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرا ابن كثير هاد وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل
فاذا وقف وقف بالياء في هذه الاحرف الاربعة حيث وقعت لا غير والباقون يصلون
بالتنوين ويقفون بغير ياء فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله انه على اي حال
هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده
في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان
عند ابي حنيفة وروي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان ولد لاربع سنين واعلى عدده
لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن
ان امراة ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض
جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما
ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار

بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث
بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس
والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي
على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول
في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبا بالليل وسارب
بارز بالنهار يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى
الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذيب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل او سارب
بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب
معقبات ملائكة يعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء عقبه
كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او من اعتقب فادغمت
التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب
او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال
ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من باسه متى اذنب بالاستمهال والاستغفار له او يحفظونه
من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله
صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه
من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم
من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له
فالعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء
وفيه دليل على ان خلاف مراد الله تعالى محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا
في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة
والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوو او اطلاق المصدر بمعنى المفعول
او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب
الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى
الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيصيحون سبحان الله والحمد لله
او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول
رحمته وعن ابن عباس رضه سئل النبي عليه السلام عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه
مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله تعالى واجلاله
وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون
في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية
واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو
اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد

وفدا على رسول الله عليه السلام قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة فدار اربد من خلفه
ليضربه بالسيف فتنبه الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد
صاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل بفلان
اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف باستعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط
وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول والحيلة اعل على غير قياس ويعضده
انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون
مثلا في القوة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء فانه الذي يحق
ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده
والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على
تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين
ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسوله
الله او دلالة على انه الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله عليه السلام بحلول
محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون
اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف
المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة
كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد
لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا
في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين
وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين
طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حالة الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض
وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه
اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او المفعول له وقوله بالغدو والاصال
ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الظلال انما تعظم
ويكثر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب
وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات
والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين
الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم
منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على
ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه

وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي
الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل
المعبود الغافل عنكم والمطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله
خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم
والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه الخلق عليهم فيقولوا هؤلاء خلقوا
كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما
يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه
في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله
وهو الواحد اي المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب
او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع
الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر يأتي
على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله تعالى انه نافع غير ضار او بمقدارها
في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما يوقدون
عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا
لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي او متاع كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك
بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء
او للتبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك
يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه تعالى مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي
ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث
في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقني والآبار
وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة
والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء
يجفاه اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد
واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك
يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا
لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب
على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين كضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى
وهو المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدا لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم
سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه ولا يغفر منه شيء ومأواهم جهنم

وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان يقع شبهة
في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول المبرأة من مشايعة
الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته
حين قالوا بلى او ما عهد الله تعالى عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق
بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعات جميع حقوق الناس
ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم
قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ومخالفة الهوى ابتغاء وجه ربهم
طلبا لرضاه لا لفخر او سمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم
بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لا يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤون بالحسنة
السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها
اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر
الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا
بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة
اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
عطف على المرفوع في يدخلونها وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه
يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل
على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم
من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد
الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح
والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف
اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ
فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين
ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار
والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن
اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة
عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة
الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة
لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه
فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال

ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الايات
بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري
مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله تعالى يضل من يشاء ممن كان على صفتكم
فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه
من الايات الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتداء محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به
واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على
وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القران الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب
تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه
واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ
وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت
من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي
اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم
انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا
نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القران الذي هو مناط المنافع الدينية
والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي
اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي
عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرانا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه
والمراد منه تعظيم شان القران او المبالغة في عناد الكفار وتصميمهم اي ولو ان كتابا
زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله تعالى
عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرؤه او فتسمع وتجيب
عند قراءته لكان هذا القران لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به
كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك
فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطايع او سخر لنا به الريح
لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك
فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون
بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر
جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفي اي بل الله قادر
على الاتيان بما اقترحوه من الايات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم
ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم
الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله
عليهم قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان الامر

لا يكون ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى
بعض الناس لعدم تعلق المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس
الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله تعالى لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقلهم
او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية في كفار مكة فانهم
لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله فانه عليه السلام كان لا يزال يبعث السرايا فيغير
حواليهم ويختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول فانه حل بجيشه
قريبا من دارهم عام الحديبية حتى ياتي وعد الله الموت والقيمة او فتح مكة ان الله لا
يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت
للذين كفروا تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء
ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم
افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليه بما كسبت من خير وشر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم
ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله
شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا
عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله
قل سموهم تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم
ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه
بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم
يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء
بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ
على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا
اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر
وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة
الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه
وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون
صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا
عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر
او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل
وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها
وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين

اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط
للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام
واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون
بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا
على رسول الله عليه السلام بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما
من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله
ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة
في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع
والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره
واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك
من التفاريع فيما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال
المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه
الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن
اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها
بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب
عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك بشرا امثالك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك
وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية يقترح عليه وحكم يلتمس منه
الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم على العباد على ما يقتضيه
استصلاحهم يمحوا الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته
وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به
جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل
يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد
وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك
بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما اوعدناهم او توفيناك
قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازات لا عليك فلا تحتفل باعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلوه له وهذا طلايعه اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة
ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته
الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء
والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي
النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم

بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر
جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب
كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب
المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى
العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر
على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من علمه اذا اخبر
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب
علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ
وهو الله تعالى اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا
بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول
مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثاني
وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة الرعد اعطي
من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس
بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم
بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال
من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف
على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص
الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض
على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر مبتدأ محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين
عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب
شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو
النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين
يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون
من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة
عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار

واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع
عليه وعلى انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد
في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم
ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان
يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي عليه السلام بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث
الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة
فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح
وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش
ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه السلام وان الله تعالى
انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبرئيل عليه السلام او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك
يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب
فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز
فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى
باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اى اخرج
لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر
فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة
وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه
ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه
من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر
عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اى اذكروا
نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك
اذا اريد بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله تعالى بدل الاشتمال
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون
او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر
بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم
بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم
ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم
ايضا من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف
والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح
لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا

ومن عادة

ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول محذوف
او مفعول تأذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في
الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده
الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها
مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود من كلام موسى عليه السلام او كلام مبتدأ من الله تعالى والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة
وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم
لا يعلم عددهم الا الله تعالى ولذلك قال ابن مسعود رضه كذب النسابون جاءتهم رسلهم
بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله
عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا او استهزاء عليه كمن غلب عليه
الضحك او اسكاتا للانبياء عليهم السلام وامرا لهم باطباق الافواه واشاروا بها الى السنتهم
وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء
يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اى ردوا ايادي
الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحى اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها
فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم
وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة
او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى شيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت
همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اى انما ندعوكم الى الله وهو
لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك فاطر السموات والارض
وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم اى يدعوكم
الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة
دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت
في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة
والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت
سماه الله تعالى وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون
بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا
عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوة فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم
لهذه المرتبة او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا
عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على
من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله

ومنّه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيته تعالى
وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اى ليس الينا الاتيان بالايات ولا تستبد باستطاعتنا
حتى ناتى بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشية الله تعالى فيخص كل نبى بنوع من الايات
وعلى الله فليتوكل المومنون فلنتوكل عليه فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر
للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل
على الله اى عذر لنا ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التى بها نعرفه ونعلم ان الامور
كلها بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفى العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم
محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون
فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل
او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب
لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اى الى رسلهم لنهلكن
الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم
اى ارضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك
اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامى موقفى وهو الموقف
الذى يقيم فيها العباد للحكومة يوم القيمة او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف
وعيد اى وعيدى بالعذاب او عذابى الموعد للكفار واستفتحوا سالوا من الله الفتح على اعدائهم
او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف
على فاوحى والضمير للانبياء عم وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سالوا ان ينصر المحق
ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اى ففتح لهم
فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله تعالى معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة
اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلتين كان اوقع من ورائه جهنم اى بين يديه
فانه مترصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الاخرة وقيل من وراء حياته ما توارى
عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى
صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء
او حال من الضمير فى يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به
فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول النفس ويأتيه الموت من كل مكان
اى اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجوانب وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره
وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اى يستقبل
فى كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة

عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنتهم ارسل الله تعالى عليهم بدعوة
رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار
مثل الذين كفروا بربهم مبتدا خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة
او قوله اعمالهم كرماد وهى على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل
والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرا نافع الرياح فى يوم عاصف
العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه
صنايعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم
فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه
او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم
على شئ لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم
مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق الم تر
خطاب للنبى عليه السلام والمراد امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات
والارض بالحق بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسائى خالق السموات
ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه
خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم
ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال
وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا
لله جميعا اى يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله تعالى ومحاسبته او لله تعالى على ظنهم فانهم
كانوا يختفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيمة انكشفوا
لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف
يريد به ضعاف الراى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين
استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل
والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار
مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شئ من الاولى للبيان واقعة
موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز
ان يكونا للتبعيض اى بعض الشئ هو بعض عذاب الله تعالى والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى
مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا
جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم
ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناه لكم لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا

ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجا ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول
على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا
كلام فريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم
فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر
حكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء
ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم
جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر
والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس التسلط ولكنه على طريقة
قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي
فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث
اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد
بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله
وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي
وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من
اجتماع يائين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر
وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتك
وحذف الياء اكتفاء بالكسر اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني
اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله
ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة
بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام
وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم عليه السلام واشرك منقول من شركت زيدا
للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى
وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم
وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
باذن ربهم باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ أُدخل على التكلم فيكون قوله
باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر
كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون بدلا من مثلا وكشجرة صفتها
او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان تكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت
بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء

ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة
وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها
كل حين تعطي ثمرها كل حين اقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير
فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل شجرة خبيثة اجتثت
استؤصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منها ما لها
من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة
الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما
ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف
ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة
والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي
ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزالون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا
ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون
اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وروي انه عليه السلام ذكر قبض
روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له
من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد
من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن
ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا
نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها
سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم
حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد عليه السلام فكفروا ذلك
فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين
بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم
يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار
دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين
لحرها او مفسرة بفعل يقدره ناصب لجهنم وبئس القرار اي بئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا
ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء
وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا
بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر
ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك

عاقبته بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل
لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق
العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه اى قل لعبادى الذين آمنوا اقيموا الصلوة
وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم
الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر
ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس
اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما
وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب
بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اى انفاق
سر وعلانية او على الحال اى ذوى سر وعلانية او على الظرف اى وقتى سر وعلانية والاحب
اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر
ما يتدارك به تقصيره او يفدى به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل
ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات
والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو
يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك
ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك
لتجرى في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم
وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار
يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اى بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شئ
سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعضها في قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموها
كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة
ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه
وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موضع الحال اى وآتاكم من كل شئ غير سائليه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها
فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان
لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران
وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل
هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا
المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الامنة واجنبني وبني

بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما لغة نجد
واما على اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى
وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد
اسمعيل عم لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار
ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن
باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اى بعضي لا ينفك
عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد
التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق
بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اى بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول
وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة
فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما
ممنعا يهابه الجبابرة او منع الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اى اعتق منه
ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روى ان هاجر
كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عم فولدت منه اسمعيل عم فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما
من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا
لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك
في البانا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت
اى ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم
وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم والمقصود من الدعاء
توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء باقامة الصلوة كأنه طلب منهم الاقامة
وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اى افئدة من افئدة الناس ومن
للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود
والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اى افئدة ناس وقرئ آفدة وهو يحتمل
ان يكون مقلوب افئدة كآدر في أدؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت
اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين
ويجوز ان يكون من أفد تهوى اليهم تسرع اليهم شوقا ووددا وقرئ تهوى على البناء للمفعول
من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع
وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة
فاجاب الله تعالى دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه
الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن

تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة
الى الطلب لكنا ندعوك اظهاراً لعبوديتنا وافتقاراً الى رحمتك واستعجالاً لنيل ما عندك
وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة
في التضرع والالتجاء الى الله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم
بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد بحال الكبر استعظاماً للنعمة واظهاراً لما فيه من الآية
اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة
ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة
العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله اسناداً للسماع الى دعاء الله تعالى على المجاز
وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه
ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلاً لها مواظباً عليها
ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى واستقراء عادته
في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعائي واستجب دعائي او تقبل عبادتي
ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذره استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم
وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت
الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازاً ولا تحسبن الله
غافلاً عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله عليه السلام والمراد به تثبيته على ما كان عليه
من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره
لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلاً بصفاته واغتراراً بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين
بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفاً واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم
رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف ولا يرجع اليهم
نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة
ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء
وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيمة
او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب
ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب
او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل
جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة

دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطراً
وغروراً او دل عليه حالهم حيث بنوا شديداً واملوا بعيداً وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون
الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي
كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه
كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من آثار
ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم
في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وما فعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة
وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب
عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالاً له وان كان
مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال معداً لذلك وقيل ان نافية
واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي عليه السلام ونحوه
وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتاً وتمكناً من
آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة
ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي
واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذاناً بانه لا يخلف الوعد اصلاً كقوله
ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعد احد فكيف يخلف رسله ان الله عزيز
غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض
بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب
بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات
غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه بدلناهم جلوداً
غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتماً اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله
سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما وعن علي رضه تبدل الارض من فضة وسموات من ذهب
وعن ابن مسعود وانس رضه يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس
هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضه انه عليه السلام قال تبدل الارض
غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً واعلم انه لا يلزم على الوجه
الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضاً وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله تعالى
الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله
ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه
بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

فان الامر اذا كان لواحد غلوب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين
يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله واذا النفوس
زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة والملكات الباطلة
او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته
ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل
الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق
واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب
من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجرب فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار
بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران
ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين
كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية
والهيئات الوحشية فتجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطران والقطر
النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين
وتغشى وجوههم النار وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في
تدبر مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة
عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله
يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة
ما كسبت او كل نفس مجرمة ومطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين
يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله
حساب عن حساب هذا اشارة الى القران او الى السورة او ما فيه من العظة والتذكير او
ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به
عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ
ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به
اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الآيات
الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم
ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه تعالى ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد التي هي الغاية والحكمة
في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد
واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقران مبين الاشارة الى آيات السورة
والكتاب هو السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبين
الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين
عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف
وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف
وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل
الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة
موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان
بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة
وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة
في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم
ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد
فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه
بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير
عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو
كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف
ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي وما يستاخرون عنه وتذكيره للحمل على المعنى
وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي عليه السلام على التهكم الا ترى الى ما
نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظيره ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القران
لوما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض
بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه
نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين
في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرا حمزة والكسائي وحفص
بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق
الا تنزلا ملتبسا بالحق بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم بصور
تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم
من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين
اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا
الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون

اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير
نظمه على اهل الدين او نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ كما نفى ان يطعن فيه
بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى عليه السلام ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين
فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع
وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم
وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبى عليه السلام
وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية
كذلك نسلكه ندخله فى قلوب المجرمين والسلك ادخال الشئ فى الشئ كالخيط فى المخيط
والرمح فى المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم
وقيل للذكر فان الضمير الاخر فى قوله لا يؤمنون به وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك
السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا
الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين ان يكون
الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه
وقد خلت سنة الاولين اى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم او باهلاك
من كذب بالرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم
مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم فى
العناد وتشككهم فى الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر
ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت
بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفى كلمتى
الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر
ولقد جعلنا فى السماء بروجا اثنى عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد
والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين
المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى امرها ويطلع على احوالها الا
من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم
اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة فى الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب
وحركاتها وعن ابن عباس رضه انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عم منعوا
من ثلث السموات فلما ولد محمد عليه السلام منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها
قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق
السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار

ساطعة

ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها
بسطناها والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت وانبتنا فيها فى الارض او فيها
وفى الجبال من كل شئ موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن
مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن فى ابواب النعمة والمنفعة
وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه
بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم
والمماليك وسائر من يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقكم واياهم
وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء
فى الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز
ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد فى الوهيته والامتنان على العباد
بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك فقال وان من شئ الا عندنا
خزائنه اى وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب
الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التى لا يحوج اخراجها
الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به
المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات
لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التى جاءت بخير من
انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب
نظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح
على تأويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له
بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين فى الغدران
والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء فى بعض الاوقات
من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون
حد لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيى بايجاد الحيوة فى بعض الاجسام القابلة
لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة
على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من
اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة
او تأخر لا يخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته
فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله عليه السلام فى الصف الاول
فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله عليه السلام
فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم

لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير
الجملة بانّ لتحقيق الوعد والتنبيه على ان فى الحشر ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه
بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن فى افعاله
عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اي يصوّت
اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حمإ طين تغير واسودّ من طول مجاورة
الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ مسنون مصوّر من سنة الوجه او مصبوب
ليصوّر كالجواهر المذابة تصب فى القوالب من السن هو الصب كأنه افرغ الحمأ فصوّر منها
تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيّر ذلك طورا بعد طور حتى سوّاه ونفخ
فيه من روحه او منتن من سننت الحجر بالحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا
ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان
لان تشعب الجن لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها
وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد
النافذ فى المسام ولا يمتنع خلق الحيوة فى الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها فى الجواهر المجردة
فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب
فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو
للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية
التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والحيوة واذ قال ربك واذكر وقت قوله
للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته عدّلت خلقته
وهيأته لنفخ الروح ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره فى تجاويف اعضائه فحيى
واصل النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف
المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا فى تجاويف الشرايين الى
اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر فى النساء فقعوا له
فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتأكيدين للمبالغة
فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين
دفعة وفيه نظر اذ لو كان كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا
اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا
على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك ألا تكون اي غرض لك فى ان لا تكون
مع الساجدين لآدم قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي
ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حمإ مسنون
وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل
وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف قال فاخرج منها من السماء او الجنة او زمر الملائكة

فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب
وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم
الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما فى قوله فاذن
مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به
لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب
فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم
يبعثون اراد ان يجد فسحة فى الاغواء والنجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث
فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه
اجلك عند الله تعالى وانقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون
المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا
بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس
عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله
يموت اول اليوم ويبعث الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة
لم تدل على علو منصب ابليس لانه خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب
بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم فى الارض والمعنى اقسم
باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي فى الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي
انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة
الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا
عن امهال الله تعالى له وهو سبب زيادة غيه وتسليطه له على اغواء بني آدم بان الله تعالى
علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان فى امهاله
تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب
ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم
لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر
فى كل القرآن اي الذين اخلصوا انفسهم لله تعالى قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم
لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص
على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما
استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب
الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى
تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون الاستثناء

اقوى من البلاغة لافضائه الى تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين
والمتبعين اجمعين تأكيد للضمير او حال منه والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا
على تقدير مضاف اى لمكان موعدهم ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل
لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة
وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم سقر ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد
لانحصار مجامع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية
او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلوها
للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس
والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف
الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف
ومنهم حال منه او مستكن فى الظرف لا فى مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها
ان المتقين من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة فى جنات وعيون لكل واحد
جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما
جنتان وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وقرأ نافع وابو عمرو
وحفص وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين
ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين
بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا فى الدنيا بما الف بين
قلوبهم او فى الجنة بتطييب نفوسهم ما فى صدورهم من غل من حقد كان فى الدنيا وعن
على رض ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة
ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير فى جنات او فاعل ادخلوها او الضمير فى آمنين
او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز
ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين ويكون متقابلين حالا
من المستتر فى على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير فى متقابلين
وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان
عذابى هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفى ذكر المغفرة
دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفى توصيف
ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفى عطف ونبئهم
عن ضيف ابرهيم على نبئ عبادى تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا
سلاما اى نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك
لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت ولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع
ما يكره قالوا لا توجل وقرئ لا تأجل ولا توجل من اوجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله

انا نبشرك استيناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة
نبشرك من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتمونى على
ان مسنى الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به فى مثل هذه الحالة
وكذلك قوله فبم تبشرون اى فباى اعجوبة تبشرون او فباى شئ تبشرون فان البشارة
بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل
القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع
استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك
بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذى لا لبس فيه او بطريقة هى حق وهو قول الله تعالى
وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير
ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم عليه السلام باعتبار العادة
دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق
المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييئس من روح الله
الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائى يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما
قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اى فما شأنكم الذى ارسلتم لاجله سوى
البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج
الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه فى تضاعيف الحال
لازالة الوجل ولو كان تمام المقصود لابتدؤا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
يعنى قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام
وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين
وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك
المجرمين وننجى آل لوط ويدل عليه انا لمنجوهم اجمعين اى مما يعذب به القوم وهو استيناف
اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط وجار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز
ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا
من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائى
لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر
عن عاصم قدرنا هنا وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب
لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء
قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى
لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون
اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك

وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم
وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان
بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل
وقيل في آخره قال افتح الباب وانظر الى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم
وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه
فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف
لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفوسهم على المهاجرة
وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى
وامضوا الى حيث وتؤمرون الى الضمير المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي اوحينا اليه
مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب
على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم
يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء
او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء
اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا
تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسئ الى ضيفه فقد اسئ اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة
ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء
قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا
يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم
قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة
هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي
وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم
لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة
غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون
يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة
يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل عم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة
في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم
حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت
يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله تعالى ورسوله وان كان
اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله تعالى اليهم

فكذبوه

فكذبوه فاهلكوا بالظلم والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما
يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما لبامام مبين
بطريق واضح والامام اسم لما يؤتم به فسمي به اللوح والمطر والبناء لانها مما يؤتم به
ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل
فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه بالمؤمنين والحجر واد بين المدينة
والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل
على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من
العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم
استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة
فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل
ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالهم فهو حقيق
بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وقد علم الصلاح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان
وابي رضه وهو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا
سبعا من آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطول وسابعتها الانفال والتوبة
فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم
وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء
فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثني عليه بالبلاغة والاعجاز
ومثني على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن
او كتب الله تعالى كلها فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات
والسور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف
احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به
ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب
بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي
من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام وافى باذرعات
سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة
فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله تعالى
فقال لهم قد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا

وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني
انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله تعالى نازل بكم ان لم تؤمنوا كما
انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير
اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن
الايمان بالرسول ع م فاهلكهم الله يوم بدر او رهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا
صالحا ع م وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا
اليك والمقتسمون الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق
للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير
الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القران ما يقرؤنه من كتبهم
فيكون ذلك تسلية لرسول الله عليه السلام وقوله لا تمدن الى آخره اعتراض ممد لها والموصول
الذين جعلوا القران عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها
اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة
والمستعضهة وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول
بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون
من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي
فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فرق به بين الحق والباطل
واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع
واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم
قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود
بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب يبالغون في ايذاء النبي عليه السلام والاستهزاء فقال
جبريل لرسول الله عليه السلام امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه
سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص
فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث
فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه
الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي الذين
يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القران والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك
وافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه
عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام
انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه
متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن ابن عباس

من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما وعدهم الرسول
من قيام الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح
ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة
الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه
ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك
فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله تستعجلوه والباقون بالياء
على تلوين الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه نزلت اتى امر الله فوثب النبي عليه السلام
ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القران
فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره
عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول تحقق ما يوعدهم به ودنوه وازاحة
لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير ينزل على المضارع المبني للمفعول من
التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان
انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا
فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم
بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر
بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والاية تدل على ان نزول
الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة
العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية
والايات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول
العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع
خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة
قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما او مما يفتقر في وجوده او بقائه
اليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان
من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة ولا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم
منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي
ان ابي بن خلف اتى النبي عليه السلام بعظم رميم وقال يا محمد اترى ان الله تعالى يحيي هذا
بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم

أو بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها
دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول
عوضها ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم
الظرف للمحافظة على رؤس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المواشي
واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال
زينة حين تريحون تردونها من مراعيها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة
الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها
وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع
ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى
تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن
فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه وقيل مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف
كأنه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم
وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها
ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق
والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض
وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان تكون علة لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من الضميرين
اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيها اذ لا يلزم من تعليل
الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة
المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات
التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا
بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر
وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل او اقامة السبيل وتعديلها رحمة
وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم
كأنه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف
اليه القصد وقال ومنها جائر مائل عن القصد او عن الله تعالى وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق
على الله تعالى ان يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد
والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اي ولو شاء
هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء
من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب
تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون

والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع فقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه تكون شجر يعني
الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال تعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل
في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها
السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون
على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت
في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا
هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فانه من تأمل ان الحبة تقع في الارض و
تصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها
فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل
كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية
والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد
والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها
ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى
ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب
في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد
مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع
وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع
ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل
لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر
كاحوال النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها
من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك
لاية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع
صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد
والغوص لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع
اليه الفساد فيسارع اكله او لاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به
مالك والثوري على ان من حلف ان لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب بان مبنى الايمان
على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا يرى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف
على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسه
نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم وانهن انما تتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن

مواخر فيه جوارى فيه تشقه بجريها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك
ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى تعرفون نعم الله
فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه
جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى فى الارض رواسى جبالا رواسى
ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت
كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك
بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال
بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت
تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا
وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة
الله تعالى وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونجوم ونحو ذلك
وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة بالنجم
بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى ولعل الضمير
لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام
عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون
فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة
الدلائل المتكاثرة على كمال القدرة وتناهى حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه
ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شىء من ذلك بل على ايجاد شىء ما فكان حق الكلام افمن لا يخلق
كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة تشبيها بها
والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى
اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة
فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا
فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك
تعدادا للنعم والزاما للحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ما وراء ما عدد نعم
لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكرها
رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون
من دون الله اى والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص
ثلاثتها بالتاء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انها
لا يخلق شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية

فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغى ان يكون
واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا او مآلا غير احياء
بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حيا بالذات لا تعتريه الممات
وما يشعرون ايان يبعثون وهم لا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم
وقت جزاء منهم على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب
وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة
الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى
اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدليل
متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف
الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع
الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه
ثبوت الاخيرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو فى موضع
الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن
توحيده او اتباع الرسول واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون
عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اى ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين
وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين
لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة
اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم
فى الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب
بغير علم حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم
لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا
يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اى سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم السلام
فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتيها امره من جهة العمد التى بنوا بان ضعضعت فخر عليهم
السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح
ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا
ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
ويقول اين شركائى اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم الذين
كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى
فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله تعالى قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء والعلماء
او الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزى

اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة
الاهانة وحكايته لان يكون وعظا لمن سمعه الذين تتوفيهم الملائكة وقرا حمزة بالياء
وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان
اعرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا
نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد القول الدال على الاستسلام
قائلين ما كنا نعمل من سوء
بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله
فالقوا السلم الى آخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول
من لا يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوء
واحتمل ان يكون الراد هو الله تعالى او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف
بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين
جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي
وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف
الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي عليه السلام فاذا جاء الوافد
المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم في الاخرة خير منها وهو عدة للذين
اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا
ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف
ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن
من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة
كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفيهم الملائكة
طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين
ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه انفسهم بالكلية الى حضرة
القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول
حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم
وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيمة او العذاب المستاصل كذلك مثل
ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم
الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات
ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف وتسمية الجزاء باسمها وحاق بهم
ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين
اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء

انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم
يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحاير ونحوها
محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه
لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعد تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك
فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله تعالى وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل
الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر في هدى من شاء الله هداه
ولكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا
بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت السنة الالهية في الامم كلها سببا
لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج
السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت فمنهم
من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم
ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على تحقق الضلال
وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى
فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم
لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله
وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين لا يهدى من يضل على المفعول وهو
ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد
انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد
فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله
عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى
للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي
جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم ان الله تعالى
بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي
الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو تمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب
والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه
وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المواد والمدد
والا لزم التسلسل فكما امكن تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن تكوينها
اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين

هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله عليه السلام واصحاب المهاجرون ظلمهم قريش
فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة
بعد هجرة رسول الله عليه السلام وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل
وقوله في الله اى في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة
او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضه انه كان
اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى
في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا
ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم اى المهاجرين وقيل للمهاجرين
اى لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة
ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين
الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد
لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الالهية بان لا يبعث
للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت
في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار
ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة
العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه الى الملائكة او الى الانبياء وقيل
لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال فرد بما روي انه عليه السلام راى جبريل عليه السلام
على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر
اى ارسلناهم بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز
ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات
كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحي
على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسئلوا اعتراض
او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اى القران وانما سمي
ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك
مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد
الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه
فيتنبهوا للحقائق افامن الذين مكروا السيئات اى مكرات السيئات وهم الذين
احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله عليه السلام وراموا صد اصحابه عن الايمان
ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم اى متقلبين في مسايرهم
ومتاجرهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا

فياتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من
هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم
قال شاعرنا ابو كبير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر رضه
عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني
كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء
استفهام انكار اى قد راوا امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال
قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيؤ ظلاله اى اولم يروا الى المخلوقات
التي لها ظلال متفيئة وقرا حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيؤ بالتاء عن اليمين
والشمائل عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبي كل واحد استعارة من يمين الانسان وشماله
ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه
في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في قوله في ظلاله والمراد من السجود
الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد
البعير اذا طاطا راسه ليركب وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى
ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى
من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملاصقة بها على هيئة
الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها
وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل
المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة
في الارتفاع والطلوع وشماله هو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار
تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما في الارض
اى ينقاد انقياد الارادية وتاثير الطبيعة او الانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح
اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية
سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة
للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان
لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد ملائكتها
من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع
القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم
من فوقهم يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله
وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان
من يخاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير

وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه وايماء بان الاثنينية
تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود
اثبات الوحدانية دون الالهية او التنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي
فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال
فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا
وله الدين اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه
وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع
ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال الله تعالى
وما بكم من نعمة فمن الله اي اي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة
معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة يكون سببا للاخبار بانها
من الله تعالى لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار
رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون
وهم كفار ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من
للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم لقوله فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة
وانكار كونها من الله تعالى فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا
مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء
للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي
لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف
او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع
والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد
لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة بنات الله تعالى
سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز
في ما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وانه
افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا
بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء
من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى
من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا
في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ وقرئ
بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم

للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية
بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية
الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق
والنزاهة عن صفة المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو
يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها
من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشوم ظلمهم وعن ابن عباس رضي
كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم
لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء
اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة
ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء لجواز
ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات
والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب
مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات
لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر
الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من
التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها
او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون
الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم
وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم
على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيمة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله
انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها
ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها
من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده
ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه
في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياس ومن قال انه جمع جعل الضمير للبعض فان اللبن
لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر
وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم

المتوارد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة في الكرش
وعن ابن عباس رضه ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه
لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم
الذي يغذي الكبد لانهما لا يكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش
ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية
فيميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية
والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري الى كل حقه على ما يليق به
بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد
والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك
او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله
في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى
المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى
تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض
لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا
قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم
ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين
سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل
والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وقوله
تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف
تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون
منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان
الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل
ان كانت الاية سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة
قيل السكر النبيذ وقيل الطعام قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم
وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لاية لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف
في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان
في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر
ومما يعرشون ذكر حرف التبعيض لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف
ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه
من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة

ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء للياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون
بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت
سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا او في اجوافك او فاسلكي
الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر
عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك
او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل
الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم
شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق
العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها
اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا
فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض
واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه
كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه
مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى
رسول الله عليه السلام فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع
فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن
اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما
بين الله تعالى من احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل
بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من خالق قادر حكيم
يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفيكم باجال مختلفة ومنكم من يرد
يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل
هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير كهيئته
بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير يميت الشاب
النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الانسان ليس الا بتقدير
قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع
لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني
ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك على خلاف ذلك
فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم
فما يردون عليهم رزقهم الذي جعل الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك
سواء في ان الله تعالى رزقهم والجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون
واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم

تتساووا في الرزق على أنه رد وإنكار على المشركين فإنهم يشركون بالله تعالى بعض مخلوقاته
في الألوهية ولا يرضون أن يشاركهم عبيدهم فيما أنعم الله عليهم فيساووهم فيه
أفبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فإنه يقتضي أن يضافوا إليهم بعض ما أنعم الله
عليهم ويجحدوا أنه من عند الله تعالى أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعدما أنعم الله عليهم
بإيضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرأ أبو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم
وفضل بعضكم والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون
أولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم عم وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة
وأولادا أو بنات فإن الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت أتم خدمة وقيل
الأختان على البنات وقيل الربائب ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم والعطف لتغاير
الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ أو الحلالات ومن للتبعيض فإن المرزوق في
الدنيا أنموذج منها أفبالباطل يؤمنون وهو أن الأصنام تنفعهم أو أن من الطيبات
ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام
أو حرموا ما أحل الله تعالى لهم وتقديم الصلة على الفعل إما للاهتمام أو لإيهام التخصيص
مبالغة أو للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا
من السموات والأرض شيئا من مطر ونبات ورزقا إن جعلته مصدرا فشيئا منصوب به
وإلا فبدل منه ولا يستطيعون أن يتملكوه إذ لا استطاعة لهم أصلا وجمع الضمير فيه
وتوحيده في لا يملك لأن ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز أن يعود إلى الكفار أي ولا يستطيع
هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الأمثال
فلا تجعلوا له مثلا تشركون به أو تقيسونه عليه فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال إن الله
يعلم فساد ما يعولون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم
من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وأنتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه
فهو تعليل للنهي أو أنه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز
أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم
كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه
الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك
والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام
التي هي أعجز المخلوقات وبين الله تعالى الغني القادر على الإطلاق وقيل هو تمثيل الكافر
المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز بين الحر فإنه أيضا عبد الله
وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل

على أن المملوك لا يملك والأظهر أن من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لأنه
للجنس فإن المعنى هل يستوي الأحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا
عن العبادة لأنه مولى النعم كلها بل أكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه إلى غيره ويعبدونه
لأجلها وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر
على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي أمره
أينما يوجهه أي حيثما يرسله مولاه في أمر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى
يتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم
هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم
على العدل الشامل لجوامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق
مستقيم لا يتوجه إلى مطلب إلا ويبلغه بأقرب سعي وإنما قابل تلك الصفات بهذين
الوصفين لأنهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام
لإبطال المشاركة بينه وبينها أو للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والأرض
يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن لم يكن محسوسا ولم يدل عليه
محسوس وقيل يوم القيمة فإن علمه غائب عن أهل السموات والأرض وما أمر الساعة
وما أمر قيام القيمة في سرعته وسهولته إلا كلمح البصر إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة
إلى أسفلها أو هو أقرب منه أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة أو في
الآن الذي يبتدأ فيه فإن الله تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير
أو بمعنى بل وقيل معناه أن قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي يقولون
فيه كلمح البصر أو أقرب مبالغة في استقرابه إن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يحيي الخلائق
دفعة كما قدر أن أحياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله أخرجكم من بطون أمهاتكم
وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة أو إتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة
مثلها في أهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع
والأبصار والأفئدة أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها
ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الإحساس حتى يتحصل لكم
العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون
كي تعرفوا ما أنعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه ألم يروا إلى الطير قرأه ابن عامر وحمزة و
يعقوب بالتاء على أنه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة
والأسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الأرض ما يمسكهن فيه إلا الله
فإن ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها إن في ذلك
تسخير الطير بأن خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها
في الهواء على خلاف طباعها لآيات لقوم يؤمنون لأنهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم

من بيوتكم سكناً موضعاً تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر
فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً هي القباب المتخذة من الادم ويجوز
ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق
عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة تخف عليكم حملها ونقلها
يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها او ضربها ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول
وقرأ الحجازيان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف
للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثاً ما يلبس
ويفرش ومتاعاً ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة
الى مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية
وغيرها ظلالاً تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكناناً مواضع تسكنون بها من
الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثياباً من الصوف والكتان والقطن
وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم
وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه
النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون
لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون
من الشرك وقيل تسلمون من الجرح بلبس الدرع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك
فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة
السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمه التي عددها عليهم وغيرها
حيث يعترفون بانها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة
آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام عرفوها
بالمعجزات ثم انكروها عناداً ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون
الجاحدون عناداً وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل او التفريط
في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله
بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيداً وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان
والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا
وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون
من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهو الرضا
وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا
رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون
يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين
شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك

نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس بان يشطر عذابهم
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم
حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الاصنام
به حينئذ او في انهم حملوهم والزموهم اياها لقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام
والحمل على الكفر زدناهم عذاباً لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون
بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيداً عليهم من انفسهم يعني نبيهم
فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد عليه السلام شهيداً على هؤلاء على امتك
ونزلنا عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبياناً بياناً بليغاً لكل شيء من امور
الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة
للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل
بالتوسط في الامور اعتقاداً كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول
بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملاً كالتعبد باداء الواجبات المتوسط
بين البطالة والترهب وخلقاً كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان
احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء
الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط
في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على
متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر
عليهم فانها الشيطانة التي هي مقتضى القوة الوهمية لا يوجد من الانسان شر الا وهو
مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه
هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن
غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها
عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر
لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله عليه السلام على الاسلام
لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه
قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله تعالى ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة
او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه اكد بقلب الواو همزة
وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً شاهداً بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به

رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت
غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها
من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها
او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه
وقيل ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم
دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين
بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن
منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى
لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة
في اعادي خلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة
لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله
ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربا وقيل للامر بالوفا
وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان
ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم
اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل
قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن
سبيل الله بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك
سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة
رسوله عليه السلام ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو ما كان قريش يعدون اضعاف المسلمين ويشرطون
لهم للارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي وما عند الله
من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق
ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او مشاق التكاليف باحسن ما كانوا
يعملون بما يرجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا
من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة
في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة
في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه
بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا
فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل في الاخرة

ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القران اذا اردت قراءته
كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسئل الله
ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه
دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا
وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا
القبيل وعن ابن مسعود رضه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم
من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام
عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون على اولياء الله تعالى المؤمنين والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون
وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة
بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه
يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ
فجعلنا الاية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل
ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يصير مصلحة
الان فيثبته مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر
متقول على الله تعالى تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل
اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم وتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم
لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطا من الصواب قل نزله روح القدس يعني
جبريل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرا ابن كثير روح القدس
بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح يقتضي التبديل
من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان لانه كلامه وانهم اذا سمعوا
الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم واطمانت
وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية
وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم
انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا
كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل فان الرسول عليه السلام يمر عليهما
ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب
وقيل سلمان الفارسي رضه لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم
عن الاستقامة ماخوذ من لحد القبر وقرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء
لسان اعجمي غير بين وهذا اي القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان
مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل الوجهين احدهما ان ما يسمعه منه

كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون بما تلقفه
منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي
وهذا عربي والقران كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة
التي في القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف
يعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره عليه كليمات اعجمية لعلهما
لم يعرفا معناها وطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم
ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق
او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الاخرة هددهم على كفرهم
بالقران بعد ما اماط شبههم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك
اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون
في الكذب لان تكذيب ايات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين
عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر
انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من
اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز
ان ينتصب بالذم وان يكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر
استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان
لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر
صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم
من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية
بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا
وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله
ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى
عمار رسول الله عليه السلام وهو يبكي فجعل رسول الله عليه السلام يمسح عينيه وقال ما لك
ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل
ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما
ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد
قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله
عليه السلام فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له
ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة
بسبب انهم اثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب

ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم
الحالة الراهنة تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم
وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا
اي عذبوا كعمار رضه بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر
فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا
ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والصبر
لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب
برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها
فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون
اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا
فانزل الله بهم نقمته فاهلكهم او لمكة كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف يأتيها
رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع
والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع
والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون
الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال وقد ينظر الى المستعار
كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني
ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا
يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا عليه السلام والضمير لاهل مكة
عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم
بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا واشكروا نعمة الله امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر
وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها
الفاسدة ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة
عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ
ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها
حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف
السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا الاية وسياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة

لا ما نسم اليه كالسائبة والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا هذا حلال وهذا حرام
بدل منه او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام لوصف السنتهم الكذب اى لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم
من غير دليل ووصف السنتكم الكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة
الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام
كقولهم وجهها تصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب
جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا
على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان
المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اى ما يفترون
لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم فى الآخرة وعلى
الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذى ظفر من قبل متعلق بقصصنا او حرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم
فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها
او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله تعالى وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء
يعم الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها
من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه
فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة
بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم
ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول
كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده واقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة
ويقتدون بسيرته كقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا قائما باوامره
حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة
ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة
فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله تعالى وآتيناه
فى الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا
طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة وانه فى الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله
بقوله والحقنى بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد عليه السلام وثم لتعظيمه والتنبيه على ان
اجل ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته او لتراخى ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا
فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدليل مرة بعد اخرى والمجادلة على كل احد بحسب فهمه

وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلى فيه
للعبادة على الذين اختلفوا فيه اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى ان يتفرغوا للعبادة
يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض
والزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على
الذين اختلفوا فيه فاحلوا فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا
لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم
الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة
الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق
والثانية عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتى هى احسن بالطريق التى هى احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين وايثار الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم وتبيين
شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى انما عليك البلاغ
والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليها فلا عليك بل الله اعلم بالضالين
والمهتدين وهو المجازى لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة
وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم
فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها يتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح
فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام رأى حمزة رض وقد مثل به
فقال والله لئن اظفرنى الله تعالى بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه
دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله
وان عاقبتم وتصريحا على الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو اى الصبر خير للصابرين من الانتقام
للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله تعالى ووثوقه
عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين
او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فى ضيق صدر من مكرهم
وقرأ ابن كثير فى ضيق وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق
ان الله مع الذين اتقوا المعاصى والذين هم محسنون فى اعمالهم بالولاية والفضل
او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبى عليه السلام
من قرأ سورة النحل لم يحاسبه بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها او ليلة
كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

سورة بنى اسرائيل مكية الا قوله وان كادوا ليفتنونك وهي مائة وعشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح
الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت
لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به
للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة
بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد
من المسجد الحرام بعينه لما روي عنه عليه السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم
واليقظان اذ اتاني جبرئيل عليه السلام بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به
ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه عليه السلام كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشا فاسري به
ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد
واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رض فقال
ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق
واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا
اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم
يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير
كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف
في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس
ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة
مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا
وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهنوا
في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق
مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي عليه السلام او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد
الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا
لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه
من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له
ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات
وقرئ ليريه انه هو السميع لاقوال محمد عليه السلام البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك
وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك
كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على لئلا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه
اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ الا تتخذوا بالتاء
او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو يتخذوا وذرية بكسر الذال

وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام في السفينة انه
ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه
ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل
واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض جواب
قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اوليهما مخالفة
احكام التورية وقتل شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا
ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اوليهما وعد عقاب اوليهما بعثنا
عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب
من اهل نينوى اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم
وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا
صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الكافر على ذلك
اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم وعدا لا بد ان يفعل
ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله
في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم
فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط
داود عليه السلام على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم
والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم
احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكر باللام ازدواجا
فاذا جاء وعد الآخرة وقت عقوبة مرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم
ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر
ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله تعالى ويعضده قراءة الكسائي بالنون
وقرئ لنسوءن بالنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه
جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف وهو بعثناهم كما دخلوه اول مرة
وليتبروا وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط
الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس وقيل
دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل
منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم
احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب
قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة
الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد عليه السلام
وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني نظير وضرب الجزية

على الباقين منا في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الاباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات والطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي عليه رحمة فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استعجالا كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية فاجيب فضرب عنقه صبرا يوم بدر وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار ذوي آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها في نفسها مظلمة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوسلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق ونخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اي الله تعالى يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب

كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فتلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقوله امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك ظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امروا والانتهاء عما نهوا لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة كان سعيهم مشكورا من الله تعالى اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله تعالى الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين

والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا للسالفة هؤلاء
وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا
ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض
في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها
لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول عليه السلام والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير
من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه
مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى
ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا
بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام
وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا
وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش
ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوقها
النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان
الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون
تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفه وكفالته فلا تقل لهما اف فلا تضجر
مما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي
هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرا
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع
كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا
بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله عليه السلام
حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا
تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات
وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح
الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله قد كشفت قرة
اذا اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضهما مبالغة او اراد جناحه
كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم
الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه
ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب
ارحمهما وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا

كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما في صغري
وفاء بوعدك للراحمين وروي ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام ان ابوي بلغا من الكبر
اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان
بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما
واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا
صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند
حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج
فيه الجاني على ابويه جناية لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة
والبر عليهم وقال ابو حنيفة رحمه الله حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد
بذي القربى اقارب الرسول عليه السلام والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال
فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي عليه السلام انه قال
لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاؤهم
واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل
ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم في
الانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر فينبغي ان لا يطاع
واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد
ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها لانتظار رزق من الله تعالى ترجو ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه
لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق
بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك
عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور
وهو اليسر مثل اغناكم الله رزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما وامر بالاقتصاد بينهما
الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير
محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر رض بينا
رسول الله عليه السلام اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة
فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره و
نزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل الله
تعالى ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه
بمشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده

خبيراً بصيراً يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط
والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه
يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط
وان يكون تمهيداً لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم
اولادهم وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم
ان قتلهم كان خطأ كبيراً ذنباً كبيراً لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ
الاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثماً وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه
كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاءً بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ
وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه من منقع
الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحاً ومكسوراً
ولا تقربوا الزنا بالقصر ولا تقربوا بالاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة
فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلاً وبئس طريقاً طريقه وهو الغصب على الابضاع
المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمداً ومن قتل مظلوماً
غير مستوجب القتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطاناً
تسلطاً بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوماً
يدل على ان القتل العمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلماً فلا يسرف اي القاتل في القتل
بان لا يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة
او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب
احدهما انه كان منصوراً علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور
في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره
حيث اوجب قصاصاً له وامر الولاة بمعاونته واما للذي يقتله الولي اسرافاً بايجاب
القصاص والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه
الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي
دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله تعالى من تكاليفه او ما عاهدتموه
وغيره ان العهد كان مسؤولاً مطلوباً يطلب من العاهد لم نكثت تبكيتاً للناكث كما يقال
للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلاً ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولاً واوفوا
الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي
عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعمله العرب واجرته مجرى كلامهم
في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربياً وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف
ذلك خير واحسن تأويلاً عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف

من قفا اثره اذا قفاه ومنه القافية ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليداً او رجماً
بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد
من سند سواء كان قطعاً او ظناً واستعماله بهذا المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقائد
وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمناً بما ليس فيه حبسه الله تعالى
في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفو الحواصن
ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء
لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء
لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام
كان عنه مسؤولاً في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤولاً عن نفسه يعني عما فعل به
صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولاً
مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل
وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ الفواد
بقلب الهمزة واواً بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحاً اي ذا مرح وهو الاختيال
وقرئ مرحاً وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض
لن تجعل فيها خرقاً بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولاً بتطاولك وهو تهكم بالمختال
وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة
الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الهاً آخر وعن ابن مسعود
انها المكتوبة في الواح موسى عليه السلام كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورات مأمورات ومنهيات
وقرأ الحجازيان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل ذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة
وعلى هذا قوله عند ربك مكروهاً بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئاً
وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروهاً على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة
والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة
بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة
الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الهاً آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر
ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة
وملاكها ورتب عليه اولاً ما هو عائدة الشرك في الدنيا والثاني ما هو نتيجته في العقبى فقال
فتلقى في جهنم ملوماً تلوم نفسك مدحوراً مبعداً من رحمة الله تعالى افاصفيكم ربكم بالبنين
خطاب لمن قال الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد
وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثاً بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم
انكم لتقولون قولاً عظيماً باضافة الاولاد اليه وهي خاصة تقتضي الاجسام لسرعة زوالها
ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله

اذ ونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القران في مواضع منه ويجوز
ان يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات اليه ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا
التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرا حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر
الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه آلهة
كما يقولون ايها المشركون وقرا ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول عليه السلام
ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول
ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا
جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك
بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون
الحبنم الوسيلة سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا
غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته
واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض
ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث
بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون
تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح
على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه
وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء
انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا
قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجبهم
عن فهم ما تقرؤه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعدا ماتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس
او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الايات بعدما نفى
عنهم التفقه للدلالة المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين
على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق
وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا
على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القران
معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع من فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت
ربك في القران وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده
بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز
ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك
وبالقران اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع
حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو النجوى يتناجون به ونجوى مصدر

ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر
او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور
الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرية اي الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب مثلكم
انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق
في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره
لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التباعد
والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها
وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم
اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم
لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة
قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة
وكنتم ترابا وهو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا
واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه
على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم
فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على
سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين
لله تعالى على كمال القدرة كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك
او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون
مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني
المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان
ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم يفضي الى العناد وازدياد الفساد
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم
او ان يشا يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض وقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها
ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله تعالى
وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا
ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم وروي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا
الى رسول الله عليه السلام فنزلت وقيل شتم عمر رضه فهم به فامره الله تعالى بالعفو وربك
اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد
لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية

لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عم فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك
وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله عليه السلم فقوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه
تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض
يرثها عبادي الصالحون وتنكيره هنا وتعرفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل
فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس والفضل
او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه السلم قل ادعوا
الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون
كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الالهة يبتغون القربة بالطاعة ايهم
اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله تعالى الوسيلة فكيف بغير الاقرب
ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك
كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن
مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل
وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا
ان نرسل بالايات وما صرفنا عن ارسال الايات التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون
الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها
تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم
لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال وآتينا
ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ
بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالايات اي بالايات
المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات
وآيات القران الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة
او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك
احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو
فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه في اليقظة فسر الرؤيا
بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال
رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤياه في وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله
في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع
فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون
عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة

للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القران عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم
لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة
ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر
وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في
القران لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان
من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان
وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة
في القران كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا
متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت
طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول
اي خلقته وهو طين او منه اي ءاسجد واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة
الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب
وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه
والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتن
الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته
الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك
الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له
اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه
ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين
ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب
على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا
من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم
من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخفف من استطعت منهم
ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم
من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة
ومنه قوله عليه السلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز
ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار وقع صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم
واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك بالكسر وقرئ بالضم وهما لغتان
كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل ورجالك ورجالك وشاركهم في الاموال
بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث
على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل

يعني الاديان الزايغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة
الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتأخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا
اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين
وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان
اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة
ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة
التي لا يكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر
من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من
تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعونه لكشفه الا اياه
او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله تعالى فلما نجيكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد
وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا
وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف
على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من هو قادر ان يهلككم
في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله
وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة
التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب
والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا
ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله
ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواعي تلجيكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل
عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده
الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم وكفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال
القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش
والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية
والسفلية الى ما يعود عليهم من المنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك
ما ذكره ابن عباس رض وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفع اليه
بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه
او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات
المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم
ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف

يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعوا
على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى
الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا
علامة الرفع وهي قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين
او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة
الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم
جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عم واظهار شرف الحسن والحسين رض
وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن
كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء
وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين
يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة
ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا مشعر بذلك
فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في
الاخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة
والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني
للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل
تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف
لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي
وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا
نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع
عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت
ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا
وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك
في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا
اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريئا
من ولايتي ولولا ان ثبتناك تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت
ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم
لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام
ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وحفظه اذا لاذقناك
اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة
ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام

عذاباً ضعفاً في الحيوة وعذاباً ضعفاً في الممات بمعنى مضاعفاً ثم حذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه ثم اضيف كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد
بضعف الحيوة عذاب الاخرة وضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيراً يدفع
العذاب عنك وان كادوا اي وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم
من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذاً لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك
الا قليلاً الا زماناً قليلاً وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الآية
نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي عليه السلام بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء
فان كنت نبياً فالحق بها حتى نؤمن لك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم
قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوباً باذن على انه معطوف
على جملة قوله كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا يعمل اذا كان معتمداً ما بعدها
على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه
قال عفت الديار خلافهم فكانما • بسط الشواطب بينهن حصيراً سنة من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله تعالى ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة
اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم
ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلاً اي تغييراً اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل
عليه قوله عليه السلام اتاني جبرئيل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها
واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا يستقر يده وكذا ما تركب من الدال
واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه
ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو
وقت صلوة العشاء الاخرة وقران الفجر وصلوة الصبح سميت قراناً لانه ركنها كما سميت
ركوعاً وسجوداً واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها
مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصاً
وفي غيرها قياساً ان قران الفجر كان مشهوداً تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد
القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخ الموت بالانتباه او كثير من المصلين
او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات
الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق
الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل
فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقران نافلة لك فريضة زائدة لك
على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاماً
محموداً مقاماً يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه
مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولانه

ان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله
اي فيقيمك مقاماً او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني
اي في القبر مدخل صدق ادخالاً مرضياً واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجاً
ملقى بالكرامة وقيل ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهراً عليها
واخراجه منها آمناً من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالماً وقيل ادخاله
فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤدياً حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان
او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولاً واخرجني
فاخرج خروجاً واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً حجة تنصرني على من خالفني او ملكاً
ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين
كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك
من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقاً مضمحلاً غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام
دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنماً فجعل ينكث بمخصرة في عين واحد ويقول
جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان
من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ما هو تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك
وقيل للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل
بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خساراً لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان
بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله تعالى ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد
بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان
هنا وفي فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر
كان يؤوساً شديد اليأس من روح الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم
اعلم بمن هو اهدى سبيلاً اسد طريقاً وابين منهجاً وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة
والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي
من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث
بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره بعلمه لما روي ان اليهود قالوا
لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي
وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم
في التورية وقيل الروح جبرئيل عليه السلام وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القران ومن امر ربي معناه
من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلاً تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل
للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل

من فقد حساً فقد علماً ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئاً من احواله المعرفة
لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لم يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك
اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عم في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته
روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا
ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا
فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية
ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو
بالاضافة الى معلومات الله تعالى التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه
كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن
جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف
والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مستورا محفوظا
الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا بمعنى ولكن رحمة ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة
في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم
وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو
جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط
ماضيا كقول زهير: وان اتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم
بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان يكون الآية تقريرا لقوله
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان
للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى وهو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا
في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا
لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا
بعد ما لزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب
تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب
من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا
اي او ان يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
يعنون بقوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة
وابو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر

او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته
ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة
لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فتكون حالا
من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى
في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه
تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحهم وتنزيها لله تعالى من ان يأتي او يتحكم عليه
او يشاركه احد في القدرة هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا
لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم
ولا لهم ان يتحكموا على الله تعالى حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر
في آيات اخر كقوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس
ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا
ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد عليه السلام
والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون
كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من
الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة من ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك
مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به
وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله اليكم باظهار المعجزة
على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز
انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه
تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم
اولياء من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون
عليها روي انه قيل لرسول الله عليه السلام كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم
على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما تقر
اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا
بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا
بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها
زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة
بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم
بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة
الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر
على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم

اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده
كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة والدلالة على
الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد اذ لا احد الا ويختار
النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذا بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى
وكرمه هذا وان البخلاء اغلب منهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة
بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا
واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور
على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان
ان يهوديا سأل النبي عليه السلام فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذي سلطان
ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا
في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة
في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة
والشقاوة وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك
غير فيه سياق الكلام فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم
معك او سلهم من حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله عليه السلام فسال على لفظ الماضي بغير همز
وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فاسأل يا محمد بني اسرائيل عما جرى
بين موسى عليه السلام وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك ولتتسلى نفسك
او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك
لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا
باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك
يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره
عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك
صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا
على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين
فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ
وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم
ان يستخف موسى عليه السلام وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال
فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده
فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة

الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم
واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق
انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا
بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل
على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر
وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي بالعقاب فلا عليك الا التبشير
والانذار وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في
قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه
على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران
لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له
اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا
حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل
اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء
عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا
يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة
محمد عليه السلام على فترة من الرسل وانزال القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد
ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف
الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران حال
كونهم باكين من خشية الله تعالى وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه
لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا
الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله عليه السلام يقول يا الله يا رحمن فقالوا
انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره
الله في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة
وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما
سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله اياما تدعوا فله الاسماء
الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه
او للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما في اي من الابهام
والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه
فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات
الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم

على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر رض كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رض كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله عليه السلام ابا بكر رض ان يرفع قليلا وعمر رض ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا او ما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتنافي المعنى وانحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة ليشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين بعض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرا ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به

من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين يقولونه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ادل وابلغ على المقصود تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته وهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتاسف عليهم او متاسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله عليه السلام وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقرة فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال آخر كان لي فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت والله

زيادة

ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلوثاً ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغني
عيالك فاتت وسلمت الى نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت
اخاف الله تعالى فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها
اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان
وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى الغنم فحبسني ذات يوم غيث فلم ارجع حتى امسيت
فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما
فتوقفت جالساً ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك
فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف
يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا
آتنا من لدنك رحمة توجب المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي
نحن عليه من مفارقة الكفار رشداً نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشداً
كقولك رايت منك اسداً واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا
عليها حجاباً يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف
في قولهم بنى على امرأته في الكهف سنين ظرفان لضربنا عدداً اي ذوات عدد ووصف السنين به
يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق
علمنا تعلقاً حالياً مطابقاً لتعلقه اولاً تعلقاً استقبالياً اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم
في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امداً ضبط امد الزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه
لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامداً مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له
وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامداً تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء
بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامداً نصب بفعل دل عليه كقوله
واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم فتية شباب
جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها
بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجرأة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا
بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الهاً لقد قلنا اذاً شططاً
والله لقد قلنا قولاً ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان
اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم
بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يوجد الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه
من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً بنسبة الشريك اليه
واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذا
اعتزلتم القوم ومعبودهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله تعالى ويعبدون الاصنام كسائر
المشركين ويجوز ان يكون ما مصدرية على تقدير واذا اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله تعالى

وان يكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترضاً بين اذ وجوابه
لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين
ويهيئ لكم من امركم مرفقاً ما ترتفقون به اي تنتفعون به وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم
وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر مرفقاً بفتح الميم وكسر الفاء مصدر جاء
شاذاً كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله عليه السلام
او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان
الكهف كان جنوبياً او لان الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاء
وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور
بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم
تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله وهم في فجوة منه اي وهم
في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهوى ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر
الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب
الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه
مقابلة لجانبه الايمن وهو يلي المشرق وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه
ويحلل عفونته ويعدل الهواء ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات
الله اي شأنهم وايواؤهم الى الكهف كذلك واخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها
طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتدي الذي اصاب الفلاح والمراد
اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه
الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له ولياً مرشداً من
يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظاً لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام
ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم
على طول الزمان وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوباً
بفعل يدل عليه تحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مر بهم فتبعهم فطردوه
فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به
فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه
حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد
الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت
منهم فراراً لهربت منهم وفراراً يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت
منهم رعباً خوفاً يملأ صدرك بما البسهم الله تعالى من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح
عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف
لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رض ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك

فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث اناسا فلما دخلوا جاءت ريح
فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا
بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم
ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة
الله ويستبصروا بامر البعث ويشكروا ما انعم الله به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة لبثه ولذلك
احالوا العلم الى الله تعالى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم
وهذا انكار آخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا
انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم
قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا
احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو بكر
وحمزة وابو عمرو وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف
وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد الادغام لالتقاء الساكنين على غير حده
وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اي اهلها
ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف
اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في الاستخفاء حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن
ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل
المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم ويصيروكم اليها كرها
من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم
في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم كما انمناهم وبعثناهم ليزدادوا بصيرتهم اطلعنا عليهم
ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق
لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيمة
لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل
والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها
فيردها اليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم
امر دينهم وكان بعضهم يقولون تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقولون يبعثان معا ليرتفع
الخلاف وتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله تعالى بالموت فقال بعضهم ماتوا
وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة وقالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية
وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا
ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض
اما من الله تعالى ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم

على عهد رسول الله عليه السلام او من المتنازعين للرد الى الله تعالى بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا
الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك روي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج
الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا
موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس
فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت
الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم
فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم
الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا مسجدا سيقولون
اي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول عليه السلام من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم
اي هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى
نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم
وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا اطلاع لهم عليه واتيانا به او ظنا
بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل وايماء الله
اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب
بان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد
رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله
رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها
بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها
امر ثابت وعن علي رضه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء
اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم
والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة
لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية
الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم
ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي
اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف
ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
نهي تأديب من الله تعالى لنبيه عليه السلام حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف
وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما
حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي لا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل
فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء

ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية
بالفعل غير سديد واعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقيل
وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك
نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضه ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز
تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق
ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك به
من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح
والاستغفار اذا نسيت مبالغة في الحث عليه واذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض
ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى
ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا رشدا لاقرب واظهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب
الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب
والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى
خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء
مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا
في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرا حمزة والكسائي
ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ان علامة الجمع ههنا فيه
جبر للحذف وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث
قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما فلا خلق
يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج
عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء فلا يتفاوت دونه لطيف وكثيف
وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء في به تعود الى الله تعالى ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة
عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير
لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش
والفاعل ضمير المامور وهو كل واحد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت
للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك
في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرا ابن عامر وقالون عن يعقوب
بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القران على قصة اهل الكهف
من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول عليه السلام على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه
ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم ائت
بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه
ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون

ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه
ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله وطاعته
ولا تعد عيناك عنهم اي ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ
ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول عليه السلام ان يزدري بفقراء
المؤمنين ويعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة
الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا
قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك
لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات
وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه
كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته
اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر كقلوب
الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا ولا بقوله واتبع هواه
وجوابه ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين
عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي متقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس
فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه
الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر لا ابالي بايمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه
وان كان بمشيته فمشيته ليست بمشيته انا اعتدنا هيانا للظالمين نارا احاط بهم
سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول
الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش
يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا
بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال
من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا
متكا واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا
والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من
احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا
منهم او مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيدا وواقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا
على الحقيقة لا يجوز اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات او اولئك لهم جنات
عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان الاجر او خبر ثان
يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة اساور وتنكيرها
لتعظيم حسنها من الاحاطة بها وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا

لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج
وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين
فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت
الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين
او موجودين قيل هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا
من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها
المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم
كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله عليه السلام
جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل
او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال
حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيد الباء مفعولا ثانيا
كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه
متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد
الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد
في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما
فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى
الجنتين من ثمر ماله اذا كثر وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم
والباقون بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه
في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا
لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد
الجنة لان المراد ما هو جنته وهو ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له
في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون
في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد ان تفنى
هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة
ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي
منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك
لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله له واستحقاقه اياه لذاته وهو معه
اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك
او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك
انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك
في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على خلقه منه

قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة
او دونه وتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل
لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن
وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك
من اكفرت كأنه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي
ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او
ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف
اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت
لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله تعالى وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير
امرها فبمعونته واقداره وعن النبي عليه السلام من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة
الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تأكيدا
للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا
دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الآخرة لايماني
وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة
وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال
فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها
غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده
واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو
فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم
مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها
وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا
على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها يعني ساقطة حيطانها على سقوفها ويقول
عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم انه
اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك
وندما على ما سبق منه ولم يكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه
يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك والاتيان بمثله من دون الله فانه القادر
على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله تعالى منه هنالك
في ذلك وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده ولا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم يكن له
فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه تعالى المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه
المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر
ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه ولا يعبد غيره

كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله
يا ليتني لم اشرك كان على اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرأ حمزة
والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا
بالسكون وقرئ عقبى بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحيوة
الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا
لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط
بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط
بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح
هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء
ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا
ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا
قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب
والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت
من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان
صاحبها ينال بها في الاخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها
ونسيرها في الجو ونذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات
الصالحات خير عند ربك ويوم القيمة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء
للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها
ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا
بعد نسير وترى لتحقق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم
وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره
اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وعرضوا على ربك تشبيه حالهم
بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد
احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم
اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم
الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان
الانبياء عليهم السلام كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحايف الاعمال
في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين
خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوا بها من بين
الهلكات ما لهذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها

الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا
فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا
لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين
حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان
زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها
واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب
كل تكرير في القران كان من الجن حال باضمار قد او استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد
فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه
دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام
المستقصى فيه سورة البقرة افتتخذونه عقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار
والتعجب وذريته اولاده واتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم
بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات
والارض واحضار بعضهم خلق بعضهم ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله
وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له
في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشراك فيه يستلزم الاشراك فيها
فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم
الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد
بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول عليه السلام وقرئ متخذ
المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه
ويوم يقول اي الله للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي
وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد
من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم
وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة وهي
في شدتها هلاك كقول عمر رضي لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من
وبق يبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة
ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا
عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليها ولقد صرفنا في هذا القران للناس من
كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلا خصومة

بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو
الرسول الداعي او القرآن المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا
ان تأتيهم سنة الاولين الا طلبا او انتظارا او تقديره ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا
وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين
وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبيلا وانتصابه على الحال
من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة
اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه
من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسول عليه السلام ما انتم الا بشر مثلنا
لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما انذروا وانذارهم
او والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها لم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت
يداه من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم
ونسيانهم بانهم مطبوعون على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير
وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت
جزاء وجواب للرسول عم عن تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه
وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم
العذاب استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله عليه السلام
بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجا يقال وأل
اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ
خبره اهلكناهم او مفعول مضمر يفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما
ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا
لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون
فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم اي لهلاكهم
وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر
لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عم فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه
وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين
من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ
هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح

يعني

يعني لا ازال عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى
بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد موسى لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عم
فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل
كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي
الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون
سنة وقيل سبعون روي ان موسى عم خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر
خطبة بليغة واعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله تعالى
بل عبدنا الخضر وهو في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى عم
وقيل ان موسى عم سأل ربه اي عبادك احب قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك
اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس
الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني
فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به
قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هنالك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني
فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع
او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى عم ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له
ما رأى من حيوته ووقوعه في البحر وروي ان موسى عم رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب
في البحر معجزة لموسى عم او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش
ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله
في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله
جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل
ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا
من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد
الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى عم في سفر غير هذا السفر ويؤيده التقييد
باسم الاشارة قال ارأيت اذ اوينا ارأيت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي
رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت
ذكره بما رأيت منه وما انسانيه الا الشيطان اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان
ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكرك وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه
والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما جرى بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام
والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره
الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه
او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان واتخذ

سبيله في البحر عجبا وهو كونه كالسرب واتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل
هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا من تلك الحال وقيل الفعل
لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب
فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان
آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر
واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هو الوحي والنبوة
وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى
هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا
علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل وهو مفعول
ان تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد
ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة
ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه
فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب
فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم
بعض ما انعم الله تعالى عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه
على وجوه من التاكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظاهرها مناكير وبواطنها
لم يحط به خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله
صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا
وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر
فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد وقد تخلف فيه وخلفه ناسيا
لا يقدح في عصمته وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني
فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم صحته حتى احدث لك
منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا
على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق
السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب
لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي
ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر
اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكر قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت
بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار
بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك

اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر
نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي
فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى
اذا لقيا غلاما فقتله قيل اخذ عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه
فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير توقف واستكشاف حال ولذلك
قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية
التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه
لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل
انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء
واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل
اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت
شيئا نكرا وقرأ نافع في رواية قالون وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال
الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية
ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير
اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني
وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني
عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى
استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني بتخفيف
النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله • قدني من نصر الخبيبين قدي • وابو بكر
لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل
قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان
يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل
التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض
يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال • يريد
الرمح صدر ابي براء • ويعدل عن دماء بني عقيل • وقال • ان دهرا يلف شملي بجمل • لزمان يهم
بالاحسان • وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويها
او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت
طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت
لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي
كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه والتخذ

افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت
اى لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق بيني
وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت
اى هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة
المصدر الى الظرف على الاتساع وقرئ على الاصل سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا
بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت
لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه
وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى
وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم
او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلند الازدي يأخذ
كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله
وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية
او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين
وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها
واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا
لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ
وكافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك
لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضه ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي عليه السلام
عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف
ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبة ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قوله تعالى
فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه اي يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب
والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها
نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر
ويعقوب رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما
الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسور
وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله تعالى والذين
يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم
وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي

حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
اى الحلم وكمال الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون
علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت
رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعيب وثانيا الى الله
والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله تعالى بدله وثالثا الى الله تعالى وحده
لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني
ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت
ما رأيت عن امري عن رأيي وانما فعلته بامر الله تعالى ومبنى ذلك على انه اذا تعارض
ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرايع في تفاصيله
مختلفة ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن
فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه
سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه
المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسألونك عن ذي القرنين
يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين
او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس
وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته
كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه
والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركوا مكة قل ساتلوا عليكم منه ذكرا خطاب
للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله تعالى انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره
من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه
سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والالة فاتبع سببا فاراد بلوغ المغرب
فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف فاتبع مخففة التاء حتى
اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان يكون العين
جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعله بلغ ساحل
المحيط فراها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل
كانت تغرب وقيل ان ابن عباس رضه سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية
الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية ووجد
عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا
كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين
اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرايع

قيل خير بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من
ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته
فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا
بالقتل ثم يعذبه الله تعالى في الاخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا
وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى اى فعلة الحسنى وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها
او على المصدر لفعله المقدر حالا اى يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون
على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدل
ويجوز ان يكون اما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان
فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان
غيره فبالالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نأمر به يسرا سهلا ميسرا غير
شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا
بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام
على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم
من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او لانهم اتخذوا الاسراب
بدل الابنية كذلك اى امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك وامره
فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة
قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه
من الجنود والالات والعدد والاسباب خبرا تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك
بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا
بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين
المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان في آخر الشمال في منقطع
ارض الترك منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى
والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس
وبين هاهنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون
قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي يُفقِهون اى لا يُفهِمون السامع كلامهم
ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اى قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود
قال الذين من دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج
من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أج الظليم اذا اسرع
واصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث مفسدون في الارض اى في ارضنا

بالقتل والتخريب واتلاف الزرع وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر
الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجا
جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل
الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم
علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعله فيه مكينا
من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل
فاعينوني بقوة اى بقوة فعلة او بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما
حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع آتوني
زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة
لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة
على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة
بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها
وقرأ ابن كثير والبصريان وابن عامر بضم الصاد والدال وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال
وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر ومنه التصادف للتقابل
قال انفخوا اى قال للعملة انفخوا اى في الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا
كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ عليه قطرا اى آتوني قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين
نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس
وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا عن تلاقي
متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا
ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه
وصلابته قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان
من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت
كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا
وقيل بناه من الصخر مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها
قال هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي
وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة جعله
دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام
وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو
آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض يأجوج
ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق

في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام
الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها
واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها
فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي
لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصمت
مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي
اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول
الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي
أفكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة
ساوى الفعل في العمل او خبر انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه
على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز
وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل
لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم وآخرتهم ومحله الرفع على خبر المحذوف فانه جواب
السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون لعجبهم واعتقادهم
انهم على الحق صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن او بالدلائل المنصوبة على التوحيد
والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا
يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له
ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله
وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي
هزوا اي بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا
فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان
الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون
اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا
ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه
وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي
فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرأ حمزة والكسائي بالياء ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود
مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام
لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد
غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب
ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا

وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته
يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يأمل
حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب
منه اجرا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله عليه السلام اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع
عليه سرني فقال ان الله تعالى لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه السلام
اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل
وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم
كان له نورا في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ
فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون
عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه
ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

سورة مريم مكية تسعون وثمان آية وتسعمائة واثنتي وستون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي
ياءات وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ونافع بين بين وابن كثير وعاصم
يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمون ذكر رحمت ربك خبر ما قبله ان اول
بالسورة او القرآن فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمت ربك
او مبتدأ حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمت ربك على الماضي وذكر على الامر
عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جودك
زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله
سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر
او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه
حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب
اني وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل
بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ
وهن بالضم والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلث واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب
في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج
الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا
للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد
ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه

من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى
عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه وانى خفت الموالى يعنى
بنى عمه لانهم كانوا اشرار بنى اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا
عليهم دينهم من ورائى بعد موتى وعن ابن كثير المد والقصر كهداى وهو متعلق بمحذوف
او بمعنى الولاية فى الموالى اى خفت فعل الموالى من ورائى او الذين يلون الامر من ورائى وقرئ
خفت الموالى من ورائى اى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدى او خفوا ودرجوا قدامى فعلى هذا
كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امرأتى عاقرا لا تلد فهب لى من لدنك فان مثله لا يرجى
الا من فضلك وكمال قدرتك فانى وامرأتى لا تصلح للولادة وليا من صلبى يرثنى ويرث
من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائى على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة
الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثنى الحبورة فانه كان حبرا ويرث
من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحاق عم وقيل يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن ماثان
من نسل سليمان وقرئ يرثنى وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير
لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثنى وهذا يسمى التجريد فى علم البيان لانه جرد
عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له
من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامى الغريبة تنويه للمسمى
وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان فى الاسم والاظهر
انه اعجمى وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمى به لانه حيى به رحم امه او لان
دين الله حيى بدعوته قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا
جساوة وقحولا فى المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالى الضمتين والواوين
فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائى
وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه
كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اى الله او الملك المبلغ للبشارة
تصديقا له كذلك الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال فى قال ربك
وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو على هين اى الامر كما قلت
او كما وعدت وهو على ذلك هين على او كما وعدت وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله
الى الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت
معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشئ وقرأ حمزة والكسائى وقد خلقناك
قال رب اجعل لى آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتنى به قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال
سويا سوى الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران للدلالة
على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن فخرج على قومه

من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل
كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفى النهار ولعله كان
مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان يكون مصدرية وان يكون مفسرة
يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه
الحكم صبيا يعنى الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله فى صباه واستنباه
وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا فى قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم
وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة اى تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه
للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصى وبرا بوالديه وبارا بهما
ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصى ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله
الشيطان بما ينال به بنى آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب
النار واهوال القيمة واذكر فى الكتاب فى القرآن مريم يعنى قصتها اذ انتبذت
اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل
لان المراد بمريم قصتها او بالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر
وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمتك اذ لم تكرمنى فيكون بدلا لا محالة من اهلها
مكانا شرقيا فى بيت المقدس من شرقى دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا
ظرف او مفعول به لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا
فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا وقيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض
محتجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه
اذا طهرت فبينا هى فى مغتسلها اتاها جبريل عم متمثلا بصورة شاب امرد سوى الخلق
لتستانس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت انى اعوذ
بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب
الشرط محذوف دل عليه ما قبله اى فانى عائذة منك او فتعوذ بتعوذى او فلا تتعرض لى
ويجوز ان يكون للمبالغة اى ان كنت تقيا متورعا فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك
قال انما انا رسول ربك الذى استعذت به لاهب لك غلاما لاكون سببا فى هبته بالنفخ
فى الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه ويؤيده قراءة ابى عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب
بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح
قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق
فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك بغيا
عليه وهو فعول من البغى قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء
او فعيل بمعنى فاعل ولم يلحق التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك قال ربك هو على
هين ولنجعله اى ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لنهب

طريق الالتفات آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون
بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله في الازل وقدر وسطر في اللوح او كان امرا
حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها
وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية
غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت
حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار
فاجاءها المخاض فالجاها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال
كآتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج
الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة
يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم تكن
ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعل الله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما تسكن
روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا
استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت
وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرا حمزة وحفص بالفتح
وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته
منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناديها من تحتها
عيسى وقيل جبرئيل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرا نافع وحمزة والكسائي
وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل في تحتها للنخلة الا تحزني
اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي وقيل سريا من السرو
وهو عيسى وهزي اليك بجذع النخلة واميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلي
الهز والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك تتساقط
فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرا يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت
بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط والتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا
تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء
فهزته فجعل الله تعالى له رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة
على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على ان
من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها
مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي من الرطب وماء السري
او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقِري
بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر

الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين
للمحبوب وسخنتها للمكروه فاما ترين من البشر احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول
لبأت بالحج لتاخي بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ
به وصياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري
وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة
والاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن فاتت به قومها راجعة اليهم بعد
ما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا
من فري الجلد اذا قطعه يا اخت هارون يعنون هارون النبي وكانت من اعقاب من كان معه
في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح
كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك
امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش
من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم
من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من
وصبيا حال من المستكن فيه او دائمة كقوله وكان الله عليما او بمعنى صار قال اني عبد الله
انطقه الله به اولا لانه اول المقامات وللرد على من زعم ربوبيته آتاني الكتاب الانجيل
وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلم الخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق
في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اينما كنت
حيث كنت واوصاني وامرني بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس
عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر والجر عطفا
على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت
ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض
باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى
والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم
اي الذي تقدم نعته هو عيسى ابن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه
على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم
قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق
او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرا عاصم وابن عامر
ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه
يمترون في امره يشكون او يتنازعون فقال اليهود ساحر وقال النصارى ابن الله وقرئ بالتاء
على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها

من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد بل حب الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب
وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران
وقرأ الحجازيان والبصريان وأن بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف
الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى وفرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية
قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل
للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة
او من وقت الشهود او مكانه فيها او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة
والانبياء والسنتهم وايديهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها
وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم
يوم يأتوننا اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا
او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد
ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في محل النصب
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم
حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين
وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ قضي
الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف
للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما
اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن
نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى
الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون يردون
للجزاء واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا ملازما للصدق وكثير التصديق لكثرة
ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله نبيا استنباه الله اذ قال بدل من
ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة
من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك
شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه
برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به
العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له
الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه
على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا
مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق
كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان
جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم
لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني
من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه
بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه
بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه
الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان
الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا
ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه
بتخويفه بسوء عاقبته وما يجر اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك او ثابتا
في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس
وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان
من جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم
وذريته فنبه عليها قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد
بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدأ
وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل
ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني
الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك
اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام
عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك
بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة
الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة
انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني
وادعو ربي واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي
مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصديره الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة
والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة قيل
انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب
ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على
انفراده وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال

ولا ولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة
لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب
لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان
محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان
مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه
وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه
ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى
من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه
تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل
مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له
من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته
واجعل لي وزيرا من اهلي هرون فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل هرون عطف بيان له
نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به
والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال
ستجدني ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون
صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا
بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه وعلى من هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته
فان الانبياء آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في
الكتاب ادريس اي هو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس
يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه
اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب
انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل
الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة
من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين
بيان للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم
عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي من ذرية من حملنا خصوصا
وهم من عدا ادريس فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل
عطف على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه
دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هدينا الى الحق واجتبينا
للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول

صفته

صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة
في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبي عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا
فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث
غير حقيقي فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق
بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها واخروها عن وقتها واتبعوا
الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي
واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا
شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي
كقوله يلق آثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها
الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الاية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون
شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق
لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او نصب
على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن
بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب
اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله
كان وعده الذي هو الجنة مأتيا يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه
احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون
قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم وتسليم بعضهم على
بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على معنى الدعاء بالسلامة
واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام
الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة
تقواهم كما نبقي على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ مستعمل في التمليك والاستحقاق
من حيث انها لا يعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون
من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث
بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله لما سئل
عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه
فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل
ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا

كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما نتنزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته
وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو
ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان
الا بامره ومشيته وما كان ربك نسيا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر
ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة راها فيه
وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا
بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده
من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ناسيا لاعمال
العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان
لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته
خطاب للرسول مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال
فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام
لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر
لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا
الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث
لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة
غيره لم يكن بد من التسليم لامره ولا مستحق للعبادة غيره والاشتغال بعبادته والاصطبار
على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل
كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة
او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت
واذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه
حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج
لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما
خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروي
عن ابن ذكوان اذا مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان عطف على يقول
وتوسط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمها للدلالة على ان المنكر
بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشا منه فانه لو تذكر وتامل انا خلقناه
من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق
وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرا نافع وابن عامر وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر
الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا الى نبيه
تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول عليه السلام والشياطين عطف او مفعول معه

لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة
وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة
مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء
ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة
ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم
لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب
واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وان كان
المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم
ولعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وان فسر الانسان بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون
عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة وقرا حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم
ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى
واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان
ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد به تميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم وطرحهم في النار على الترتيب
او ادخال كل طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى
كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته
زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره
اما بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل
شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم
للعلم او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل
شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله
ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي وصليهم اولى
بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم
مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرا حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد وان منكم
وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر
دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال
اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم
قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل
ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم
واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه
ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرا الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ
ثم بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل

على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم
وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيآتهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ
مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول عليه السلام او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا
للذين آمنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام
او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى
انهم لما سمعوا الايات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار
بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال على ان زيادة حظهم فيها يدل على فضلهم وحسن حالهم
عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك
ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم
مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن
صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي
ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب
الهمزة وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا
بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج
ليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الاخرة بقوله قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر
ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله انما نملي لهم
ليزدادوا اثما وكقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون
غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون
اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين
عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون
من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا و[illegible]
عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به
احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان
امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها
ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد
لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية
والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل
من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا
عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم

ومردا

ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير هاهنا اما لمجرد
الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرايت
الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال
فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت
قال واذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار
استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب
حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب
والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار
حتى ادعى ان يؤتاه في الاخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ
من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل
العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا
ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما يصوره لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا
قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم
منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا يتاخر عن القول
لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب
ما يستأهله او نزيد عذابه ونضاعفه لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده
بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد وياتينا يوم القيمة
فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا
لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم
حيث يكونون لهم وصلة الى الله تعالى وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها
سيكفرون بعبادتهم ستجحد الالهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله تعالى
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول
اذا فسر الضد بضد العز اي ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة
في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها
وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه السلام
وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق
في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما
بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات
وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر

بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح
انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام آجالهم عدا
والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين
نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته والاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن
ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها
وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين
كما يساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي
ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو
الناصب ليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل
ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا
فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا
اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير المضاف اي الا شفاعة
من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من
اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير
يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا
ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله والاد بالفتح والكسر
العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي تكاد السموات
وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر
وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل والانفعال
مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا
او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة
وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام وتفتتت من شدتها
او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا
على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف
اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه
خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو
من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما ادعي
له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن
ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل
ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو
مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله

ان كل من في السموات والارض اي ما منهم الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي اليه
بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم حصرهم واحاط بهم
بحيث لا يخرجون من حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم
وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة فردا منفردا عن الاتباع
والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض
لاسبابها وعن النبي عليه السلام اذا احب الله عبدا يقول لجبرائيل احببت فلانا فاحبه
فيحبه جبرائيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء
ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ
بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا جاء الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم
على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه
بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرناه معنى انزلناه اي انزلناه بلغتك
لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة آخذين
في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم جمع الد فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم
من قرن تخويف وتجسير للرسول عليه السلام على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد
منهم وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب
هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى
ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله

سورة طه مكية وهي اربع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب
على الاصل وفخم الطا وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف
وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب
والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين
ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول عليه السلام
بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته
هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى
هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الارض لكن يرد
ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل واكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما

ما انزلنا عليك القران لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدا على انه مؤول بالسورة او القران
والقران فيه واقع موقع العايد وجوابا ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء
او استينافا ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا او طائفة من الحروف محكية
والمعنى ما انزلنا عليك القران لتتعب بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة
الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شايع بمعنى التعب ومنه اشقى من
رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل اليه ليسعد وقيل رد
وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القران انزل عليك
لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا
من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين
وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف او القران او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف
هو صفة للقران اي ما انزلنا عليك القران المنزل لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن في قلبه خشية
ورقة يتاثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب
باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا
او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده
الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب
الذي هو عند العقل فبدا بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم وقدم الارض
لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى ثم اشار
الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش واجرى منه الاحكام والتقادير
وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرحمن
على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك
على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك
باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم
السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس
لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها
بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد
بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له
والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير
الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب
الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل
والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف
وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية

من الارض

من الارض وهي اخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسماء الله على سائر الاسماء
في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتيك حديث موسى قفى
تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة
الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل اذ راى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول
لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عم في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى
وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق
وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم اني
انست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به لعلي
اتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلني
على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان
حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان متحققا ولذلك حققهم
به ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون
المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتيها اتى النار
وجد نارا بيضاء تتقد من شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو
اي باني وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق
قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان
فقال انا عرفت انه كلام الله فاني سمعته من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه السلام
تلقى من ربه كلاما تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش
من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك
طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل
معناه فرغ قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة
والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتاويل المكان
وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك
اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة انا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى اليك او للوحي
واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى دال
على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل
واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها
وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب
وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري
وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلاتي لما روي انه عليه السلام قال من نام
عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري ان الساعة

آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها
آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها
من اخفاه اذا اسلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى
متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة
من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه عن ان ينصد عنها كقوله لا ارينك
ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون
راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه ميل نفسه الى اللذات
المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصده وما تلك
استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بيمينك حال من معنى الاشارة
وقيل صلة لتلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي
على لغة هذيل اتوكؤ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع واهش
بها على غنمي واخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ اهس وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر
لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب اخرى
حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها
والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه
قاتل بها وكانه عم فهم ان المقصود من السؤال ان يتذكر حقيقتها او ما يرى من منافعها حتى
اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل
ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب
عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها
علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها فيها الاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها
ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه
الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى فالقيها فاذا هي حية تسعى قيل لما القيها انقلبت
حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ
وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة
الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان قال خذها ولا تخف فانه لما رآها
حية تسعى تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى
هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها
على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها
في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع
بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمانت نفسه حتى ادخل يده في فمها
واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك اي جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان

لجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء
كانها شمعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لان الطباع
تعافه وتنفر عنه آية اخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول
باضمار خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه آية
او قصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك
ومن آياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى
وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره الله تعالى بخطب عظيم وامر جسيم سأله
ان يشرح صدره ويفسح قلبه ليتحمل اعباءه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه
ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر
اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة واحلل عقدة من لساني يفقهوا
قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه
وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه
صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبيض
يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال
الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة
بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا
وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة
تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة
عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من اهلي هرون يعينني على ما كلفتني به
واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير
يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة
فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل
وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي ووزيرا وهرون عطف
بيان للوزير او من اهلي ولي تبيين كقوله تعالى ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل
من هرون او مبتدأ خبره اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ
الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات
ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما
يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي مسؤلك
فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى
انعمنا عليك في وقت آخر اذ اوحينا الى امك بالهام او منام او على لسان نبي في وقتها
او ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى

ولا يليق به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه
لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف
في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل
لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز
مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان يجعل الضماير كلها لموسى مراعاة للنظم
والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو لي
وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار
المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع
منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأسها
مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا
كما قال والقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد
يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله
احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقطه
منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن اليك
وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة
باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر
ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي وليكن عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي
اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل
ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره
فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها
فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن
هي بفراقك او انت الى فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه
عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة
والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او نوعا من الابتلاء على انه
جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة
بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا
على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين في اهل
مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت
على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على قدر
من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك
واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك

واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك بآياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا
وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي
اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل
اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا
مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا
ان تحمله الحماقة ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له
ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول
الا بالموت لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما
انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة
عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف
ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما
ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا
بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط
وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله
حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة بالعقاب وقرئ
يفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى او ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي
لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة
اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما
ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ
اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا
بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا
في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام
دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم
الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك بآية من ربك جملة مقررة لما
تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان
المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله تعالى
قد جئتكم ببينة فأت بآية او لو جئتك بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام
الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحي الينا
ان العذاب على من كذب وتولى ان عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل
تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع
وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اي بعدما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله

حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى
بالنداء تأكيدا به لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة
فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي
اعطى كل شيء من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقه
كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به قدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل
اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او
المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى
ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب
في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني
القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه ومنعم عليه
في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام
قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي
اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا علم لي منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت في اللوح
المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده
لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب
بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة
قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي
علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد
اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى
محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهادا
مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون مهدا اي كالمهد
تتمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد
وسلك لكم فيها سبلا وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها
من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به من
الغيبة الى صيغة المتكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة
على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره
كقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق
السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا اصنافا سميت
بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك
شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد
والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي متفرقات في الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها

للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا
على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم
بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع
الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبائكم
واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى
بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها
ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع او لشمول
الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة هي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام
اراه آياته وعدد عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان و
الطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير
ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله
من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله
لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى
بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف وبانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه
وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة
يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة
كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر
ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز
ويوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع
ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل
بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون
فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله
كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستاصلكم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب
من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم
بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة
واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به
موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران
تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس
وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى

تقديراً وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها
مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف
الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير
وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان
ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي
هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل
ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ان ارسل
معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم
فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعاً عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو
فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض
ثم ائتوا صفاً مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفاً مع كل منهم
حبل وعصى واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب
وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من ألقى اي بعدما اتوا مراعاة
للادب وان بما بعدها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اي اختر القاءك
اولاً او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا اولاً قال بل القوا مقابلة ادب بادب
وعدم مبالاة بسحرهم واسعافاً الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير
النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه
فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى
اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقاً
ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة
ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك
لانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيلت اليه انها تتحرك
وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها
تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس
في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفاً من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية
او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى
تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكداً بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف
الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك
ابهمه ولم يقل عصاك تحقيراً لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي
في يدك او تعظيماً لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها
اثراً فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذفت احدى التاءين

وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر بالرفع
على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما
صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول
صنعوا وقرأ حمزة والكسائي كيد سحر بمعنى ذي سحر او تسمية الساحر سحراً على المبالغة او
باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد الجنس المطلق
ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم
ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كانه قيل انما صنعوا كيد سحري
حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجداً اي فالقي فتلقفت فتحقق عند السحرة
انه ليس بسحر وانما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجداً
توبة عما صنعوا واعتاباً وتعظيماً لما رأوا قالوا آمنا برب هرون وموسى قدم هرون
لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره
فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روي انهم رأوا في سجودهم الجنة
ومنازلهم فيها قال آمنتم له اي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص
آمنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم
لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم
فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع
ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها
مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن
المصلوب بالجذوع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه
وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله بغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به
فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي آمنوا به اشد عذاباً وابقى وادوم عقاباً
قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات
المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض
ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم به انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم
بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى
هذه الحيوة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي
وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائماً
فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوا
والله خير وابقى جزاء او خير ثواباً وابقى عقاباً انه ان الامر من يأت ربه مجرماً بان يموت على كفره
وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة مهناة ومن يأته مؤمناً
قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة

جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة
او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والآيات الثلث يحتمل ان يكون
من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي من مصر
فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله
في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به
المؤنث يقال شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف عنه او وصف على فعل
كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلي حين ضمت
جوالب غرزا ومعا جياعا او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منه طريقا لا تخاف
دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف
وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى استينافا اي وانت لا تخشى او عطف عليه
والالف فيه للاطلاق كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق
فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص
اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى
فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم
خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم
ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل
هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى
اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم
في البحر وما نجا يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا
او للذين منهم في عهد النبي عليه السلام بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه
وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة
اليهم وهي لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى
يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم يعني لذائذه او حلالاته وقرأ حمزة والكسائي
انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار
مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم
فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل
الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع
في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب
عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور
وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة
في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم

جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة
وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب
لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك قال فانا قد فتنا
قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون
وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم السامري باتخاذ
العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا ومضلا وان صح
انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايامها اربعين وقالوا اكملنا العدة
ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا
من الله عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى
مشيته والسامري منسوب الى القبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان
وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى قومه بعد ما استوفى
الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم
وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها نور وهدى افطال عليكم العهد اي الزمان يعني
زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة
فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبوت على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت
وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب
الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك
بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم
بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلثها في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا
حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج
من مصر باسم العرس وقيل استعاروا العيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به
وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها
آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن ان يأخذ مال الحربي
فقذفناها في النار فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة
قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم
فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة
والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي
المذابة له خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم
واله موسى فنسي اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان
عليه من اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون الا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما
ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين

ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم هرون
من قبل من قبل رجوع موسى او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة
توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني
واطيعوا امري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين
مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هرون اي قال له موسى
لما رجع ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعن ان تتبعني في الغضب لله
والمقاتلة مع من كفر بها او ان تأتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله ما منعك الا تسجد
افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا
وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تأخذ بلحيتي
ولا برأسي اي بشعر رأسي قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان
حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل اني خشيت ان تقول
فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت
اخلفني في بني اسرائيل واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى
ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل اليه وقال له منكرا
ما خطبك اي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا
به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت بما لم يعلموه وفطنت لما لم يفطنوا له وهو ان
الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رأيت ما لم يروه وهو ان
جبرئيل جاءك على فرس الحيوة وقيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون
وكان جبرئيل يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه
والقبضة المرة من القبض واطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول
للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول
جبرئيل ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرئيل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين
ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها في الحلي المذابة او في جوف العجل حتى حيي
وكذلك سولت لي نفسي زينته وحسنته الي قال فاذهب فان لك في الحيوة عقوبة
على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فتأخذك الحمى ومن مسك فتحامى
الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة
وان لك موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفك الله وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك
في الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الواعد اياه وستأتيه لا محالة فحذف
المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا
وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته
مقيما فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه

اي بالنار

اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده
قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا
يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له
ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه
في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي
يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب
علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي
الفعل بالتضعيف الى مفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص
قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة
تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك
وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر
والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض
عنه عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله تعالى فانه
يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها
لثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما
خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء
لهم يوم القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف
اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن
والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور
وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة
على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور
وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا
زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم
كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال
ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ
صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا
يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها
لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات
او في القبر لقوله تعالى ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم
اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاع لقول من يكون
اشد تقالا منهم ويسئلونك عن الجبال عن مآلها وقد سأل عنه رجل من ثقيف

فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها فيذرها فيذر
مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله تعالى ما ترك على ظهرها
من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا
ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالقياس الهندسي وثلثتها احوال مرتبة
فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو
يخص المعاني والامت هو النتو اليسير وقيل لا ترى استيناف مبين للحالين يومئذ اي يوم
اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة
يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس
فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات
للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل
وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي لا شفاعة الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اي
الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية وعلى الثاني
منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او من الاذان ورضي له قولا اي ورضي
لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شانه او قوله لاجله في شانه
يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون
به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم
لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت
لخضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد
بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل
الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض
الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع
ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم
غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي
ذلك الانزال او مثل انزال هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلناه قرانا عربيا كله على هذه
الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه ايات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي
فتصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم
عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القران فتعالى الله في ذاته وصفاته
عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق
بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته
ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي

من جبرئيل ومساوقته في القران حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد
وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة
العلم بدل الاستعجال فان ما يوحى اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد
امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب
قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان
اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل هذا الزمان فنسي العهد
ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم راي
وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل
ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي عليه السلام
لو وزنت احلام بني آدم بحلمه لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب
لانه اخطا ولم يتعمد ولم نجد ان كان من الوجود بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود
المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر
باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزم والثبات فسجدوا
الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار
وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان معناه اظهر الاباء
عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا
لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة
فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها
من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل ولان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش
وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك
لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف
التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواضها
عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقايضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف
وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه حرف عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله
على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا آدم
هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد
وهو الخلود لانها سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما
سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما
للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب
حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ
فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن في النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم

لزلة وزجر بليغ لاولاده منها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها
من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه
فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا
منها جميعا الخطاب لادم وحوى او له ولابليس ولما كانا اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم
فقال بعضكم لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلاف
حال كل من النوعين بواسطة الاخر ويؤيد الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى كتاب ورسول
فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى
الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك
يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى ككسرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره يكون
الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب
للاخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة
والمسكنة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ولو ان اهل الكتاب آمنوا الايات وقيل هو
الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف
وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى اعمى البصر
او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة
والكسائي لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول راس الاية ومحل الوقف
فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك اياتنا واضحة نيرة
فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى
تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن
الايات ولم يؤمن بايات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الاخرة وهو الحشر على العمى
وقيل عذاب النار اي والنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى
ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الايات والكفر بها
افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون
اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل
عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يشاهدون اثار هلاكهم ان في ذلك لايات
لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت
من ربك وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الاخرة لكان لزاما مثل ما نزل بعاد
وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة يسمى به اللازم لفرط لزومه
كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة بتاخير العذاب واجل مسمى
لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة
على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ

العاجل واجل مسمى لازمين لهم فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد
لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقايص حامدا له
على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولي للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها
يعني الظهر والعصر لانهما من اخر النهار او العصر وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته
جمع اني بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه
لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة وكانت العبادة
فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار
تكرير لصلوتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله
ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار
وبداية النصف الاخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء
النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به
ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك
اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا
من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير في والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف
بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه
معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة
والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصفهم بانهم
زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم
ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الاخرة او ما
رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وامر اهلك بالصلوة
امر بان يامر اهل بيته او التابعين من امته بالصلوة بعد ما امر بها ليتعاونوا على الاستعانة
على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها
وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ
بالك لامر الاخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه السلام اذا اصاب
اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية وقالوا لولا ياتينا باية من ربه يدل على صدقه
في ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الايات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم
باتيانه بالقران الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي
النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه
قدرا وابقى اثرا وكذا ما كان من هذا القبيل فنبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه
المختصة بهذا الباب فقال اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى من التورية والانجيل
وسائر الكتب السماوية فان اشتمالها على زبدة ما فيها من العقايد والاحكام الكلية مع ان الاتي

بها المحاليرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تاتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ بالبناء للمفعول قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤل اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوء والسوى والسوء اي الشر والسوى وهو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة ومن في موضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي عليه السلام وعنه عليه السلام من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء وهي احدى عشر ومائة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليتكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون حالا من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو اسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب

بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء بالاخرى او للاضراب عن تحاورهم في شأن الرسول وما ظهر عليه من الايات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا في اقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقايق والحكم ليس فيهما ما يناسب قول الشاعر وهو ابعد من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فليأتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالاية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الايات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسئلوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي عليه السلام ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين توكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء

يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة من غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشأنا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثمة من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وسببا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والمبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ

الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله: سأترك منزلي لبني تميم * والحق بالحجاز فاستريحا * ووجهه الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه والمراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم لثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استيناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة للآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصفت بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ المقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد ام اتخذوا من دونه آلهة كرره استفظاعا لكفرهم واستعظاما لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده عقلا ونقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا

هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف
على صحة بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي ومن قبلي
الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة
على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل
وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتوكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون
عن التوحيد واتباع الرسل من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه
انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة
مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلثة وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه
بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة
حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث
انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ
بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين
واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان
السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا
عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون
لا يعملون قط ما لم يأمرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا
واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون
انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه
وهم من خشيته عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم
ولذلك خص به العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر
وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد
مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين
كفروا اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق
او مرتوقين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما
بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت
افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات
واقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما
بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات
باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به
نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء

ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض
وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء
كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه
اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء
لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل ومفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان
افلا يؤمنون مع ظهور الايات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا اذا ثبت
ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن الالباس وجعلنا
فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف
لتصير حالا فيدل على انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا
على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم
وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت
المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع
ووحدته وكمال القدرة وتناهي حكمته التي يحس بعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة
معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك
الايات كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم
كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل
والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار
المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله
والهمزة لانكار بعد ما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها
جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا
والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم
من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب
والعقاب وتقرير لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك
الا هزوا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال
فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد وبارشاد الخلق ببعث
الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن هم كافرون منكرون فهم احق ان يهزأ بهم
وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه
خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم وجعل ما طبع عليه بمنزلة
المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته

الى الكفر واستعجال الوعد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل سأريكم آياتي
نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الاخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي
عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت العذاب
او القيمة ان كنتم صادقين يعنون النبي واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول به
اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين يحيط بهم النار
من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز
ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلانه ما عليهم
حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تأتيهم
العدة او النار او الساعة بغتة فجاة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم
فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون
ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة او الحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار
او للبغتة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ
برسل من قبلك تسلية لرسول الله فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن
وعد له بان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق المستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه
قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه
ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته
بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا
منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل الهم آلهة
تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال
على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون
نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر
نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم
العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع عا
لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة
الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه
ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها
من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله على ايدي المسلمين افهم
غالبون رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء
وقرأ ابن عامر ولا تسمع على خطاب النبي وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضع
موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعوا اذا ما ينذرون

منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم
ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح
هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن
يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين
القسط العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الميزان تمثيل لارصاد الحساب
السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة
ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر
فلا تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان
العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ
آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال
وآتاهم بالجزاء او اثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة
وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به
في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان
النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم
صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة
مشفقون خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر
يعني القران مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد
آتينا ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له
شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه
او بلوغه حيث قال اني وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف
ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات
اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت
قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشانها وتوبيخ على اجلالها فان
التمثال الصورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية
العكوف بعلى والمعنى وانتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف
معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام
من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين
منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز
فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين فانهم لاستبعادهم
تضليل آبائهم ظنوا انه قاله على وجه الملاعبة فقالوا اجد تقوله ام لعب تقوله

قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان
على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة
عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المتحققين له والمبرهنين عليه
فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالباء وهي الاصل والتاء بدل من الواو
المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما
في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين
الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام
من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف
وقرئ بالفتح وجُذَذا جمع جذيذ وجُذُذ جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره
فاستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون انه غلب على ظنه انهم
لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم
فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه
في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم
قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة
بالاعظام او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى تصححه لان يتعلق به السمع وهو
ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له ابرهيم هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به
الاسم قالوا فأتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن
الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له
قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة
تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب
تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق انت كتبت هذا فقلت بل انت كتبته
او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون
وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابرهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف
على فعله وما روي انه عليه السلام قال لابرهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت
صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا بعضهم لبعض انكم انتم
الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه
لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة
شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا على اعلاه وقرئ نكّسوا بالتشديد
ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول

قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها
بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية اف لكم ولما تعبدون
من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا
ونتنا واللام لبيان المتأفف له وما يعبدون افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذوا
في المضارة اذ اعجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا آلهتكم
بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ناصرين لها نصرا موزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس
اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام
اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة بقدرته مأمورة مطيعة واقامة
كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما
بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه
في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فاسئل
ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا
وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف
عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا
على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى
في السمندر ويشعر به قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين
اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم على الحق وموجبا
لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا
فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت
في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة
النعم والخصب الغالب وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم
وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد
وزيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب فلا بأس للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا
صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة
يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسلنا اياهم حتى صاروا مكملين
واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم
واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وهو عطف الخاص على العام للتفصيل وحذف تاء الاقامة المعوضة
من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين
في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم
وعلما مما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث

يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامته مقامه
ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا
اي في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا
اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له
دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد
ونصرناه مطاوعه انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا
قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر وانهما
لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع
وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم
شاهدين بحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى
وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن
احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما يدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعوا بالبانها واولادها
وشعرها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان ولعلهما
بالاجتهاد والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة
للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل
اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي عليه السلام لما دخلت ناقة البراء حائطا
وافسدت فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة
لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار وكلا اتينا حكما وعلما
دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم
قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل
عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت
يتمثل له او يخلق الله فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استيناف
لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا او يسبحن والطير عطف على الجبال او مفعول معه
وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس
ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس لكم عمل الدرع وهو في الاصل
اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق
بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير
لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع وفي
قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة
الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان الريح وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاولى
لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه

عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر
ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى
حسب ارادته تجري بامره بمشيته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى
الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين
فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون
نفائسها ومن عطف على الريح او مبتدا خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا
دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع
الغريبة كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا
عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر
باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح
شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين
وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب
لطفا في السؤال وكان روميا من اولاد عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر اهله وماله
فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة
او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وروي ان امراته ماخير بنت
ميشا بن يوسف بن يعقوب او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله
فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعو وما بلغت
مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه
اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منهم نوافل رحمة
من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر
فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا للعابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل وادريس
وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل منه
او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف
كل كل هؤلاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوب وادخلناهم في رحمتنا
يعني النبوة او نعمة الاخرة انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان
صلاحهم معصوم عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب
مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل
وعدهم بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب
من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب
عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة
من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من

ظن ان لن نقدر عليه فمراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظناً للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك من ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة عن النبي عليه السلام ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة انهم يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا وذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة او خائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها اي احييناه في جوفها وقيل وفعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرئيل وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله اية للعالمين فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم ان ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة تقبيح فعلهم الى غيرهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم اهلكناها حكمنا بهلاكها

او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الاية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وحتى هي التي تحكى الكلام بعدها والمحكى هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني يأجوج ومأجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيمة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجأة وتسد مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا قد كنا اي مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اي لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه عليه السلام لما تلا الاية على المشركين قال له ابن الزبعري قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعري قال هذا شيء لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او تخصيص تأخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة والتوفيق بالطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين وروي ان عليا رضي الله عنه خطب وقرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة وزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه

ويقول لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في
ابعادهم عنها الحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون
في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة
الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض او الانصراف
الى النار حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقيهم الملائكة تستقبلهم مهنئين
هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذى كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي
السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف
من توعدون والطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت
مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي
السجل للكتب طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة
حمزة والكسائى وحفص على الجمع اى للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي
كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله عليه السلام وقرئ السجل كالدلو والسجل
كالعتل وهما لغتان كما بدأنا اول خلق نعيده اى نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدأنا
اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا بين الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة
بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما
على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او مفعول لما يفسره نعيده او موصولة
والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذى بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال
من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله تاكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة
علينا اى علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور كتاب داود
من بعد الذكر اى التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ
ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون يعني عامة المؤمنين
او الذين كانوا يستضعفون بمشارق الارض ومغاربها او امة محمد عليه السلام ان في هذا
اى فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية
لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان
ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به
من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اى ما يوحى
الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد
فالاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله
على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا
عن التوحيد فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء مستوين في الاعلام به
او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم

انى على سواء اى على عدل واستقامة رأى بالبرهان النير وان ادرى وما ادرى اقريب
ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول
ما تجاهرون به في الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين
فيجازيكم عليه وان ادرى لعله فتنة لكم وما ادرى لعل تاخير جزائكم استدراج لكم
وزيادة في افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر
تقتضيه مشيته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال
العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله وقرئ رب بالضم وربي
احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان
المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام
تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم
ونصر رسوله عليهم وعن النبي عليه السلام من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد آية ٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء
على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيف اليها اضافة معنوية بتقدير في
او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس
من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شئ عظيم هائل علل امرهم بالتقوى
بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع
بلباس التقوى فيتقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما ارضعت اى تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل
مجهولا ومعروفا اى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود
الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه
وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس
سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فادهشهم
هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رؤيتك قائما
بنصب الناس ورفعه على انه نائب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد
جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائي
سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت
في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين
ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان

مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير
للشان فانه يضله خبر لمن او جوابه والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه
وقرئ بالفتح على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر
في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب
السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه
مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم
فانه يزيح ريبكم من تراب اذ خلق آدم منه والاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة
من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم
وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة
او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا
وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره
اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته
وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء اي نقره الى اجل مسمى وهو وقت
الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا
قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم
في الارحام حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف وقرئ بالياء رفعا ونصبا ويقر
بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تاويل كل واحد او الدلالة
على الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة
كالانعم جمع نعمة كانها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ
يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكي
لا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل
وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والاية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري
الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر
على نظايره وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربات اي ارتفعت
وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رايق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى
في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار
مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدا خبره
بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء وانه يحيي الموتى
وانه الذي احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته الذي
نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات

لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات
الانصرام وطلايعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل
الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة
بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحي او الاول في
المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه
ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به
وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرا ابن كثير وابو عمرو
ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل
خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له في الدنيا خزي وهو ما اصابه
يوم البدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك
على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيمة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته
من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازاتهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة
العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي
يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمان به وان اصابته
فتنة انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم
اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته
قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال
ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم
بالاسلام فاتى النبي عليه السلام فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال خسر الدنيا والاخرة
بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية
ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين
اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه
ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا
يدعو لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة اقرب من نفعه
الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة بيدعو من حيث
انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى
يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستانفة على ان
يدعو تكرير للاول ومن مبتدا خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد
من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله
في الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان

يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله
الممتلئ غضباً او المبالغ جزعاً حتى يمد حبلاً الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق يقطع
نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلاً الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه
فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه قرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام فلينظر
فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيداً لانه منتهى ما يقدر
عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله
لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا
القرآن كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي او يثبت على
الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبيناً ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين
والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم
واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازي كلاً ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما
دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب
لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأبى
عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب
فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افراداً لها بالذكر
لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف والجمع
بين ساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد
من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير
يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له
الثواب او فاعل فعل مضمر اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب
بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريراً للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب
وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفاً بما بعده وقرئ حق بالضم وحقاً
ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام
ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك
قال اختصموا حملاً على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم
في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله
واقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وبنبيكم وبما
انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسداً فنزلت فالذين كفروا
فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم
قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب

يصب

يصب من فوق رؤوسهم الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في
بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما
يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد
سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا
منها من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا
لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل تضربهم لهيب النار فيرميهم الى اعلاها
فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار غير الاسلوب
فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده احماداً لحال المؤمنين وتعظيماً لشأنهم
يحلون فيها من حليت المرأة اذا البستها الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور
صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف
عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم
عطفاً على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وقرئ ولولوا
بقلب الثانية واواً ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء ولِيليا بقلبهما يائين ولول
كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة
او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة
التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق
او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله لا يريد به حالاً ولا استقبالاً وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم
فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف
دل عليه آخر الآية اي معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة
واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اي المقيم
والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين
اخرجوا من ديارهم وشرى عمر داراً ليسجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول
ثان لجعلناه ويكون للناس حالاً من الهاء والا فحال من المستكن في فيه ونصبه حفص
على انه المفعول الثاني او حال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس
ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد
عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار
او صلة له اي ملحداً بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن
واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة
ومكان ظرف واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء وانطمس ايام الطوفان فاعلمه الله

مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على بنائه القديم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي
للطائفين والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان
التبوئة من اجل العبادة او المصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي
وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها
للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء
واذن في الناس ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه صعد ابا قبيس
فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله في اصلاب الرجال وارحام النساء
فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله امر بذلك في حجة
الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم
ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر
فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان
او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة
العمق والمعق ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنياوية وتنكيرها لان
المراد بها نوع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها
وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب
الى الله في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام
علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر
فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا
الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس
الذي اصابه بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول
ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد
عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وليطوفوا
طواف الركن الذي به تمام التحليل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق
القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه
ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك
خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله
احكامه وسائر ما لا يحل هتكها او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام
والبلد الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام
الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله
فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي
الرجس الذي هو الاوثان كما يجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها

والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان
راس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم
البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة
الزور لما روي انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلثا وتلا هذه الاية
والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف
مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن
يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه
الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق فان الشيطان
قد طرح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان المشركين من لا خلاص له
اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات
المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك
ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم
الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي
انه عليه السلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر اهدى
نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها منه من افعال
ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ
التقوى والفجور والآمرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق
اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية
الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم فيها
منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل
بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها
الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي يرفع اليه الاعمال او يكون فيه
ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق
الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة
ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله وقرأ حمزة و
الكسائي بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجه الله
علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة
الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد
فله اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين
او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق
اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من المشاق والكلف والمقيمي الصلوة

ذي اوقاتها وقرئ المقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير
والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ وانما سميت الابل بها لعظم
بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام
البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك
وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدأ من شعائر الله من اعلام
دينه التي شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا
عند ذبحها لا اله الا الله والله اكبر منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن
وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وطرف سنبك الرابعة
لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافيا بابدال التنوين من حرف
الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا
كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية عن الموت
فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ
القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال والمعتر والمتعرض بالسؤال
وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها
لكم مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها
ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله
لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة
بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى
قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا
القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم
كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر
عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هديكم ارشدكم الى طريق
تسخيرها وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلق بتكبروا لتضمنه
معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتونه ويذرونه ان الله يدفع عن الذين آمنوا
غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه
ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي
فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل
وهو الله للذين يقاتلون المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر
وحفص بفتح التاء اي الذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه
فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعدما نهي عنه

في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى
الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان
يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين
على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف
صوامع صوامع الرهبانية وبيع بيع النصارى وصلوات كنائس اليهود وسميت بها
لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد مساجد المسلمين
يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او للمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله
من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب
واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه
شيء الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء
الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور
فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه فهو
ليس باوحدي في التكذيب وان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه
النظم وفيه بناء الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان
تكذيبه كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين للذين كفروا فامهلتهم
حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة
والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرأ البصريان
بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها
بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية
مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي
خالية وهي على عروشها اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها
والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها
ان نصب كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف
على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف
من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى
خاوية على عروشها خالية وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته
كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا
في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا

ليروا ذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم
من الاستبصار والاستدلال او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير
بحال من شاهدوا آثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه
او الظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس
الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور
للتاكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر
قيل لما نزل ومن كان في هذه اعمى قال ابن مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة
اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الكذب
في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال
او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائي بالياء وكاين من قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطفت الاولى
بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين
لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تاخر لعادته تعالى امليت لها كما امهلتكم
وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والي المصير والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس
انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين
لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع
ما يجمع فضائله والذين سعوا في آياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين مشاقين
للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا
من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة
اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير
شرع سابق كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عم ولذلك شبه النبي عليه السلام
علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف
واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول
من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك
بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى
الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان
على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به

بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية الى
الاستغراق في امر الآخرة والله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه
بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به
ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة
الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن
ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبرئيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين
وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرا كقوله تمنى كتاب الله
اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك
رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن
ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل
على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان
منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك
ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع
ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمؤمنين وليعلم
الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان
من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم فيؤمنوا
به بالقرآن او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي الذين آمنوا
فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا
في مرية في شك منه من القرآن او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله
ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى تاتيهم الساعة القيامة او الموت او اشراطها بغتة
فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء
يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما
فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا
ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد بالساعة غيره
او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي
دلت عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازات والضمير يعم المؤمنين والكافرين
لتفصيله بقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على
ان اثابة المؤمنين بالحسنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم
ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد

اوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد
ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة
قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا
فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا
يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معادهم حليم لا يعاجل
في العقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمى
الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة
لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض
عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث
على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كماله وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك
اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك
اي ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله
قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك
ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء
النهار بتغيب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقب بصير يرى
افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال العلم والقدرة بان الله هو الحق الثابت
في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ
لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا
عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة
المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الآلهة هو الباطل المعدوم
في حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان يكون له
شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير
ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطف على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار
كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة
على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق خبير
بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان الله لهو
الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم
ما في الارض جعلها مذللة معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ
بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض
من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه
الا بمشيته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها لانها مساوية لسائر الاجسام

في الجسمية فيكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرءوف رحيم حيث هيأ
لهم اسباب الاستدلال وفتح لهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم
بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في الآخرة ان الانسان
لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها
وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين
او النسايك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل
المراد نهي الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما
تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا
انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم
تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة
في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده
وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق
ولزمت الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو
وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب
يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين
الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء ان ذلك في كتاب هو اللوح
كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك الاحاطة به
واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات
على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته
وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين وما للذين
ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم آياتنا
من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف في
وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا
وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه
من الشر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم
بشر من ذلكم اي من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم
النار اي هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين
كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استينافا كما اذا
وقعت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال
مستغربة او قصة رايعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق
العبادة فاستمعوا له للمثل او لشانه استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله

يعني الاصنام وقرا يعقوب بالياء مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف وعلى الاولين
لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على
منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان
ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه
مجتمعين له متعاونين فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات
باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها
ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ
ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب
فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب
يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب
كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله
حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة
ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يعبدونها عاجزة عن اقلها
مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء
بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته
في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل
باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه
من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة
بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات
لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا
في صلوتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة
بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به
وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تاتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام
ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له
واثقين على اعمالكم والاية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود لقوله عليه السلام
فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها وجاهدوا في الله لله ومن اجله
اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع عن غزوة
تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا
خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد

الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتباكم
اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل
عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم
عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم
لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم
من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات
في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابرهيم منتصبة على المصدر
لفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء
او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله عليه السلام وهو كالاب لامته من حيث
انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته
فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة وفي هذا
وفي القران والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم مسلمين في القران
وان لم تكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا
تقدير وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم
شهيدا عليكم بانه قد بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة
من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا
بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم
ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير
سواه في الحقيقة عن النبي عليه السلام من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها
وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنون وهي مائة وتسع عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد ثبت المتوقع
كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون
متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرا ورش عن نافع قد افلح بالقاء
حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير
وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون
خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم وروي انه عليه السلام كان يصلي
رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى رجلا يعبث بلحيته

فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول او فعل
معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية
وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك
ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض
غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع
في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب
عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول
لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه والثاني على تقدير والذين هم لفروجهم حافظون
لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون
من قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج والتسري
وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافراد ذلك بعد تعميم
قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا
فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم
او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون
الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة
الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرا ابن كثير لامانتهم على الافراد لامن الالتباس
او لانها في الاصل مصدر والذين هم على صلوتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها
في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي
وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير
الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون
الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة
بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان
بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم
لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير
لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت
من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى سلالة لانها
في معنى مسلولة فيكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين
او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق
منه والسلالة نطفة ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه
منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين
مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه

بالقرار ثم خلقنا النطفة بان خلقنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة
مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام
لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلف العواطف لتفاوت الاستحالات
والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرا ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء
باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ثم انشاناه خلقا آخر هو صورة البدن
او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة
على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله
فتعالى الله شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا [illegible] فحذف المميز
لدلالة الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت ولذلك ذكر النعت
للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق اي سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض
مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها
وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين
امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال
حسب ما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر
نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمناه من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا
في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر
استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة
في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين
فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون
بها ومنها من الجنات ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم
من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتهما انواع
من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه
وشجرة عطف على جنات وقرئ بالرفع على الابتداء اي ومما انشا لكم به شجرة تخرج من طور
سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو
من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس
ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء
بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء
بالف التانيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان
او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت
ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك

ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت
كقول زهير رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت
زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ بالبناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن
وتخرج الدهن وقرئ تنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه
عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه
وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم
في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من
العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها
واصوافها واشعارها ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام
فان منها ما يحمل عليه كالابل وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك
فانها سفائن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدي زمامها * اذا نام وقع الزمام تحت
خده فيكون الضمير فيه كالضمير في بعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق لبيان
كفران الناس ما افيض عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استئناف
لتعليل الامر بالعبادة وقرئ غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم
نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها
فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل
عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة
رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا بانه نبي او ما كلمهم به
من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم
كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به
فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما آيس من ايمانهم رب انصرني
باهلاكهم او بانجاز ما اوعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا
اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد
ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور
روي انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور فاركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته
امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام
وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلكه غيره قال تعالى
ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص
من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تأكيد واهلك واهل بيتك او ومن آمن معك
الا من سبق عليه القول اي القول من الله باهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام

حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم
بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع
فيه كيف وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك
على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني منزلا في السفينة او في الارض مباركا
يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين
ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر
والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن
دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك لآيات فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر
اولو الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين
عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود
فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على
انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله
وقال الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول
بخلاف كلام قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء
ما فيها من الثواب والعقاب او بمعاده الى الحياة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم
في الحياة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل
مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب
محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما امركم انكم
اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب الذين قاولوا من قومه ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم
تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون
مبتدأ خبره الظرف المتقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم
اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني
عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة
لما توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد
قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون
وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل
وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا
اصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير

واشعاراً بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة
الا حياتنا الدنيا لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل
لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعضنا وما نحن بمبعوثين
بعد الموت ان هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له وفيما يعدنا من البعث
وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب
تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة
ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبرئيل
صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم
صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضي بالحق
او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميلة
كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء
وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها
واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم انشأنا من بعدهم
قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت
الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا
تترا متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور
والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواتر
وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء
الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا
بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها
وهو اسم جمع او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون باياتنا بالايات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة
للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها
معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون
من الحجر بضربها وحراستها وتصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به
المعجزات وبالايات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها ايات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه
النبي الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين
فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع
كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى
تشهد بان قصارى شبهة المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم
من المماثلة في الحقيقة وفسادها يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت

في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء
لا يعود عليهم الفكر بزيادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في
اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم
واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقومهما يعني
بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين
بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز
عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام
وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا
ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهرت منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت
الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق
او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة
بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها
يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى
واصله الابعاد في الشيء او الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه
بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه
وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا
بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه
فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم
لم يكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية
في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل
في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل
الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام
ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم
اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا
ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف
امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في العقائد واصول الشرائع او جماعتكم
جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم
فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم
وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز
والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده
القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه

يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير
مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين
فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي
يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا
او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين
بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاتب عليه وانما معاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره
نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع
به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا
فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك
يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم
من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة
والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا
والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما اتوا اي يفعلون
ما فعلوا من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق
فيؤاخذ به انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم
اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون
في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها لقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا
فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون
الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقونها اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم
في الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض
على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني اللوح او صحيفة
الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة
عقاب او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا
من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة
لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى
اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم
الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجأرون فاجؤوا الصراخ
بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأ بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا
اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا
فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت آياتي تتلى عليكم

يعني القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها
والعمل بها والنكوص الرجوع مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم
بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين
لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا
اي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة
وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القرآن
او تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجّرون
على المبالغة افلم يدبروا القول اي القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه
ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين من الرسول والكتاب او من الأمن
من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه
فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق
وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له
منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا
انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد
ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واثقبهم
نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك
انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ
قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في
الواقع آلهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب
ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله
بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه
من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على
اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم او الذكر
الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون
لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة
فخراج ربك خير رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة
لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة
على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه
وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين
تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته

لاعوج فيه يوجب اتهامهم لم واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلل في هذه الايات
بان حصر اقسام ما يودى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة
وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط عن الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه
فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا
ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم في الكفر
والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا
حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله عليه السلم فقال انشدك الله والرحم الست
تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد
اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا
على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون
او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله
حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون
متحيرون ايسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع
والابصار لتحسوا بها ما نصب من الايات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها
الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان
العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة
للتاكيد وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون
تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به
تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعالى
او انتقاص احدهما وازدياد الاخر افلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا
تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب
المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا ولم يتاملوا انهم كانوا قبل ذلك
ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك
وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم
او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي
الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا
فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها
قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها
ثانيا فان بدء الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع

ورب العرش العظيم فانه اعظم من ذلك سيقولون لله قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام
فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا بعض
مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن
وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا
يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون
فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق
من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد
لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يشابهه في الالوهية اذا لذهب كل اله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه
اي لو كان معه الهة كما يقولون لذهب كل واحد بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك
الاخرين ولظهر ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده
ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات
الى واجب واحد سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فسادها
عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب
وحفص على الصفة وهو دليل اخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك
ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد من ان تريني
لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والاخرة رب فلا تجعلني في
القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شؤم الظلم قد يحيق
بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى
اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير
كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا
نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد
لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع
بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن
في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر
وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون
بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه
حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد
المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون يحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال
الصلوة وقراءة القران وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليها حتى اذا جاء احدهم

الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان
ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان
والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل
لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته
اي لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة
قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله اما الكافر فيقول رب
ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الخ
والمراد من الكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه
ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة
وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه
الى حيوة تكون في الاخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر
الصاد ويؤيد ان الصور ايضا جمع صورة فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم
من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها
يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه
وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة
او دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقايده واعماله
اي فمن كانت له عقايد واعمال صالحة تكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والدرجات ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار
لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا
زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة
او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم
فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن
اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم
بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت مجامع
احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر
كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا
ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت
الكلب اذا زجرته فخسأ ولا تكلمون في دفع العذاب او لا تكلمون راسا قيل ان اهل النار يقولون
الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين
فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون
انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون الفا

اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا ربنا ارجعنا فيجابون اخسئوا
فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان
فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا
آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا سخروا وقرأ نافع
وحمزة والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة
وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزؤ والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى
انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم
تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم
بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استينافا
قال اي الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر اي قل
للملك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احياء وامواتا في القبور عدد سنين
تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم
في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي
في حكم المعدوم فاسأل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا
لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس
ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين
اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي قراءة الكوفيين قل ان لبثتم الا
قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ
على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم
لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف
على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله
الملك الحق اي الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه
دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط
بالاجرام وتنزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته
الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها آخر يعبده لا برهان
له به صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه
تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين
الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون
ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح
المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفر ويسترحم فقال
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة

بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت علي
عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وعنه اولها
وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث ايات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية وهي اثنتان او اربع وستون اية وكلماتها ١٣١٧

بسم الله الرحمن الرحيم سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة
انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل
او دونك ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة
فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها ايات بينات واضحات
الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما
فرضنا وانزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل
يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا
في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها
والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي
عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الاية ما يدفعه
لينسخ احدهما بالاخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلثة اقوال والاحصان
بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو
مردود برجمه عليه السلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي
يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه
او تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرا ابن كثير
بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يقتضي
الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب
والطائفة فرقة يمكن ان يكون حافة حول كل شيء من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد
او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة
لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق
وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال
في الرغبة فيهن لان الاية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن

لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذا قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين
لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك
من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها
والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول
المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم
الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزني
بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات
بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف
غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه
بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب واشنع
ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة
ولكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا
لهم شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء
الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط
لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوأ مما بعده ابدا ما لم يتب
وعند ابي حنيفة الى آخر عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد
ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال من المقذوف
والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزم سقوط الحد به كما قيل
لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل
الى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه عن موجب وقيل
منقطع بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون ازواجهم ولم يكن
لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء
او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع شهادات اي فالواجب شهادة احدهم
واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق
بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به
من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا والخامسة
والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف
في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه
فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق
عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله ويدرأ عنها

العذاب اى الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها
الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ويعقوب ان لعنة الله
وان غضب الله بتخفيف النون فيهما ورفع التاء والباء وقرأ نافع ايضا ان غضب الله
بكسر الضاد من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون ونصب التاء وفتح الضاد
وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم
اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من
الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي وذلك
انه عليه السلام استصحبها فى بعض الغزوات فاذن ليلة فى القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة
ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى
كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا
فجلست كى يرجع اليها منشد وكان صفوان بن معطل السلمى قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح
عند منزلها فعرفها واناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم
جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابى وزيد بن رفاعة
وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبر ان وقوله
لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب للرسول وابى بكر وعائشة وصفوان والهاء
للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة
آية فى برائتكم وتعظيم شانكم وتهويل للوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذى تولى
كبره معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابى فانه بدأ به
واذاعه عداوة لرسول الله عليه السلام او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به
والذى بمعنى الذين له عذاب عظيم فى الاخرة او فى الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابى مطرودا
مشهورا بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه
ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله
ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان
الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم
عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه ينزل منزلته من حيث انه
لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض
على ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاؤ
عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة
المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه فكذب عند الله اى فى حكمه ولهذا لامتنع

الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا ولذلك رتب الحد عليه لولا فضل الله
عليكم ورحمته فى الدنيا والاخرة بانواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته
فى الاخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه
عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم
يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تلقونه على الاصل
وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاه بعضهم على بعض
وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته
فوجدته وتقفونه اى تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اى وتقولون كلاما
مختصا بالافواه مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله تعالى
يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله
عظيم فى الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم
تلقى الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم
ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ما ينبغى وما يصح لنا ويجوز ان يكون
الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا
عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانك هذا
تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه
مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب منه او تنزيه لله من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها
ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله بهتان
عظيم لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله
لعظم المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ان تعودوا لمثله
كراهة ان تعودوا او فى ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يمنع عنه وهو تهييج وتقريع ويبين الله لكم الايات الدالة على الشرائع ومحاسن الادب
كى تتعظوا وتتأدبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم فى تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه
ولا تقريره عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة فى الذين آمنوا
لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم ما فى الضمائر وانتم لا تعلمون
فعاقبوا فى الدنيا ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حب الاشاعة
ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم
الجريمة وكذا عطف قوله وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب
وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة
الفاحشة وقرأ نافع والبزى وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها وقرئ بفتح الطاء ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء

ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية
للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا آخر الدهر
ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم ولا
يأتل ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتال
وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين
اولوا الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يؤتوا
على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك
او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم
وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من
اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه عليه السلام قرأها
على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفائف
الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول
والمؤمنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والآخرة لما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم
لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي
ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك
عائشة يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة
والكسائي بالياء للتقدم والفصل ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
يعترفون بها بانطاق الله تعالى اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد
تهويل العذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر
ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر
على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق المبين اي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه
ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب
فيكون كالدليل على قوله اولئك يعني اهل بيت النبي او الرسول وعائشة وصفوان
مبرؤون مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم تقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات
من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤون مما يقولون
فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤون من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم
يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وبرأ موسى من قول
اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة بهذه الآيات مع هذه المبالغة
وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا

غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلون الا باذن حتى تستأنسوا
وتستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن
مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او لا يؤذن له او من الاستيناس الذي هو
خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن استأنس
او يتعرفوا هل ثمه انسان من الانس وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم ادخل
وعنه عليه السلام التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل
والا رجع ذلكم خير لكم اي الاستئذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية
الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل
فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي عليه السلام استأذن على امي
قال نعم قال لا خادم لها غيري استأذن كلما دخلت عليها قال اتحب ان تراها عريانة قال لا
قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان
تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم
حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه
الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بلا اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق
او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم
عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب من الكراهة وترك المروءة او انفع لدينكم ودنياكم
والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم
جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع لكم استمتاع
لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم
السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل
مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي عما يكون نحو محرم
ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ
النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة
سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم او اطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى
عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها
فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا
ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا
وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا
عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم
فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية
والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة

لا الى النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الا لضرورة
كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن اى سترا لاعناقهن وقرا نافع
وعاصم وابو عمرو وهشام بضم الجيم ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل
الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او
اباءهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن
لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى الطباع
من النفرة عن مماسة القرايب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر
الاعمام والاخوال لانهم فى معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتستر عنهم حذرا ان يصفوهن
لابنائهم او نسائهن يعنى المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء
كلهن وللعلماء فى ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روى انه عليه السلام اتى فاطمة
بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها
لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام لا بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة
كالاجنبى او التابعين غير اولى الاربة من الرجال اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم
والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم
ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل الذين
لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم
حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف
ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال
فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما فى الكف
عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم
عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وقرا ابن عامر ايه المؤمنون
وفى الزخرف يا ايه الساحر وفى الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء فى الوصل فى الثلاثة والباقون بفتحها
ووقف ابو عمرو والكسائى عليهن بالالف ووقف الباقون بغير الالف وانكحوا الايامى
منكم والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب
المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة
فيه امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية
والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب
على الولى والمولى والايامى مقلوب ايائم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا
قال فان تنكحى انكح وان تتايمى • وان كنت افتى منكم اتايم • وتخصيص الصالحين لان احصان
دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء

يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة
من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله عليه السلام
اطلبوا الغنى فى هذه الاية الكريمة لكن مشروطا بالمشية لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهى قدرته
عليم يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد فى العفة وقمع
الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان
التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب
المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه
عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتاجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون
منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته
مبتدا خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه
للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج
الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء
فى الحال يمنع صحتها كما فى السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء
المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه
ظاهر لفظا وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز وآتوهم من مال الله الذى آتاكم
امر للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفى معناه حط شئ من مال الكتابة
وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقل ما يتمول وعن على يحط الربع وعن ابن عباس الثلث
وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه ياخذ
صدقة كالداين والمشترى ويدل عليه قوله عليه السلام فى حديث بريرة هو لها صدقة
ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء الزنا كانت لعبد الله بن ابى ست جوار
يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله فنزلت
ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم
من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه وايثار ان على اذا
لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اى لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما فى
مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة
فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل
واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات يعنى الايات التى بينت فى هذه
السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى

فى الموضعين هنا وفى الطلاق بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول
السليمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من
قبلكم اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة
فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين يعنى ما وعظ به فى تلك الايات وتخصيص
المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالايات القران والصفات المذكورة صفاته الله
نور السموات والارض النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها
سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو
بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم
او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب
وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير
نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل
الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد
لما عداه او الذى به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركته
له فى توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها
من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرف فيها
بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهى اذن من سبب
يفيضها عليها وهو سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الانبياء والملائكة ولذلك سموا
انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادى من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما
للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات
البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته
الى ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكاة كصفة مشكاة وهى الكوة
الغير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة فى وسط القنديل
والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح فى زجاجة فى قنديل من الزجاج الزجاجة
كانها كوكب درى مضئ متلألئ كالزهرة فى صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق
من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه
قراءة حمزة وابى بكر على الاصل وقراءة ابى عمرو والكسائى درىء كشريب وقد قرئ به مقلوبا
يوقد من شجرة مباركة زيتونة اى ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثف نفعه
بان رويت ذبالته بزيتها وفى ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم
لشانها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائى وابو بكر
بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف
التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية يقع الشمس عليها حينا بعد حين

بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج
وزيتها اصفى ولا نابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود
الزيتون او لا فى مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او مقناة تغيب عنها دائما فتتركها
نيا وفى الحديث لا خير فى شجرة ولا نبات فى مقناة ولا خير فيهما فى مضحى يكاد زيتها يضئ
ولو لم تمسسه نار اى يكاد يضئ بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه نور على نور متضاعف
فان نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته
وقد ذكر فى معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذى دلت عليه الايات البينات فى جلاء مدلولها
وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات
اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه اوفق
من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة
المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابى مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله عباده من القوى
الدراكة الخمس المترتبة التى نيط بها المعاش والمعاد وهى الحاسة التى تدرك المحسوسات
بالحواس الخمس والخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية
متى شاءت والعقلية التى تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهى التى تؤلف المعقولات
ليستنتج منها علم ما لم يعلم والقوة القدسية التى تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت
المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء
من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة فى الاية وهى المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة
والزيت فان الحاسة كالمشكوة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها
واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة فى قبول صور المدركات من الجوانب
وضبطها الى الانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح
لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتاديها الى ثمرات
لا نهاية لها والزيتونة المثمرة بالزيت الذى هو مادة المصابيح التى لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها
عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعانى متصرفة فى القبيلين منتفعة من الجانبين
والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضئ بالمعارف من غير تفكر
ولا تعلم او تمثيل للقوة العقلية فى مراتبها بذلك فانها فى بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة
لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن
من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان
بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتى
يكاد زيتها يضئ لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحى والالهام الذى مثله النار من حيث
ان العقول تشتعل منها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت
كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدى الله لنوره اى لهذا النور الثاقب

من يشاء فان الاسباب دون مشيته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال
للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا
ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق
بما قبله اي كمشكوة في بيوت او يوقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة
فيه فان قناديل المساجد يكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد
ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكوة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة
ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا بيذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله
او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد
الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء والتعظيم ويذكر فيها اسمه عام
فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو
والاصال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشيات والغدو مصدر اطلق
للوقت ولذلك حسن اقترانه بالاصال وهو جمع اصل وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل
وقرا ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال
بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو
رجال لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم
بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم من قسمي التجارة فان الربح
يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبدؤها وقيل
الجلب لانه غالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة
عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما
مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير
من الهول او يتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم يكن تفقه وتبصر الابصار ما لم يكن
تبصر او يتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية تؤخذ بهم
ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء
ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم فلم يخطر ببالهم
والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة
الاحسان والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي
يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كسراب وهو ما يرى
في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع
وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه الظمان
ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه

جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابا او زبانيته
او وجده محاسبا اياه فوفيه حسابه استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب
لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة تعبد في الجاهلية
والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم
لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة
من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت
قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الاخرة
في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشيه يغشى البحر موج من فوقه موج اي امواج
مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة
صفة اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرا ابن كثير ظلمات بالجر
على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد
يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى
من حب مية يبرح والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله
له نورا ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له
نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي والاستدلال
ان الله يسبح له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات
والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال
والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها
بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة
اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره
كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه
اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة
على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله
الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي
اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات
والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع
الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم
يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى
بين اجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله
من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك
فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد

بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز
ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة
وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة
اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهوى وقوي البرد هناك
اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية
قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا
وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لابد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل
على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء
ويصرفه عن من يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو
وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها
للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل
على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله
الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد
والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة
على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة
وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرأ
حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة
فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق
بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة
للمشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانسان والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم
والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير
الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الاضافة لتوافق التفصيل بالجملة والترتيب
لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا
على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبايع والقوى والافعال مع اتحاد
العنصر بمقتضى مشيته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا ايات مبينات
للحقائق بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها
الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا
بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه
الى النبي عليه السلام او في مغيرة بن وائل خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول واطعنا
اي واطعنا لهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا
وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا

بلسانهم لم يؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم فسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه
للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون عليه
واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي عليه السلام فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه
وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله تعالى اذا فريق منهم معرضون فاجأ
فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان
يكن لهم الحق اي لهم الحكم لا عليهم يأتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة
ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم مرض كفر وميل الى الظلم ام ارتابوا
بان رأوا منك تهمة فزال ثقتهم بك ويقينهم ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم
ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما
باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم
الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا
الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته تعالى
في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء
للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يأمرانه
او في الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرأ
يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو بكر وابو عمرو وخلاد بخلف عنه ويتقه باسكان الهاء
وهشام بخلف عنه باختلاس كسرتها والباقون بصلتها وحفص باسكان القاف واختلاس
كسرة الهاء فشبه تقه بكتف وخفف والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق فاولئك هم الفائزون
بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكارا للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج
عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة
اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين الكاذبة والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة
امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى
عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة
في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه
في حكمه تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به
وقد ادى وانما بقي ما حملتم فاذا اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات خطاب للرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض
ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره
وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين
من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ ابو بكر بضم التاء

وكسر اللام إذا ابتدأ وضم الألف والباقون بفتحها وإذا ابتدأوا كسروا الألف وليمكنن لهم
دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء
وقرأ ابن كثير وبكر بالتخفيف امنا منهم فكان رسول الله واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين
خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده
فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار
عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه
لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الذين
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن
لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه
النعمة بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في
فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك
على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكريرا للامر بطاعة الرسول
للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به
الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين لله
عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه
لمحمد والمعنى كما هو في القراءة بالتاء او الذين كفروا فاعل والمعنى ولا تحسبن الكفار في
الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه او لا يحسبنهم معجزين فحذف
المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين كشيء واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث
ومأويهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأويهم
النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى التي
يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة
الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف
من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال
والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرشد دخل عليها في وقت
كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله عليه السلام مدلج بن عمرو الانصاري وكان
غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه
لوددت ان الله نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن
ثم انطلق معه الى النبي عليه السلام فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية والذين لم يبلغوا الحلم
منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله
ثلث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع

وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبر
المحذوف اي هي من قبل وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة
بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف
ثلث عورات لكم اي هي ثلث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده
واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بالنصب
بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان
وليس فيه ما ينافي اية الاستئذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك
في احرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في
ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق
بين اوقات الثلث وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف
بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات اي الاحكام والله عليم
باحوالكم حكيم فيما يشرع عليكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن
الذين من قبلهم من الذين بلغوا قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استئذان
العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون والذين جعلوا قسيما للمماليك
فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره تأكيدا ومبالغة في الامر
بالاستئذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون
نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة
كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات
بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج
التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين
بحيث ترى بياضها محيطا بسوادها كله لا يبقى منه شيء الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها
للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال
عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا
يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفاتيح
ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة
قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا
كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضاء صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام
ثم نسخ بنحو قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي للحرج عنهم
في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم
من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته
لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه

او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت عماتكم
او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم
من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به
وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به
وهو ما يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة
ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد البسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية
به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين
او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده او في قوم
من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام
لاختلاف الطاعم في الغرازة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم
اي على اهلها الذين منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز
ان يكون صفة لتحية فانها طلب الحيوة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم
مباركة لانها ترجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي
انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم
يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار والاوابين كذلك يبين الله لكم الآيات
كرره ثلثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك
وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور انما المؤمنون الكاملون
في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة
والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع
لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله عليه السلام فياذن لهم واعتباره في كمال الايمان
لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم
الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله عليه السلام بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ
فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن
مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استاذنوك لبعض شانهم
ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق الامر فاذن لمن شئت منهم تفويض
للامر الى راي الرسول واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومن منع ذلك
قيد المشية بان تكون له تابعة لعلمه بصحته وكان المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر
لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين
ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة
في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة

وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء
وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض
الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه
مجاب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه
مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يتسللون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل
تدرج وتدخل منكم لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له
فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره
بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره
دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف
دون المخالف عنه والضمير لله تعالى فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر
ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة واستدل به على ان الامر
للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على
حسنه المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات
والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص
وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز
ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ
والمجازات عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي عليه السلام من قرا سورة
النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وانها سبع وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من
البركة وهي كثرة الخير او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى
الزيادة وترتبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك
الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى
والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل
بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم
رسول الله وامته لقوله تعالى لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية
ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار
وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنه لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة
الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم

النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه
وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير
حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا
فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصايص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر
والتدبير واستنباط الصنايع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره
للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى
واوجد كل شيء فقدره حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام
اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم
يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم
ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون
اماتة احد ولا احياءه اولا ولا بعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه
عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على
البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتريه
اختلقه واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه
بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاؤا ظلما بجعل الكلام
المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء
يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون
اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها
كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل
للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب
او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته
وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف
يجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون
مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم صبا وقالوا ما لهذا الرسول
ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في
الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا
وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية
وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله
واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه
كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل
التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه

وقرأ حمزة والكسائي بالنون وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم
بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو
الرية اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا
لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي عليه السلام المميز بينه
وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك
او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا
ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك
قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا
جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا
بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك
بفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب
وهو قوله تعالى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار
ويجعل لك قصورا فيصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب تكذيبهم اياك فانه
اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاشتعال وقيل هو اسم لجهنم فيكون
صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما
اي لا تتقاربان بحيث يكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم
من مكان بعيد وهو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه
صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم يكن
مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل
ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان
ومنها بيان تقدمه فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح
مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض مقرنين قرنت
ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا وينادون
فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك
وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد
كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع
فهو في كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى
العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة
والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها
او للتمييز عن جنات الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح او لانه ما وعده الله في تحققه

كالوافي جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم
ان يتفضل بها على غيرهم برضائهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب
لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم ولعله يقصر همم كل طائفة
على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شيئا والكامل بالتشهي وفيه تنبيه على
ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا
مسؤلا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسال
ويطلب او مسؤلا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده
ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز
ويوم نحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون
من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شيء
يرى ولا يعرف ولانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا
لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام
ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين
وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل
لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت
للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال
وهو المتولي للفعل دونه لانه محقق لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة
ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون
او جمادات لا يقدرون على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف
يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا يصح لنا ان نتخذ
من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى
احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله
ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي
ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا
عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه
بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض
حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك
يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة
بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم
انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء

اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان لنا فما يستطيعون اي المعبودون وقرأ حفص
بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف
اي يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا
هي النار والشرط وان عم كل من كفر وفسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا
وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة
المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون
حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
وقرئ يمشون اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض
فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم
لهم بالعداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل
على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم
يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان
ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وغيره وقال الذين لا يرجون لا يأملون
لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء
الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد الوصول الى جزائه ويمكن ان
يراد بالرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبروننا بصدق محمد وقيل فيكونون
رسلا الينا او نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في
شانها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اوقاتها وما هو
اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا
المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس
القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب
من استكبارهم وعتوهم كقوله • وجارة جساس ابأنا بنابها • كليبا غلت ناب كليب بواؤها
يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى
يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين
تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا
فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى
لعامة المجرمين في حين نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم
تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا
عطف على المدلول اي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى
ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة

بمعنى حراما محرما عليكم الجنة والبشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص
بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك وكذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه بنحو للتاكيد
كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اى وعمدنا الى ما عملوا
في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط
اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فعمد الى اسبابهم
فرقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة
وهي الغبار ومنثورا صفة شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه
في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول
ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحاور واحسن مقيلا مكانا ياوى اليه للتروح
بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا
اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصورة وغيره من التحاسين
والزين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل
من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين
في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار
في النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير وابن عامر ونافع ويعقوب
بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله
في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحايف اعمال العباد
وقرا ابن كثير وننزل وقرئ ونزل الملائكة ونزلت وانزلت الملائكة وانزل ونزل الملائكة
بحذف نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لانه كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى
الا ملكه وهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر
او صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض
الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها
كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط
كان يكثر مجالسة النبي عليه السلام فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين
ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبات يا عقبة فقال لا ولكن ابى ان لا
ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه
فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام
لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وقيل
قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية وقال الى النار وطعن
ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا

طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب في طرق الضلالة يا ويلتى
وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام
كما ان هن كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول
او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل
وابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن وانس للانسان
خذولا يواليه حتى يوديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول
محمد يومئذ او في الدنيا بثا الى الله يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القران مهجورا بان
تركوه وصدوا عنه وعنه عليه السلام من تعلم القران وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر
فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه
او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا
فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه
لان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل الله لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو
يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال الذين
كفروا لولا نزل عليه القران اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة
واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة
واحدة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك
اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف
حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القي اليه جملة لعيي بحفظه
ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتاتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقايع
يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه لما انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن
معارضته زاد ذلك قوة قلبه عليه السلام ولانه اذا انزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به
فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية
فانه يعين على البلاغة ولفظ كذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول
عليه بقوله لولا نزل عليه القران جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف
عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف
ورتلناه ترتيلا وقراناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث
وعشرين واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا ياتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل
في البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ في جوابه واحسن تفسيرا بما هو
احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا ياتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا
اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم

الى جهنم اى مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها
وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف
على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره اولئك شر مكانا واضل
سبيلا والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله
ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى للمبالغة ولقد اتينا
موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره فى الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافى
ذلك مشاركته فى النبوة لان المتشاركين فى الامر متوازران عليه فقلنا اذهبا الى القوم
الذين كذبوا يعنى فرعون وقومه باياتنا فدمرناهم تدميرا اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم
فاقتصر على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسول
واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم
فدمرا بهم على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله
او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيبهم لكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة
اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس اية عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما
اى يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمود عطف
على هم فى جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمودا على تاويل القبيلة
واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم
حول الرس وهو البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج
اليمامة كان بها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية
قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبى ابتلاهم الله بطير عظيم كان
فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقه وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ او دمخ
وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة
فاصابتها صاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى دسوه
فى بئر وقرونا واهل اعصار وقيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون
بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص
العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا
فتتنا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا
والثانى بتبرنا لانه فارغ له ولقد اتوا يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشام على القرية
التى امطرت مطر السوء يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا
يرونها فى مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من اثار عذاب الله عز وجل بل كانوا لا يرجون

نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها
كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب او لا يخافونه على اللغة
التهامية واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزو او مهزوا به
اهذا الذى بعث الله رسولا محكى بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله
رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا
اهذا الذى زعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا ليصرفنا عن عبادتها
بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات
لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى مثله تقييد للحكم
المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا
كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفى ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة
على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هويه بان اطاعه وبنى عليه دينه
لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثانى للعناية به افانت تكون عليه
وكيلا حفيظا يمنعه عن الشرك والمعاصى وحاله هذا والاستفهام الاول للتقرير والتعجيب
والثانى للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدى لهم الايات
والحجج فتهتم بشانهم وتطمع فى ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه
اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من امن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا
على الرياسة ان هم الا كالانعام فى عدم انتفاعهم بقرع الايات اذانهم وعدم تدبرهم
فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها
وتميز من يحسن اليها ممن يسئ اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون
لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع
ولا يتقون العقاب الذى هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا
لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة
هؤلاء تؤدى الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال
فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر
الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده
ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه
وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد
المرئى فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين
طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر
وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود
ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة

على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها
على بعض الاجرام ولا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا ازلناه
بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى النشر عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه
الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك
مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور
او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها
فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا مسلطا عليه
مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحول
بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا
عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل
السبت القطع او موتا كقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت
للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم
بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بني
كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير على التوحيد
ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرا ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة
والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر
بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله تعالى
ليطهركم وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه السلام
التراب طهور المؤمن وطهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احديهن
بالتراب وقيل بليغا كاملا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للفاعل
كالصبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما
للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان
ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات
وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على فعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى
الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا
ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار
والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقي السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء
فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد
انواع النعمة والانعام قنية الاناسي وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك
قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ

نسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي
وانسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين قلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم
صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة
والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما من عام
امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية او في الانهار والمنابع
ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا
بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث
او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من
يرى انها من خلق الله تعالى والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخفف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك
اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد
في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين
وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون
في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان
مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم
فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة
القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان
من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح
اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل
بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله
المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ
لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ
ما يحول بينهما من الارض فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة
اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الماء
بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال
والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا
ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى
وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة
وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من
دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق
يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يعاون الشيطان بالعداوة والشرك

والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا
نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
للمؤمنين والكافرين قل ما اسئلكم عليه من اجر على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه
الا مبشرا ونذيرا الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب
الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثنا
منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك
بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا
بان طاعتهم تعود اليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل استثنا منقطع معناه
لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفا
شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون
فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه
باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر
منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة
تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على
الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال القدرة وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشيا
على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ او لمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل
من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسئل به خبيرا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستوا
عالما يخبرك بحقيقته وهو الله او جبرائيل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه
وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله فاسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب
ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال
كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم
ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده
او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وهو قراءة حمزة والكسائي وقرأ الباقون
يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بالسجود للرحمن نفورا عن الايمان تبارك
الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثنى عشر سميت به وهي القصور العالية لانها
للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا
يعني الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب
الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون
بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة

اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا
كقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر
ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد
او اراد شكورا ان يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين
من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة ان يذكر بمعنى يتذكر وكذلك ليذكروا
ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة الذين يمشون
على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على
ان عبادا جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم
يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة
لكم لا خير بيننا وبينكم ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه
آية القتال لتنسخه فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل اشق
وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو
ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب
مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار
حالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز
والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او اخزنت وفيها ضمير اسم ان
ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان
الحكاية والابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم
يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير
منع الواجب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر ولم يقتروا
بضم الياء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا
وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام
به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر
وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه
بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل
المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعدما اثبت لهم اصول
الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك
وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك

يلق اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام اى صعب
يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه فى معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا
فى ديارنا ٭ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ٭ وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال
وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع
التشديد وحذف الالف فى يضعف وقرئ يخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ مثقلا
ونضعف له العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله
الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق
معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية فى النفس بملكة
الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا
وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصى
بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعة
فانه يتوب الى الله يرجع اليه بذلك متابا حسنا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب
محصلا للثواب او يتوب الى الله الذى يحب التوابين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى
ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة
الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب
ان يلقى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن
ذلك الاغضاء عن الفحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا
ذكروا بآيات ربهم بالوعظ والقراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها
غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين
باذن واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لا يلقانى
زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصى المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله
فى طاعة الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم به
فى الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رأيت منك اسدا وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص
وذرياتنا بالالف وحمزة وابو عمرو والكسائى وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير
القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا
للمتقين اماما يقتدون بنا فى امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته
على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر فى اصله او لان المراد وجعل كل
واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم
وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة
وهى اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم فى الغرفات آمنون والقراءة بها وقيل هى من اسماء الجنة

بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات
ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اى يحييهم الملائكة ويسلمون
عليهم او يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائى
وابو بكر يلقون من لقى خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما
مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤ بكم ربى ما يصنع بكم من عبأت الجيش
اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة
والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم
معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اى عبء يعبأ بكم
فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب
القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة
بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما
يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم فى النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه
على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما
وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الفرقان
لقى الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء الا قوله والشعراء الى آخرها وهى مائتان سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالامالة
ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه فى الاصل منفصل عما بعده
تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن
على ما مر فى اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع
وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل
للاشفاق اى اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة
ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة
عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق
بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاء عنق من
الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه
لو قيل انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن يوحيه
الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين

الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اى بالذكر بعد اعراضهم
وامعنوا فى تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا فى قوله فسياتيهم
اى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة انبؤا ما كانوا به يستهزؤن من انه كان حقا
او باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى
الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة
وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى فى بابه وههنا يحتمل ان يكون مقيدا لما يتضمن الدلالة على
القدرة وان يكون مبينة منبهة على انه ما من نبات الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة
الازواج وكم لكثرتها ان فى ذلك ان فى انبات تلك الاصناف او فى كل واحد لاية على ان منبتها
تام القدرة والحكمة وسابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين فى علم الله وقضائه
فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الايات العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر
على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز فى انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن
واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اى ائت او بان ائت القوم
الظالمين بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان
له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استيناف
اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على
الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين
فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث
على التقوى لمن تدبره وتامل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون
بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا قال رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق
صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له
فى الامر على الامور الثلثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة
فى اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت
مست الحاجة الى معين يقوى قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته
ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة
على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرا يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون
فيكونان من جملة ما خاف منهم ولهم على ذنب اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى
باسمه والمراد قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة
فى مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو
استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد واستظهار فى امر الدعوة وقوله
قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعد الدفع اللازم ردعه عن الخوف
وضم اخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى

يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذى طلبته انا معكم يعنى موسى وهرون
وفرعون مستمعون سامعون لما يجرى بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر
مجادلة قوم استماعا لما يجرى بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة
ولذلك تجوز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات
وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
افرد الرسول لانه مصدر وصفه به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون
ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثنى تارة وافرد اخرى او لاتحادهما فى الاخوة
او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بنى اسرائيل اى ارسل
لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام
قال اى فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا فى منازلنا وليدا طفلا
سمى به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج
الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم بقى بعد الغرق خمسين وفعلت
فعلتك التى فعلت يعنى قتل القبطى وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك
بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتى حتى عمدت الى قتل خواصى او من
تكفرهم الان فانه عم كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما
مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا
يكفرون فى دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين
فعل اولى الجهل والسفه او المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز
لانه اراد به التاديب او الناسين من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لى ربى حكما حكمة وجعلنى من المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته
ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على انه
كان فى الحقيقة نقمة لكونها مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى
اسرائيل اى وتلك التربية نعمة تمنها على بها ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل
وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر
بهمزة الانكار اى او تلك نعمة تمنها على وهى ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف
او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء
مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وانما وحد الخطاب
فى تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه
قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه وراى انه لم يرعو بذلك
شرع فى الاعتراض على دعواه فبدا بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات
والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه واثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص

والافعال اليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها
علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدئ
واجب لذاته وذلك المبدأ لابد ان يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن
والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب
لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة
التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون اي جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله
او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم
افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه
مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل
قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا
على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس
من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع
ينتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك
لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم قال لئن اتخذت
الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا
ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه
بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك
قطرا او تولى امره بقوة طالعة استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين للعهد
اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ
من لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق
دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة
على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت به ان كنت
من الصادقين في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته
فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل
غيرها فاخرج يده فقال ما فيها فادخل في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار
ويسد الافق قال للملأ حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر
عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة
حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار
الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل
احبسهما وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم يفضلون

علي

عليم في هذا الفن وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم
معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء
لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب
اخا عون بن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم
الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا
اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذن
على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه
بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم
وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم
في انفسهم او لاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف
ما يأفكون فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى
السحر تمويه وتزوير يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور
بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم وكأنهم اخذوا فطرحوا
على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا آمنا برب العالمين بدل من القي
بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى وهرون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار
على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي
علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه
اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر وروح ءامنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك
انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب
والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها انا نطمع
ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل
المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا
على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك
فلا تنس حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم
يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر
بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده

وهو علة الامر بالاسراء اى انهم يتبعكم حتى اذا اتبعكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث
لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم
فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم
ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا
بالاضافة الى جنوده اذ روى انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة
ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل وانهم
لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال
الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم تحقيق ما يدعو اليه من فرط
عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر
سلطانه وقرأ ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر
المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال المهملة
اى اقوياء قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر او تاموا السلاح
فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب
فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية
كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه
صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبر المحذوف واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم
مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس وقرئ فاتّبعوهم فلما تراءى الجمعان تقاربا
بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ ترائت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون
لملحقون وقرئ لمدّركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اى لمتتابعون في الهلاك على ايديهم
قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ان معي ربي بالحفظ والنصرة سيهدين
طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر
امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى
ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق اى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا
بينها مسالك فكان كل فرق كل قطعة كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في
شعابها كل سبط في شعب وازلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا
على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى
ان عبروا ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك لآية واية آية وما كان اكثرهم
مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو
اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركي العرب نبأ
ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة

قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا وافتخارا
ونظل هاهنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم
اى يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ
يُسمعونكم اى يُسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من اعرض عنها قالوا بل وجدنا
اباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجأوا
الى التقليد قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل
على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم عدو لي اى هذه الالهة التي تعبدونها اعاديهم
انا ولا اعبدهم يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر
الرجل من جهة عدوه او ان المغري بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفسه
تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون
ادعى الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين
استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله
الذي خلقني فهو يهدين لانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال
والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع
ودفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم
ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ
وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية
وقوله والذي هو يطعمني ويسقين على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه
وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات
مستقلة باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين لانه
من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب
المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث
انه لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته وهي المرض لانه لاهل الكمال وصلة الى
نيل المحاب التي يستحقر دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض
في غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان
من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها
قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الآخرة والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا
على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر
وحمل الخطيئة على كلماته الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف لانها معاريض

وليست خطأ رب هب لي حكماً كمالاً في العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي لسان صدق في الاخرين جاهاً وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم القيمة ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقاً من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوا اليه وهو محمد عليه السلام واجعلني من ورثة جنة النعيم في الاخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان انه كان من الضالين طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعد به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوارث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلاً او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الظالمين وهو من الخزي بمعنى الهوان او بمعنى الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي لا ينفعان احداً الا مخلصاً سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر افاته او لا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم ينفعه وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها من الموقف مكشوفة ويتحسرون على انهم مسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اين الهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم والهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده والا فللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله اذ نسويكم برب العالمين اي في استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين كما للمؤمنين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها

شافع

شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمني للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر فنكون ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابرهيم لاية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصور الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضاً وايقاظاً لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اي اكثر قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره اني لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله وما اسئلكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء في اجري في الكل الخمس قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاهاً ومالاً جمع الارذل على الصحة وقرا يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعاً عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلاً على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصاً او طمعاً في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذاراً بيناً بالبرهان الواضح فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب ان قومي كذبون اظهاراً لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا لتخويفهم واستخفافهم

فافتح بيني وبينهم فتحاً فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين
من قصدهم او شوم عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد
بعد انجائه الباقين من قومه ان في ذلك لآية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة
وهو في الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تصدير القصص بها
دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه
ويبعده عن عقابه وان الانبياء متفقون على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرؤون
عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض
لارتفاعها آية علماً للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم
فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنياناً تجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليكم او قصوراً
يفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً لعلكم
تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسيف او سوط بطشتم جبارين متسلطين
غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء
واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتباً على امداد
الله اياهم ما يعرفونه من انواع النعم تعليلاً وتنبيهاً على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد
على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل مساويهم المدلول عليها اجمالاً بالانكار
في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين وجنات
وعيون ثم اوعدهم فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فانه كما
على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا
لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم
بوعظه ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلق
هذا الا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وحمزة وعاصم
خلق بضمتين اي ما هذا الذي جئت الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي
نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه
من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه
فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين اتتركون في ما ههنا آمنين انكار لان يتركوا
كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله في جنات

وعيون

وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع
اناث النخل وهو الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل
منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها
من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط
فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فرهين وهو ابلغ
فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر
لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى الامر مجازاً الذين يفسدون في الارض وصف موضح
لاسرافهم فلذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم
قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر وهي
الرئة اي من الاناسي فيكون ما انت الا بشر مثلنا تأكيداً له فأت بآية ان كنت من الصادقين
في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب
نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم
معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر
فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب
فعقروها اسند الفعل الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعاً
فاصبحوا نادمين بعد عقرها خوفاً من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب
ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض
ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشاً انما عصموا عن مثله
ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
أتأتون الذكران من العالمين اي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم
فيه غيركم او أتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزنكم
فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم
لاجل استمتاعكم من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو
المباح منهن فيكون تعريضاً بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضاً بل انتم قوم
عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون
في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة
قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين
من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال قال
اني لعملكم من القالين اي من المبغضين غاية البغض لا اقف على الانكار عليه بالايعاد

وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود فى زمرتهم مشهور بانه من جملتهم
رب نجنى واهلى مما يعملون اى من شومه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته
والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هى امراة
لوط فى الغابرين مقدرة فى الباقين فى العذاب اذ اصابها حجر فى الطريق فاهلكها
لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقى فى القرية فانها لم تخرج
مع لوط ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم
حجارة فاهلكهم مطرا فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه
فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الحكيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر
يريد غيضة بقرب من مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان
اجنبيا منهم فلذلك اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل
الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهى اسم بلدهم وانما كتب
ههنا وفى ص بغير الالف اتباعا للفظ انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا
من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوى وهو
ان يكون عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرا حمزة والكسائى
وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم
ولا تعثوا فى الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذى خلقكم
والجبلة الاولين وذوى الجبلة الاولين يعنى من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت
من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين
للرسالة مبالغة فى تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين فى دعواك فاسقط علينا
كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرا حفص
بفتح السين ان كنت من الصادقين فى دعواك قال ربى اعلم بما تعملون وبعذاب منزل
عليكم ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة
على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم فاظلتهم سحابة
فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع المذكورة
على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد
نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسول به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به
يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل

رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على
اعجاز القران ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا
وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد العضو فتخصيصه لان المعانى
الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه
الى الدماغ فتنتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبرئيل فانه امين الله على وحيه وقرا
ابن عامر وابو بكر والكسائى بتشديد ونصب الروح الامين لتكون من المنذرين عما يؤدى
الى العذاب من فعل او ترك بلسان عربى مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهم
فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اى لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود
وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم السلام وانه لفى زبر الاولين وان ذكره او معناه
لفى الكتب المتقدمة اولم يكن لهم اية على صحة القران او نبوة محمد عليه السلام ان يعلمه علماء بنى اسرائيل
ان يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرا ابن عامر تكن بالتاء واية بالرفع
على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة
واية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة فى اعجازه
او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم
فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة
كذلك سلكناه ادخلناه فى قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به
مؤمنين فتدل الاية على انه بخلق الله تعالى وقيل للقران اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه
واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان
فياتيهم بغتة فى الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون
تحسرا وتاسفا افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة فاتنا بما تعدنا
وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا
يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب
وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى
تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها فى معنى الانذار او الرفع على انه صفة
منذرين باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية
وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين قبل الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعمت
المشركون انه من قبيل ما يلقى الشياطين على الكهنة وما ينبغى لهم وما يصلح لهم ان ينزلوا به
وما يستطيعون وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة فى صفات
الذات وقبول الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة
بالذات لا تقبل ذلك والقران مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة
فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين

وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام لشانهم اهم روى انه لما نزلت
صعد الصفا فناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل
خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد واخفض جناحك
لمن اتبعك من المومنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطاير جناحه اذا اراد
ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من
المومنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك
فقل انى برى مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذى يقدر
على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرا نافع وابن عامر
فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذى يريك حين تقوم الى التهجد وتقلبك فى الساجدين
وترددك فى تصفح احوال المتهجدين كما روى انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة
ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير
لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع
والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التى بها يستاهل ولايته بعد
وصفه بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع
لما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم
لما بين ان القران لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا عليه السلام
لا يصح ان تتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما تكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال
الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد عليه السلام على خلاف ذلك
وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون اى الافاكون يلقون السمع الى الشياطين
فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق
اكثرها كما فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة
ولا كذلك محمد عليه السلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر
الاكثر بالكل كقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هولاء قل من يصدق
منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضماير للشياطين اى يلقون السمع الى الملاء الاعلى قبل ان رجموا
فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم
واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت الملائكة لشرارتهم
او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد
ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم فى كل واد يهيمون
لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل
والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل
ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون

وكانه لما كان اعجاز القران من جهة اللفظ والمعنى وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين
وفى اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم فى القسمين وبين منافاة القران لهما ومضادة
حال الرسول لحال اربابهما وقرا نافع ويتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين
العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المومنين الصالحين الذين يكثرون
ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا
هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة
وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك
وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل
وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ
وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى اى منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الابهام
والتهويل وتلاها ابو بكر لعمر رضه حين عهد اليه وقرئ اى منفلت ينفلتون من الانفلات
وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون
ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبى عليه السلام من قرا سورة الشعراء كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم
وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم السلام

سورة النمل مكية وهى ثلث او اربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القران وكتاب مبين الاشارة
الى آى السورة والكتاب المبين اما اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه
للناظرين فيه وتاخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه فى الحجر باعتبار الوجود او القران
وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القران
كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمومنين حالان من الآيات والعامل
فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبران المحذوف الذين يقيمون
الصلوة ويوتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة وهم بالآخرة
هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة
يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهولاء الذين
يومنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف
العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين لا يومنون

بالاخرة زينا لهم اعمالهم زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة
للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتب المثوبات عليها فهم يعمهون
عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل
والاسر يوم البدر وهم في الاخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات الثواب
واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القران لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم
والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل
والاشعار بان علوم القران منها ما هي حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس كذلك
كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال
موسى لاهله اني آنست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها
بخبر عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها
بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب
قبس شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون
ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن
ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم
احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعبادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم
تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي ان بورك
اي بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة
والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف
غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار وهو البقعة المباركة
المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها
والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها
مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى
وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له
امر عظيم ينتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به
لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه
من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للتكلم وانا خبره والله
بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر
على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير والق عصاك
عطف على بورك اي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك
بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كانها جان
حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى

مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك
لامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله
اني لا يخاف لدي المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس
اي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء
فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف
من كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها
ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل
وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك
في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم له وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء
من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم
ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به
الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استيناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه
وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال
فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا
بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر
من حيث انها تهدي والعمي لا يهتدي فضلا ان يهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها
وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيها التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها
وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم
وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرة ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم
وهو علم الحكم والشرايع او علما اي علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه
بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما
وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل
ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله
على ما آتاه من فضله وعلى ان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل
عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون
سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا
من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة
التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في التعارف

كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه
او التبع كقوله نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات
الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف
الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان عم مهما سمع صوت حيوان علم بقوته
القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي نواه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل
يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة
فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال
وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه
اوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي
كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد
وحشر لسليمان جمع جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون
يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل
وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء
اذا انفذه وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها
فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء
ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم
سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم
لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله في السعة
وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء
من الظلم والايذاء وقيل استيناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا
من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله
به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه
وقرأ البزي وورش بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكرهما
تكثيرا للنعمة وتعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما
سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضيه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير فلم يجد فيها الهدهد
فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن
انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا ارى الهدهد ثم احتاط فلاح له انه غائب
فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا

شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل يأكله او جعله مع ضده في قفص
او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف
في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور
الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير ليأتينني بنونين الاولى مفتوحة
مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه
وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته
اياه بذلك تنبيه على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه
ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبأ
وقرأ ابن كثير برواية البزي وابو عمرو غير منصرف على تأويل القبيلة او البلدة وقنبل
بهمزة ساكنة والباقون بمحض بنبأ يقين بخبر محقق روي انه عم لما اتم بناء بيت
المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام بها ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى
صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده
لانه يحس طلب الماء فتفقده لذلك ولم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا
واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى
ولعل في عجائب قدرة الله وما خص بها خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها
من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل
بن مالك بن الريان والضمير لسبأ او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك
ولها عرش عظيم عظيم بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا
في ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب مكللا بالجواهر وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان
اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح اعمالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب
فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا
على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب
الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله
فقالت الا يا اسمع من يعظك بخطة فقلت سميعا فانطقي واصيبي وعلى هذا صح ان يكون
استينافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون فيكون امرا بالسجود وعلى الاول
ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا بقلب
الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات
والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون وصفه له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود
من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي لغيره
واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء

وانه اخراج ما فى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما فى الامكان والعدم الى
الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرا حفص والكسائى ما تخفون
وما تعلنون بالتاء الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذى هو اول الاجرام واعظمها
والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التامل
اصدقت ام كنت من الكاذبين ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل
اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه
فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اى بعد ما القى اليها
يا ايها الملؤا انى القى الى كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة
شانه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد فى كوة فالقاه الى نحرها
بحيث لم تشعر به انه من سليمان استيناف كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه
اى ان الكتاب او العنوان من سليمان وانه اى المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال
من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا على ان مفسرة
او مصدرية فتكون بصلتها خبر محذوف اى هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب وأتونى
مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود
لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما والنهى عن الترفع
الذى هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد
قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة
من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملؤا افتونى فى امرى اجيبونى فى امرى الفتوى واذكروا
ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم
استعطفتهم بذلك ليمالؤها على الاجابة قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد
واولوا باس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك موكول فانظرى ماذا تامرين من المقاتلة
والصلح نطعك ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية
واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه
من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها
اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون
تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق
من الله عز وجل وانى مرسلة اليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه فى المصالحة والمعنى
انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكى فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى
اعمل بحسب ذلك وروى انها بعثت منذر بن عمرو فى وفد وارسلت معهم غلمانا على زى
الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب

وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك
فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شانه تقاصرت اليهم نفوسهم
فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال وطلب الحق واخبر عما فيه فامر الارضة
فاخذت شعرة ونفذت فى الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت فى الجزعة
ودعا بالماء وكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به على وجهها
والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان اى الرسول او ما اهدت
اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل
على تغليب المخاطب وقرا حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء
فما آتانى الله من النبوة والملك الذى لا مزيد عليه خير مما آتيكم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع
لها عندى بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون
بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب
على انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على قصور همتهم
بالدنيا والزيادة فيها ارجع اليهم ايها الرسول الى بلقيس وقومها فلناتينهم بجنود
لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم
منها من سبا اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون
قال يا ايها الملؤا ايكم ياتينى بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله تعالى به من
العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه فى دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها
فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان ياتونى مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا
برضاها قال عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر
المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك
للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وانى عليه على حمله لقوى امين لا اختزل منه شيئا
ولا ابدله قال الذى عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبرئيل
او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير بذلك للدلالة على شرف العلم وان
هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت
كانه استبطاه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم اولا ثم اراد ان
يبين ما لا يتهيا لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة
او اللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان
للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله وكنت اذا ارسلت
طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف بالارتداد والمعنى
انك ترسل طرفك نحو شئ فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع
ومثل فيه فلما رآه راى العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة

بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير
استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة
شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في آية الاسراء ليبلوني أأشكر
بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين
او اقصر في اداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر
لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها
عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها
عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف
أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى
الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب
موكلة عليه الحراس فلما جاءت قيل أهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان
عقلها اذا ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كأنه هو ولم يقل هو لاحتمال ان يكون
مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها
كأنها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال
قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الايات وقيل انه كلام
سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت
ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر
الا على الانبياء واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين
لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا لله
وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام
او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق الى الايمان انها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح
على الابدال من فاعل صد على الاول اي صدها نشوها بين اظهر الكفار او التعليل له
قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما رأته حسبته لجة وكشفت
عن ساقيها روي انه امر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجري من تحته الماء
والقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا
فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤوق
واسؤق قال انه ان ما تظنينه ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت
رب اني ظلمت نفسي بعبادتي الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما امر به عباده ٥ وقد اختلف في انه
تزوجها من ذوي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا
الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباع الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا

التفرق

التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة بالعقوبة فيقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها
الى نزول العذاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون
الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا
تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم
دينكم قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوبة
عنده بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم
الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط تسعة
انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة او السبعة
الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شأنهم
الافساد الخالص عن شوب الصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر
مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله
ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا
خبر ثم لنقولن فيه القراءات الثلث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا
ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص
فان مفعلا قد جاء كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون
ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له
عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين
ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون
بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ منه
ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم
فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه بقوله فانظر كيف
كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف
وانا دمرناهم استيناف او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال
وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له
وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة
من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين
آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا
واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول
والظرف على الثاني اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب

واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون
بها فيكون افحش أئنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله
بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء
الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل
من يجهل قبحها او يكون سفيهاً لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه
لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل
لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون
فعلنا قذراً فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين
في العذاب وامطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى امر رسوله عليه السلام بعدما قص عليه القصص الدالة على كمال
قدرته وعظم شانه وما خص به رسله من الايات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام
على المصطفين من عباده شكراً على ما انعم عليهم وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم
وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطاً بان يحمد على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه
بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك الله خير اما يشركون الزام لهم وتهكم بهم
وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأساً حتى يوازن بينه وبين من هو
مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء امن خلق السموات
والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله
وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة
الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة
الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهي الاحاطة ءاله
مع الله غيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين عن الحق الذي هو التوحيد
امن جعل الارض قراراً بدل من امن خلق السموات وجعلها قراراً بابداء بعضها من الماء
وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها وسطها
انهاراً جارية وجعل لها رواسي جبالاً تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها
المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزاً برزخاً وقد مر
بيانه في الفرقان ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به امن يجيب المضطر
اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجاء الى الله تعالى من الاضطرار وهو افتعال
من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف
السوء عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها
والتصرف فيها ممن قبلكم ءاله مع الله الذي جعلكم بهذه النعمة العامة والخاصة

قليلا ما تذكرون اي تذكرون الاءه تذكراً قليلاً وما مزيدة والمراد بالقلة العدم
او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وهشام بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء
وتخفيف الذال امن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات
ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء
وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح
ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة
لانكسار حرها وتمويجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله
والفاعل للسبب فاعل المسبب ءاله مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون
تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق امن يبدؤ الخلق ثم يعيده والكفرة
وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض
اي باسباب سماوية وارضية ءاله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره
يقدر على شيء من ذلك ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة
التامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى
على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب
مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد بمن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع
عليه اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف
وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل
للكفرة بل ادارك علمهم في الاخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو
مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم
من الحجج والايات وهو ان القيمة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها
كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلاً بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم
وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض
الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت
القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الاخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى
واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك
بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ ادرك
بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبلى ادرك وام ادرك وام تدارك
وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له
بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم

بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون اورده وانكار وقال الذين كفروا ائذا كنا
ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون
وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة عن عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة
للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة وقرأ
نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي اننا لمخرجون بنونين على الخبر
لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل من قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود
بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين
التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم
على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون
لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق
في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق مما يمكرون
من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم
صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل
مضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون
حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها
اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده
وان ربك لذو فضل على الناس بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال
وجمعهما فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه
بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح
التاء من كننت اذا سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة
في السماء والارض خافية فيهما وهما الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان
لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة وعافية الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه
والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر
الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح
وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل
بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه
العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال معاداتهم انك على الحق
المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل آخر
للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه من مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى
لعدم انتفاعهم بما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين فان اسماعهم في هذه الحالة ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي

عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما انت تهدي العمي
ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن باياتنا من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون
مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به
من البعث والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم هي الجساسة روي ان طولها
ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها
طالب وروي انه عليه السلام سئل من اين مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني
المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها
عصى موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه
وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا باياتنا خروجها
وسائر احوالها فانها من ايات الله وقيل القران وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح لا يوقنون
لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها او تكلمها
على حذف الجار ويوم نحشر من كل امة يعني يوم القيمة فوجا ممن يكذب باياتنا
للفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيضية لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل
للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهي عبارة
عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى اذا جاؤا الى المحشر قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا
بها علما الواو للحال اي كذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها
وانها حقيقة بالتصديق والتكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب بها
وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملون بعد ذلك
وهو للتبكيت اذ لم تفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك
ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا
بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فهم لا ينطقون بالاعتذار لشغلهم بالعذاب
اولم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور
والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال
الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان وان من جعل
النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم
ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله
ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها
ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلثة ويوم ينفخ في الصور
في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع
من في السموات ومن في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله
ان لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة

وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه
حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرا حمزة وحفص اتوه على الفعل
وقرئ اتاه للتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة
ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت
واحد لا يكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة
كقوله وعد الله الذي اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون
عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها
اي اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحد وقيل خير منها اي خير
حاصل من جهتها وهو الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون
بالتاء وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق
الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرا الكوفيون
بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله
افامنوا مكر الله وقرا الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة
قيل بالشرك فكبت وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه
انفسهم كما اريدت بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم
تعملون على الالتفات او باضمار القول اي قيل لهم في ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه
البلدة الذي حرمها امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد واحوال القيمة
اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق
في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها وقرئ التي
حرمها وله كل شيء خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين
على ملة الاسلام وان اتلو القران وان اواظب على تلاوته لينكشف لي حقايقه في تلاوته
شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك
فانما يهتدي لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا من
المنذرين فما علي من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله
على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم اياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر
وخروج دابة الارض او في الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا تنفعكم
المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلة عن اعمالكم وقرئ
بالياء عن النبي عليه السلام من قرا سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان
وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية الا قوله الذين اتيناهم الكتاب ...

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك
نقرأ بقراءة جبريل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبا موسى وفرعون بعض
نبائهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون
علا في الارض استيناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها
شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في
استخدامه استخدم كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه
يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة
لشيعا او استيناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك
لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه
فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك
اجترا على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من باسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة
على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبا او حال من يستضعف ولا يلزم
من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد لجواز ان يكون تعلق الارادة به
ح تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز
ان يجري مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقتدين في امر الدين ونجعلهم الوارثين
لما كان في ملكه فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين
ان يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على
يد مولود منهم وقرا حمزة والكسائي ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع
واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت
عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة
ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين
روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع
موسى على الارض هالها نور بين عينيه فارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث
منعها من السعاية فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون
في تفحصها فاتخذت له تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه
وقرا حمزة والكسائي حزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء
فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون
او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتاكيد خطاهم

او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين بتخفيف خاطئين او خاطين من الصواب الى الخطا
وقالت امرأة فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك وهو
قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها
الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفي الحديث انه قال
لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى
ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه
ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون
اي وهم لا يشعرون انهم على الخطأ في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري
نتخذه على ان الضمير للناس حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له اي وهم لا يشعرون
وانه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف
والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها
ويؤيده قرئ فزعا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدرا او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله
او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى
اي بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر
والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او الواثقين بحفظه
لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء
همزتها همزة واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت
لاخته مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب
وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه المراضع
ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي
من قبل من قبل قصصها اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون
لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله
خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله
فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها
فقال لها ما انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن
لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه
الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك
وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده
مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ
وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين واستوى قده او عقله آتيناه حكما نبوة

وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل
فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه استنبئ بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك
الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر
فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها
في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه
وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي
من شيعته على الذي من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ
استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى
عليه فقتله واصله انهى حياته من قولهم وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان
لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك
في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم
في استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب
اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده
الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة
وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني
فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى
وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك
فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذي استنصره بالامس
يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين بين الغواية
لانك تسببت بقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما
لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل قال يا موسى
اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش
عليه او القبطي وكأنه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد ما تريد
الا ان تكون جبارا في الارض تطاول على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون
من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث
وارتقى الى فرعون وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال
وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة
صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملأ
يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ايتمارا لان كلا
من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة

للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب
لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما
توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن في
سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
توكلا على الله وحسن الظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق فاخذ في اوسطها
وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الاخرين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر
كانوا يسقون منها وجد عليه فوق شفيرها امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون
مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما
عن الماء لئلا تختلط باغنامهم قال ما خطبكما ما شانكما تذودان قالتا لا نسقي
حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال فحذف المفعول
لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر
يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير السن
لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل
كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده
مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئر اخرى عليها صخرة فرفعها
فاستقى منها ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي لاي شيء انزلت من خير
قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه
اني لما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض
اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احديهما تمشي على استحياء اي مستحية متخفرة
قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورا او صفراء وهي التي تزوجها موسى
قالت ان ابي يدعوك ليجزيك ليكافيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى
انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاء
قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا قال شعيب هذه عادتنا
مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه
القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت احديهما
يعني التي استدعته يا ابت استأجره للرعي ان خير من استأجرت القوي الامين
تعليل شايع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر
الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امين مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها وما اعلمك
بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشي
خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر نفسك مني
او تكون لي اجيرا او تثيبني من آجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث

باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك
تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى
على معينة وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوافي الاخير ان تيسر له قبل العقد
وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرايع في ذلك وما اريد ان اشق عليك
بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعات الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق
المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورايك
في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء
بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه
ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا يعتدى
علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني
او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة
وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ
ايما كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره وقرئ
اي الاجلين ما قضيت فيكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي
لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى
موسى الاجل وسار باهله بامرأته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده
عشرا آخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور
قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر الطريق او جذوة عود غليظ
سواء كان في رأسه نار او لم يكن قال ۞ باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ۞ جزل الجذى
غير خوار ولا دعر ۞ والقى على قبس من النار جذوة ۞ شديدا عليها حرها والتهابها
ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم
تصطلون تستدفئون بها فلما اتيها نودي من شاطئ الواد الايمن اتاه النداء
من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة
بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اني انا الله
رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود
وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي فالقيها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز
كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب
ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين من المخاوف
فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء
عيب واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع
بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر

وهو ان يكون في وسط العدو واظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم
التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر
جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب اي من اجل الرهب اذا عراك الخوف
فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون
الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا
واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو وورش برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره
الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء
وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا بهما الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين
فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون
واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما يعاون به
كالدفء وقرأ نافع بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف
ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه
لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه
صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص
بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما
سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج باياتنا متعلق بمحذوف
اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم
او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون
بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى
باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه ولم يفعل قبل مثله او سحر تعمله
ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون
السحر او ادعاء النبوة في اباءنا الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالتهم
ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد
ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية
هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب
انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون
بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري
نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح
ليصعد اليه ويتطلع على الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي
اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه

من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب فيرى هل فيها
ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله اتنبئون الله
بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم
الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم
الانفعالية وقيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة
مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده
في الارض بغير الحق استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرأ نافع وحمزة
والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه
وفيه فخامة وتعظيم لشأن الاخذ واستحقار للمأخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم في
كف فطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها
وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها
من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه
الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيمة
هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية
من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس
انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرائع التي هي سبل الله
ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم
التذكر فقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي او الطور
فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله اي ما كنت حاضرا
اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين
للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره
عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله
ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا قرونا
مختلفة بعد موسى فتطاول عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرايع واندرست العلوم
فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب
والمؤمنين به تتلو عليهم تقرؤها عليهم تعلما منهم اياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا
مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه
التورية وبالاول حين ما استنباه لانهما المذكوران في القصة ولكن رحمة ربك
ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف

ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة
او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم
يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين لولا الاولى امتناعية
والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها مما اجيبت بها بالفاء تشبيها لها
بالامر مفعول فيقولوا المعطوف على ان تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة
على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى
تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم
ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين
ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فلما جاءهم الحق
يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من
الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل
يعني ابناء جنسهم في الراي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد
عاد قالوا ساحران يعنون موسى وهرون او موسى ومحمدا تظاهرا تعاونا باظهار تلك
الخوارق او بتوافق الكتابين وقرا الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين
مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام
وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء قل فاتوا بكتاب من عند الله هو
اهدى منهما مما نزل على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين
موسى ومحمد اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلقان فهذا من الشروط التي
يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك
الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه
الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب
الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة
لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع
الحال للتوكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه
بعضا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد
والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل
اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقران كالمستكن
في واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب

ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين استيناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه
حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام
قبل نزول القران او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم
مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقران بما صبروا بصبرهم وثباتهم
على الايمانين او على الايمان بالقران قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم
ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة
السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا
ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك
لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله
في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت
في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله عليه السلام وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج
بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت
اي ضعف وجبن وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت
في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي عليه السلام فقال نحن نعلم انك على الحق
ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة راس ان يتخطفونا من ارضنا
فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت
الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرا نافع
ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا واذا كان هذا حالهم
وهم عبدة اصنام فكيف يعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد
ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق
بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا
لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة
ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من باس الله على ما هم عليه بقوله وكم
اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن وخفض
العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن
من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها
الا قليلا من شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم
في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها
كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى
كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث في امها في اصلها

التي هي اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل رسولا يتلو عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع
المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر
وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون
به مدة حيوتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه
لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي
هو ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه وعدا
حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع
الخلف في وعده ولذلك عطفت بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة
الدنيا الذي مشوب بالالام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم
القيمة من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان والرتبة وقرأ نافع في رواية
الكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الاية كالنتيجة للتي قبلها
ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر
فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان
لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مواده وهو
قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد ربنا هؤلاء الذين
اغوينا اي هؤلاء الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا
اي اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم
وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل
ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة وهو وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم
تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهي تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت
عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون
اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اي تبرأنا عن عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم
فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة وراوا العذاب
لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون بوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما راوا
العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا
اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم
الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمي عليهم لا تهتدي اليهم
واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض
ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء
ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول
ويفوضون الامر الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء

فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله
فاما من تاب من الشرك وامن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون
من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع
ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة
اي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم راسا والامر كذلك عند التحقيق
فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل
المراد به انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه
نزل في قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصول مفعول
ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح
سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد ويزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول
وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد
يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والاخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها واجلها يحمده المؤمنون
في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا
وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء واليه
ترجعون بالنشور قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة
والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها
حول الافق الغائر من اله غير الله ياتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم
ان غيره الهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار
قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء
او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب
الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود في نفسه
ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل
افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب
ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم
فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله
من الاشراك به او الاول لتقرير فساد رايهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض
تشه وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه
فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله
في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون

من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن
آمن به فبغى عليهم وطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم
قيل ذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل او حسدهم لما روى انه قال لك الرسالة ولهارون
الحبورة وانا فى غير شئ الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه
مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح
لتنوء بالعصبة اولى القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل
اذا اثقله حتى امال والعصبة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء
بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا
مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضاء بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها
من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندى سرور تيقن عنه صاحبه
انتقالا ولذلك قال الله تعالى ولا تفرحوا بما آتيكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله
فقال ان الله لا يحب الفرحين اى بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتيك الله من الغنى
الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس
ولا تترك ترك المنسى نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك وتأخذ منها
ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم الله عليك وقيل احسن بالشكر
والطاعة كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد فى الارض نهى له عما كان عليه من الظلم والبغى
بأمر يكون علة للظلم والبغى ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته
على علم عندى فضلت به الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم
فى موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل التجارة والدهقنة
وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندى صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا
عندى اى فى ظنى واعتقادى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد
منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه
قرأه فى التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا
العلم منه اى اعنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين
ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم
يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد
ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة
فخرج على قومه فى زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب
ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على ما هو عادة الناس من
الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد انه لذو حظ
عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم بأحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك

استعمل

استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب الله خير فى الآخرة لمن آمن وعمل صالحا مما اوتى
قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير فيه للكلمة التى تكلم بها العلماء او للثواب
فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان او العمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة
الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصى فخسفنا به وبداره الارض روى انه كان يؤذى
موسى فى كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على
واحد فحسبه فاستكثره فعمد ان يفضح موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية
لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى
غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال
ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت
جعل لى قارون جعلا على ان ارميك بنفسى فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض
بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى الركبة ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه
فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه
فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى لو دعانى مرة لاجبته قال بنو اسرائيل
انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة اعوان مشتقة
من فأوت رأسه اذا ميلته ينصرونه من دون الله فيدفعوا عنه عذابه وما كان من المنتصرين
من الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين
تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر لمقتضى مشيته لا لكرامة تقتضى البسط ولا
لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى
ما اشبه الامر ان الله يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وان تقديره ويلك اعلم
ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه
فخسف به لاجله وقرأ حفص به بفتح الخاء والسين ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله
او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم
كأنه قال تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين
لا يريدون علوا فى الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون
والعاقبة المحمودة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن
جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير
تهجينا لحالهم بتكرير السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون وحذف المثل
واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة ان الذى فرض عليك القرآن اوجب عليك
تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اى معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك
ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها مكانا من العادة ردة اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة

للمتقين وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين
روي أنه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت قل ربي أعلم من جاء
بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره أعلم ومن هو في
ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير
للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب أي سيردك الى معادك
كما ألقى إليك الكتاب وما كنت ترجوه إلا رحمة من ربك ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز
أن يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قال وما ألقي إليك الكتاب إلا رحمة فلا تكونن
ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله
عن قراءتها والعمل بها بعد إذ أنزلت إليك وقرئ يصدنك من أصد وادع الى ربك
الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله إلها آخر
هذا وما قبله تهييج وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا
وجهه إلا ذاته فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ
في الخلق وإليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي عليه السلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الأجر
بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيمة أنه كان صادقا

سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه في وقوع الاستفهام بعده دليل
على استقلاله بنفسه أو بما يضمر معه أحسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل
للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين أو ما يسد مسدهما كقوله
أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فإن معناه أحسبوا تركهم غير مفتونين
لقولهم آمنا فالترك أول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت
ضربه للتأديب أو أنفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف
كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصائب في الأنفس والأموال
ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات
فإن مجرد الإيمان وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي أنها نزلت
في ناس من الصحابة جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار وقد عذب في الله وقيل في مهجع مولى
عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وامرأته ولقد فتنا الذين
من قبلهم متصل بأحسب أو بلا يفتنون والمعنى أن ذلك سنة قديمة جارية في الأمم كلها
ولا ينبغي أن يتوقع خلافها فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان
تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الإيمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم

ولذلك قيل المعنى وليميزن أو ليجازين وقرئ وليعلمن من الإعلام أي وليعرفنهم الناس أو ليسمنهم
بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها أم حسب الذين يعملون السيئات
الكفر والمعاصي فإن العمل يعم أفعال القلوب والجوارح أن يسبقونا أن يفوتونا فلا نقدر
أن نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وأم منقطعة والإضراب فيها
لأن هذا الحسبان أبطل من الأول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون أي بئس الذي يحكمونه
حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجوا لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله
الوصول الى ثوابه أو الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد
قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على أحواله فإما أن يلقاه ببشر لما رضي من
أفعاله أو بسخط لما سخط منها فإن أجل الله فإن الوقت المضروب للقائه لآت لجاء
وإذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق أمله ويصدق
رجاءه أو ما يستوجب القربة والرضاء وهو السميع لأقوال العباد العليم بعقائدهم وأفعالهم
ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فإنما يجاهد لنفسه لأن
منفعته لها إن الله لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم وإنما كلف عباده
رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم
الكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون أحسن جزاء
أعمالهم ووصينا الإنسان بوالديه حسنا بإيتائه فعلا ذا حسن أو كأنه في ذاته حسن
لفرط حسنه ووصى يجري مجرى أمر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال أي وقلنا له أحسن بوالديك
حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية أي قلنا أولهما
أو افعل بهما حسنا وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا
وإحسانا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم بإلهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها
إشعارا بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه
فلا تطعهما في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من إضمار القول إن لم يضمر
قبل إلي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عق فأنبئكم بما كنتم
تعملون بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة فإنها لما سمعت بإسلامه
حلفت أن لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلثة أيام وكذا التي في
لقمان وفي الأحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم
والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله والمرسلين أو في مدخلهم
في الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله بأن عذبهم الكفرة على الإيمان
جعل فتنة الناس ما يصيبه من أذيتهم في الصرف عن الإيمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر
ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن إنا كنا معكم في الدين فأشركونا فيه
والمراد المنافقون أو قوم ضعف إيمانهم فارتدوا من أذى المشركين ويؤيده الأول أوليس الله

باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين آمنوا بقلوبهم
وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا
الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة
وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد
بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة
والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم
واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص
من اثقال من تبعهم شيء وليسئلن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون
من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين
عاما بعد ما بعث اذ روي انه بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد
الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين
قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود
من القصة تسلية رسول الله وتثبيته على ما يكابد من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير
من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو ما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما
وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة ومن ركب معه من اولاده واتباعه
وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث
وجعلناها اي السفينة او الحادثة آية للعالمين يتعظون ويستدلون بها
وابرهيم عطف على نوح او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم
اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث
عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير
مما انتم عليه لكم ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم
تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون
افكا وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله وتعلمونها او تنحتونها
للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل للافك وقرئ تخلقون
من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب او نعت
بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان
على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم
وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه
واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما معكم من النعم بشكره او مستعدين
للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا تكذبوني فقد كذب امم

من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب
فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدق
ولا يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل
ان يكون اعتراضا بذكر شأن النبي عليه السلام وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم
توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها تسلية الرسول عليه السلام والتنفيس عنه
بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حالهم فيهم
بحال ابرهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة وغيرها وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت
معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يؤول الاعادة بان ينشئ
في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ان
ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء
قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد عليهما السلام فانظروا كيف بدأ الخلق
على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى
التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح
باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود
بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها
اهون والكلام في العطف ما مر وقرأ ابن كثير النشاءة كالرآفة ان الله على كل شيء قدير
لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر
على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون
تردون وما انتم بمعجزين في الارض ربكم عن ادراككم ولا في السماء ان فررتم من قضائه
بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء او القلاع الذاهبة فيها
وقيل ولا من في السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء
او يدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث
اولئك يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة فعبر بالماضي للتحقيق والمبالغة
او يئسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب
قومه قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان
ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار
اي فقذفوه في النار فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها
لآيات وهي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض
مكانها لقوم يؤمنون اي لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها وقال انما

من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم
على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون المودة المفعول الثاني بتقدير
مضاف او بتاويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرا نافع وابن عامر
وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس
مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدا محذوف اي هي مودودة او سبب مودة بينكم والجملة
صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول
وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرا ابن مسعود انما مودة
بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن
بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا ومأويكم
النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن اخته واول من آمن به
وقيل انه آمن به حين راى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي الى ربي اي حيث امرني
ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر
من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامراته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين
ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين آيس من الولادة من عجوز
عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب
يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد
في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه
الى آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف
على ابرهيم او ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة الفعلة البالغة
في القبح وقرا الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا
على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر لفحاشتها
من حيث انها مما اشمازت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم
ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال
او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان
ما ليس بحرث وتاتون في ناديكم في مجالسكم العامة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله
المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل الخذف بالحصى
والرمي بالبنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
في استقباح ذلك او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني في انزال العذاب
على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة
في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا
ابرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية

سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل
لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا
اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا
غافلين عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او تاقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تاخير البيان
عن الخطاب الا امراته كانت من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان
صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه
اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل
الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما راوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن
على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف
جر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون
على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز
وارتجس اذا اضطرب وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد
تركنا منها آية بينة هي حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة
فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او آية والى مدين اخاهم شعيبا فقال
يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام
السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم
الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبرائيل لان القلوب ترجف لها فاصبحوا في دارهم
في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان
باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبل مثل اهلكنا وقرا حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير منصرف
على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم
من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم
من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار
ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا
وقارون وفرعون وهامان معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله
من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة

كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون
وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك
من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من
دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا
فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم
بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت
يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب
وعناكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت
اهون واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم
او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا
للتمثيل فيكون المعنى ان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه
من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ عاصم وابو عمرو ويعقوب
حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين
او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول
ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل
وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة
اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء
البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم
وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم
وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي
وعنه عليه السلام انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه
خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات
من خلقها افاضة الخير والدلالة على ذاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين
لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا
لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف
له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون
سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث
في النفس خشية منه وروي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله عليه السلام ولا يدع
شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان الصلوة ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر
الله اكبر والصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره
هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر

من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة
باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هي منسوخة باية السيف اذ لا مجادلة
اشد منه وجوابه انه اخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم
بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد
ومنع الجزية وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو المجادلة التي هي احسن
وعن النبي عليه السلام لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه
ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم
واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا
لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم
عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب
او اهل مكة او ممن في عهد رسول الله من الكتابيين من يؤمن به بالقرآن وما يجحد باياتنا
مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به
يمنعهم عن التأمل فيما يفيدهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول كما اشار اليه
بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع
لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة
تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط ويقرأ
لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم
بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم
نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القرآن ايات
بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد تحريفه وما يجحد باياتنا
الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها
وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل ناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع
وابن عامر والبصريان وحفص ايات قل انما الايات عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها
فاتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار وابانته بما اعطيت من
الايات اولم يكفهم اية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته
عليهم متحدين به فلا يزال معهم اية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الايات او يتلى عليهم يعني اليهود
بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة
وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت
وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال

كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني
وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات وبتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم
اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين آمنوا
بالباطل وهو ما يعبدون من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم
حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء
ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجاءة في الدنيا
كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب
وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب وهي كالمحيطة بهم الآن
لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشيهم العذاب
ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم
ويقول الله او بعض ملائكته بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم
تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل
لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام
من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد والفاء
جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها
في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته
ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم
من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف
الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم
والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة الى غير ذلك
من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون الا على الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله
لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها
وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل
باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم
كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم اهل مكة
ليقولن الله لما تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى
يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب

وان لا يكون

وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل
شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به
الارض بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها
ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك
من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون
حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد
بتحميدك عند مقالتهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا فهي لا تزن عند الله
جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به
ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الآخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية
لامتناع طريان الموت عليها او جعلت هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي
سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء
فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون
لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال
فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا
ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين
حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو
فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجأوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم
اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم
على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير
وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك
حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا
عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون
قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل يؤمنون ابعد هذه
النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم والشيطان يؤمنون وبنعمة
الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق
المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني
الرسول والكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا
الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله: الستم خير
من ركب المطايا • وانذى العالمين بطون راح • اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا
مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان
في جهنم مثوى الكافرين حتى اجترؤوا هذه الجراة والذين جاهدوا فينا في حقنا فاطلق

المجاهدين بجهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا
والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين
بالنصرة والاعانة قال عليه السلام من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان وهي تسع وخمسون او ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم
لانها الارض المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد
غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون
في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة
وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين
وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم
لنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على
فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه
فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله
فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص
الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله عليه السلام بعد قفوله من احد فظهرت الروم
على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى رسول الله فقال تصدق به
واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار
والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم
ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة
من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل
لله الامر من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم
مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما
الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا
وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له
لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد
يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم
بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء تارة اخرى وهو العزيز الرحيم
ينتقم من عباده بالنصر عليهم ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد

لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون وعده ولا صحته لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصودة
منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدا وغافلون خبره
والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى
الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقرير الجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات
المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقايقها وصفاتها
وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها
ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها
واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم
اولم يحدثوا التفكر فيها اولم يتفكروا في انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة
يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له في الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها
قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم
محذوف يدل الكلام عليه واجل مسمى تنتهي عنده ولا يبقى وان كثيرا من الناس بلقاء
ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون
يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم
كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه
واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض اكثر مما عمروها
من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم
من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد
والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن
الى واد لا نفع له وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله
ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم
يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ثم كان
عاقبتهم العقوبة السوأى والخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى
ان يكون عاقبتهم تلك وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث اسوأ كالحسنى ومصدر
كالبشرى نعت به ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف
بيان للسوأى وخبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا
الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا بالآيات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون
السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوفا للابهام والتهويل وان يكون

ان مفترقة لادلالاساءة اذا كانت مفترقة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة لها في القول وقرا ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجه المذكور الله يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرا ابو عامر وابو بكر وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وآيس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوا بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعوا وعلموا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته ويتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان اثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون الاية وعنه من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب الحيوة الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة الموت وقرا حمزة والكسائي بفتح التاء ومن اياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم

وسائر

وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتالفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوان نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان يتوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لايات للعالمين لا يكاد يخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرا حفص بكسر اللام ويؤيده قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة ويؤيده سائر الايات الواردة فيه ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن اياته يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغا وان اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة وللمسافر وطمعا في الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الالة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تاويل مفرد كانه قيل ومن اياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك

على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بآية ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه
وثم ما للتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع
الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله واذا الثانية للمفاجاة ولذلك نابت مناب
الفاء في جواب الاولى وله من في السموات والارض كل له قانتون منقادون لفعله
فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد اهلاكهم وهو اهون عليه
والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا
فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون
او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة
التامة ومن فسره بقوله لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى الذي لا يعز
ما يساويه او يدانيه في السموات والارض يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز
القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته
ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم
مما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء
فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة
لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري
مجرى النفي تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار
بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الايات نبينها فان التمثيل مما يكشف
المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع
الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع
اهواءه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين
يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه
له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة على الدين والاهتمام به
فطرة الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها
خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما
خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد الماخوذ من آدم وذريته لا تبديل لخلق الله
لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له
او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد
اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة
او في اقم لان الاية خطاب للرسول والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا
من المشركين غير انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل

من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي
فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي
اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون
صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين
اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة
اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا
بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه
مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا
ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم
تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر
الذي بسببه يشركون في الالوهية واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة
فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم
اذا هم يقنطون فاجأوا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر النون اولم يروا
ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء
كالمؤمنين ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة
فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير
مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي عليه السلام او لمن بسط له
ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته
اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون
حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية
يتوقع بها مزيد مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا ليربو في اموال
الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ
نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذا ربا وما آتيتم من زكوة تريدون
وجه الله تبتغون به وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون
ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين
ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة
عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق
تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك المضعفون الله الذي خلقكم
ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية
ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه
البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء

فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم
والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم
في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي فكل منها مستقلة بالتاكيد
لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق
واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار والضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر
قرى السواحل وقرى والبحور بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه
وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندى ملك عمان كان ياخذ
كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الاخرة واللام للعلة
او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا
صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك
وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين
القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله
متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة
بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير فقال
من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون
منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات من فضله ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار
بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض
والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل
ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن
الظاهر ومن اياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور
فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع
التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها
والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات وعليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل
معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون
ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات
فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام
لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه السلام ما من امرئ
مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد نار جهنم ثم تلا ذلك وقد توقف

على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا
تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب
الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة وقرا ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة
او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به
من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجئ الخصب
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول
عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين
لايسين فانظر الى اثار رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار
ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ
بالتاء تحيي على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها
لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء
الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات
الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو
على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه
مصفرا فراوا الاثر والزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا
لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون
جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الايات ناعية على الكفار
بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رايهم فان النظر السوي
يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا
من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا
بالاستبشار وان يصبروا على بلوئه اذا اخرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك
لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام يفطن منه
بواسطة الحركات شيئا وقرا ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرا حمزة وحده
تهدي العمي ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى
ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تامرهم به الله الذي خلقكم
من ضعف اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان من عجل او خلقكم
من اصل ضعيف وهو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق
بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم
وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر قراتها على رسول الله من ضعف

فاقرانى من ضعف يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وشبيبة وهو العليم القدير
فان الترديد فى الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة
القيمة سميت بها لانها تقوم فى اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت
علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا فى الدنيا او فى القبور او فيما بين فناء
الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل
الساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم فى الاخرة
او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون فى
الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم فى كتاب الله
فى علمه او قضائه او ما كتبه لكم اى اوجبه او اللوح او القران وهو قوله ومن ورائهم برزخ
الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث اى الذى انكرتموه
ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم فى النظر والفاء لجواب شرط تقديره ان كنتم
منكرين للبعث فهذا يومه اى فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم وقرا الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر ولان تانيثها غير حقيقى وقد فصل
بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضى اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة
كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته ولقد ضربنا
للناس فى هذا القران من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التى هى فى الغرابة
كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم
من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث
وصدق الرسول ولئن جئتهم باية من ايات القران ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم
وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون كذلك
مثل ذلك الطبع يطبع على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات
اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله
بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك
على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع
منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ لا يستحقنك اى لا يزيغنك فيكونوا احق بك
من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع فى يومه وليلته

سورة لقمان مكية وقيل الا الاية الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة ضعيف لانه لا ينافى شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وانها اربع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب الحكيم سبق بيانه فى يونس
هدى ورحمة للمحسنين حالان من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما
حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر المحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
وهم بالاخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل
اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس
من يشترى لهو الحديث ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير التى
لا اعتبار فيها والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان اراد
بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت فى النضر بن الحارث اشترى
كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا
احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان ويحملهن
على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرا
ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه
او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القران ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية
وقد نصبه حمزة والكسائى ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب
مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا
متكبرا لا يعبا بها كان لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا
مشابها من فى اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن فى ولى ومستكبرا
والثانية بدل منها او حال من المستكن فى لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين فبشره
بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرا نافع فى اذنيه وذكر البشارة على التهكم
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين
فيها حال من الضمير فى لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران
مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو
العزيز الذى لا يغلبه شىء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذى لا يفعل الا ما
تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها قد سبق فى الرعد والقى فى الارض
رواسى جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضى
تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشىء من لوازمه
بحيز ووضع معين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها
من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة
وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله
فارونى ماذا خلق الذين من دونه هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق الهتكم حتى استحقوا

شاركته وماذا نصب بخلقوا او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه
بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي
لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد
آتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعورا من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش
الف عام حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان
حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم
النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه
صحب شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت
فقال الصمت حكمة وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت
في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها
فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا
فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر
او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد
اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر
حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال
لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير
يا بني لا تشرك بالله باسكان الياء وقنبل يا بني اقم الصلوة باسكان الياء وحفص فيهما
وفي يا بني انها ان تك بفتح الياء والبزي مثله في الاخير وقرأ الباقون في الثلثة
بكسر الياء لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله
قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا
الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على وهن اي تضعف ضعفا
فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك
يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء
عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع
حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال
وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه السلام
لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك
وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما
وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا
صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الي
بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم

تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف
وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر
الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلوا الباري في استحقاق التعظيم والطاعة
لا يجوز تقليدهما في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه
مكثت لاسلامه ثلثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر فانه اسلم
بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة والاحسان
ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة
وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم
او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض
في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض
وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب
عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا
لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد
سيما في ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر او الى الكل امر من عزم الامور مما عزمه الله من الامور
اي قطعه قطع ايجاب مصدرا اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا
عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك
كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي منه عنقه وقرأ
نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه وعالاه
واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل
المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر
خده والمختال للماشي مرحا ليوافق رؤس الآي واقصد في مشيك توسط بين الدبيب
والاسراع وعنه عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر كان
اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد
سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها
لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين
وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد
الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الآحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا
ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض
بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او غير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة
وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر

وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده
وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى الرسول ولا كتاب منير انزله الله
بل بالتقليد كما قال الله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم
يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد والاشراك
وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم
وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون
ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن
في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل
بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله عاقبة
الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة
وقرئ فلا يحزنك من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم
بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما في
الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل
ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدلائل المانعة
لاسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانها قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى
الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في
السموات والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين
الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون
الاشجار اقلاما وتوحيد الشجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة
ابحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بيمده لانه من مد الدواة
وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها ويمده حال او للابتداء على انه مستانف
او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده
ويمده بالتاء والياء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار
جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم
لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود سألوا رسول الله او امروا وفد قريش
ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان
لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك

بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم
الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين
قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري وثمة غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين
حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر
من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها بان الله هو الحق
بسبب انه هو الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما يدعون
من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل
الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع
عن كل شيء ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه وتهيئة
اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة
او للحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر
والفتح والسكون ليريكم من اياته دلائله ان في ذلك لايات لكل صبار على المشاق
فيتعب نفسه في التفكر في الافاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين
فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج
كالظلل كما يظل من جبل وسحاب وغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال
دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم
من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على طريق القصد الذي
هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه
نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس
اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ
من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف
على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود
اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الاخرة ان
وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده
علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله عليه السلام
فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى تمطر السماء وحمل امرأتي
ذكر او انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس
وتلا هذه الاية وينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وما تدري نفس

ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس باي
ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان
فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت
فقال كانه يريدني فمر الريح ان يحملني ويلقيني بالهند ففعل ثم اتى ملك الموت سليمان عليه السلام
فسأله عن نظره ذلك فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه
في آخر النهار بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لان فيها
معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان اعمل حيله وانفذ فيها وسعه (جواب سؤال)
لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ
باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها
خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام من قرا سورة لقمان كان له لقمان
رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القران فمبتداء
خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر
محذوف او مبتدا خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه
لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب
او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتراه فانه انكار
لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا
انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب
عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجبا منه
فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله
فقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون
بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم
رضا الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى
مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق
لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا
باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه
ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان

متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح
فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف
فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك
ثم يعرج اليه بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله
يوم القيمة وقيل يدبر المامور به من الطاعة منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج
اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ
يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرها على وفق الحكمة العزيز
الغالب على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا
واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة
والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء
ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام
على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدا خلق الانسان
يعني آدم من طين ثم جعل نسله من سلالة ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل
من ماء مهين ممتهن ثم سويه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه
اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة
الربوبية ولاجله قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا
وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا
فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرا ابن عامر
اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد
خلقنا وقرا نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقائل فيه ابي بن خلف واسناده
الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون
جاحدون قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا
اوالتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته
ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون
للجزاء والحساب ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي
ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا
الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف
تقديره لرايت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمعنى فيها وفي اذ لان الثابت
في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية
في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول او لكل ولو شئنا لاتينا

كل نفس هديها ما يهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني
ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار
فلا يرد نفيه جعل ذوقا العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم
فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضية
له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استينافه وبناء الاسم
على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر
الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب
والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر به دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك
انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله
وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم
للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا
تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم
داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته عن النبي عليه السلام في تفسيرها قيام
العبد في الليل وعنه عليه السلام اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينادي بصوت
يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين
كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين
كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة
ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان اناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت
فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب
ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه السلام يقول الله اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم
عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرأ حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع
اخفيت وقرئ يخفى واخفى والفاعل للكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها
والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا
يعملون اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شأنه وقيل هذا القوم اخفوا
اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون
في الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل
المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في ال عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم
او على معاوضة اعمالهم واما الذين فسقوا فمأويهم النار مكان الجنة المأوى

للمؤمنين

للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم
ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم
من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر
دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون
عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الاية ومن اظلم
ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها
مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في
بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين
منتقمون فكيف ممن كان اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن
في مرية شك من لقائه من لقائك الكتاب كقوله وانك لتلقى القران فانا القيناك
من الكتاب مثل ما القيناه منه وليس ذلك ببدع مما لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء
موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسري بي موسى عم
رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا
منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له
لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا
وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة
يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين
اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف عليه والفاعل ضمير ما دل عليه
كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله
بدلالة القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم
وقرئ يمشّون بالتشديد ان في ذلك لايات افلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي
لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه من الزرع انعامهم
كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته
وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح
بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم
وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولين منهم فيه فانه لا ينفعهم
ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار
ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع
الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف

وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء
بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرون عن النبي عليه السلام من قرا الم تنزيل وتبارك
الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرا الم تنزيل في بيته
لم يدخل الشيطان في بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى
تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه
بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يعود بوهن في الدين روي ان ابا سفيان
وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم
وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل
ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما
لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم
ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع الى الكفرة
وقرا ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها
عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع في جوف لان القلب معدن الروح
الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد
وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم
وما جمع الزوجية والامومية ولا الدعوة والنبوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت
العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او جميل بن اسد الفهري
ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون
لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله ابن محمد والمراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها
والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف
لادائه الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة
والدعي الذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه الذين بينهما وبينه ولادة وقرا ابو عمرو
واللاي بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما
وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء
وقرا ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر
وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار
ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك

وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي
الطلاق والحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر كناية
عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او التغليظ في التحريم فانهم كانوا
يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي على الشذوذ كانه شبه بفعيل
بمعنى الفاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة
في الاعيان كقول الهاذي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي
السبيل سبيل الحق ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة
وهو قوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل
قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا
آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم
فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به
ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او سبق اللسان
ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن ما تعمدت فيه الجناح وكان
الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة
يوجب عتق مملوكه وتثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم في الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم
بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم
من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر
الناس بالخروج فقال ناس نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرا ابن مسعود وهو اب لهم اي في
الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة
وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك
كالاجنبيات ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء واولوا الارحام وذو القرابات
بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة
والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما انزل وهو هذه الاية او اية المواريث
او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولو
الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا
الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف
التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح
او القران وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم
عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا

منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسال
الصادقين عن صدقهم اى فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا
عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا او المصدقين لهم عن تصديقهم فان
مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف
على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه
ليسال كانه قال لاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ جاءتكم جنود يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير
وكانوا زهاء اثنى عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها روى
انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلثة الاف والخندق
بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة
حتى بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم
واطفات نيرانهم وقطعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة
فى جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا
فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرا البصرى بالياء
اى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادى
من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادى من قبل المغرب قريش
واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر
رعبا لان الرية تنتفخ من شدة الروع فيرتفع بارتفاعها الى راس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم
مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت
القلوب ان الله منجز وعده فى اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف
القلوب والمنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى
وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة
ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلى المؤمنون اختبروا فظهر المخلص
من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ
زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ضعف اعتقاد
ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا قولا باطلا قيل قائله
معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا
الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعنى اوس بن قيظى واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة
وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة فى ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا
وقرا حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى
لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب

فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبى للرجوع يقولون
ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت
الدار اذا اختلت وقرئ بها وما هى بعورة بل هى حصينة ان يريدون الا فرارا
وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت عليهم المدينة
او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين
عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة
الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرا الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها
وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اى باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب
وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
لا يولون الادبار يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا
ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسؤلا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم
الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل فى وقت معين
سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اى وان نفعكم
الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذى
يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اى او يصيبكم بسوء ان اراد بكم
رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثانى على الاول
لما فى العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا
يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون
والقائلين لاخوانهم من ساكنى المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر
اصله فى الانعام ولا ياتون الباس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او باسا قليلا فانهم
يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا
كقوله ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا ياتى اصحاب محمد
حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة
او النفقة فى سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل ياتون
او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم فى
احداقهم كالذى يغشى عليه كنظر المغشى عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة
بعينه من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف
وحيزت الغنائم سلقوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط
بقهر باليد او اللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس
بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم
فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك

الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل
المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون فى الاعراب تمنوا انهم
خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسئلون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم
عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا
الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة
من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاسات الشدائد وهو فى نفسه قدوة
يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر
من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر اى ثوابه
او لقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا
وفضله فان اليوم الآخر والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة
لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء
كثرة الذكر المؤدية لملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك ولما رأى المؤمنون
الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع
الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر
وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله
ورسوله او صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم
وما زادهم فيه ضمير لما رأوا او الخطب او البلاء الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره
ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول
والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده
فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب
بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان
ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا
من التبديل روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه يوم احد حتى اصيبت يده
فقال عليه السلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله
ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم
تعليل للمنطوق والمعرض به وكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد
المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد به
التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعنى الاحزاب
بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله

المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا
على كل شئ وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعنى قريظة
من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهى ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور
والظبى وشوكة الديك وقذف فى قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون
وتأسرون فريقا وقرئ بضم السين روى ان جبرئيل اتى رسول الله عليه السلام صبيحة
الليلة التى انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح
ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فاذن فى الناس ان لا يصلوا العصر
الا ببنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم
تنزلون على حكمى فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم
وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى عليه السلام فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة
ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم
حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه عليه السلام جعل عقارهم
للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم فى منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر
قال لا انما جعلت هذه لى طعمة وارضا لم تطؤها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل
كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شئ قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبى
قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها زخارفها
فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة
روى انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت
الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن ذلك فانزل لا يحل لك النساء
من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل
على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى
الروايتين عن على ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم
التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن
كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند ابى حنيفة واختلف
فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستئناف
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما
يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لان كلهن كن محسنات يا نساء النبى
من يأت منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابى بكر والباقون
بكسر الياء يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه لان الذنب
منهن اقبح وان زيادة قبحه يتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد
الحر ضعفى حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف

وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله
يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن
ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها
اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبي بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ
حمزة والكسائي ويعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضميرا اسم الله واعتدنا لها
رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد
بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير
والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله
ورضاء رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات
فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه
نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن من الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا
حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت
الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني عن همزة الوصل ويؤيده
قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع
ولا تبرجن ولا تبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء
في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم
كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق وتعرض نفسها على الرجال
والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر
قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام
لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلوة
وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف
ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا
واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة
اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما لما روي انه عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه مرط
مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن
والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج
بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية
وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن
من حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب

قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ان الله كان
لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح
للنبوة ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم
المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق و
القانتين والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات
في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين
والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات
بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات
عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة
لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعتهم والآية وعد لهن
ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي قلن يا رسول الله
ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل
قال نساء المسلمين فما نزلت فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف
الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس
بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم
للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله
امرا اي قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه
نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فابت هي
واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي فزوجها من زيد
ان يكون لهم الخيرة من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله
ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة حيث انهما في سياق
النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم الله عليه
بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله
فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها
بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت
زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى
النبي عليه السلام وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله
ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك زوجك واتق الله
في امرها فلا تطلقها اضرارا او تعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق

ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه
حسن بل الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك
ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملّها ولم يبق له
فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق
مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه وجعلها زوجته
بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي عليه السلام ان الله تولى
انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم
وشاهد بين على قوة ايمانه لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة سواء
الا ما خصه الدليل وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة
كما كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم
فرض له في الديوان ومنه فروض العساكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة
في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا
مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين
خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون
احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا
فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه
وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا
للطاهر والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم
ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب
التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع
على انه خبر مبتدا محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله اب
من غير ولادة ولم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به
على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه السلام
في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل
كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبي وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به
النبوة وكيف ينبغي شأنه يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب
الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد
وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة
على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه
العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي

يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد
بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلوة
وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري
الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما
وهو سبب الرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات
الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حتى اعتنى بصلاح
امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر
الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه او الخروج عن القبر او دخول الجنة
سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلافه
لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من
بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته
باذنه بتيسيره اطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب
لا يتأتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة
ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على
سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك
ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم
اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة ومؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ
وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها
ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل
الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين
والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر
بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا على جميع خلقه
كان حقيقا بان يكتفي به عن غيره يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي بالالف وضم التاء فما لكم
عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها
من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال
للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا
على ابدال احد الدالين بالياء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره
يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه
على ان من شأن المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا للنطفة وفائدة ثم ازاحة ما عسى

يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما يمكن الإصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن
أي إن لم يكن مفروضاً لها فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة
ويجوز أن يأول التمتيع بما يعمهما أو الأمر بالمشترك بين الوجوب والندب فإن المتعة
سنة للمفروض لها وسرحوهن أخرجوهن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن عدة سراحاً جميلاً
من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لأنه مرتب على الطلاق والضمير
لغير المدخول بهن يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن
مهورهن لأن المهر أجر على البضع وتقييد الإحلال له بإعطائها معجلة لا لتوقف
الحل عليه بل لإيثار الأفضل له كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت
يمينك مما أفاء الله عليك فإن المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها وتقييد
القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة
ويعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت إليه فعذرني
ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة
إن وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله أو عطف على ما سبق ولا يدفعه
التقييد بأن التي هي للاستقبال ولا تطلب مهراً إن اتفق ولذلك نكرها واختلف
في اتفاق ذلك والقائل به ذكر أربعة ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الأنصارية
وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح أي لأن وهبت أو مدة أن وهبت
كقولك اجلس ما دام زيد جالساً إن أراد النبي أن يستنكحها شرط للشرط الأول
في استيجاب الحل فإن هبتها نفسها منه لا يوجب له حلها إلا بإرادة نكاحها فإنها جارية
مجرى القبول والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ النبي مكرراً ثم الرجوع إليه في قوله
خالصة لك من دون المؤمنين إيذان بأنه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه
الكرامة لأجله واحتج به أصحابنا على أن النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لأن اللفظ تابع
للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح
والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد أي خلص إحلالها أو إحلال ما أحللنا لك على القيود
المذكورة خلوصاً لك أو حال من الضمير في وهبت أو صفة لمصدر محذوف أي هبة خالصة
قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء
حيث لم يسم وما ملكت أيمانهم من توسيع الأمر فيها إنه كيف ينبغي أن يفرض عليهم
والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة
على أن الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي
التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس أخرى وكان الله غفوراً لما يعسر التحرز
عنه رحيماً بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها

وتؤوي

وتؤوي إليك من تشاء وتضم إليك وتضاجعها أو تطلق من تشاء وتمسك
وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت
طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك أدنى أن تقر أعينهن
ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى قرة
عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً لأن حكم كلهن فيه سواء ثم إن سويت
بينهن وجدن ذلك تفضلاً منك وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله لتطمئن
نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء وأعينهن بالنصب وتقر بالبناء للمفعول وكلهن تأكيد
لنون يرضين وقرئ بالنصب تأكيداً لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهد في إحسانها
وكان الله عليماً بذات الصدور حليماً لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى لا يحل
لك النساء بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع
وهو في حقه كالأربع في حقنا أو بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى
ولا أن تبدل بهن من أزواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد
الاستغراق ولو أعجبك حسنهن حسن الأزواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل
دون مفعوله وهو من أزواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضاً إعجابك بهن
واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله ترجي من تشاء وتؤوي إليك من تشاء
على المعنى الثاني فإنه وإن تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولاً وقيل المعنى لا يحل لك النساء
من بعد الأجناس الأربعة اللاتي نص على إحلالهن لك ولا أن تبدل بهن أزواجاً من أجناس أخر
إلا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء وقيل منقطع وكان
الله على كل شيء رقيباً فتحفظوا أمركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا أيها الذين آمنوا
لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلا وقت أن يؤذن لكم أو إلا مأذوناً لكم إلى طعام
متعلق بيؤذن لأنه متضمن معنى يدعى للإشعار بأنه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة
وإن أذن كما أشعر به قوله غير ناظرين إناه غير منتظرين وقته أو إدراكه حال من فاعل لا تدخلوا
أو المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة للطعام فيكون جارياً على غير من هو له بلا إبراز الضمير
وهو غير جائز عند البصريين وقد أمال حمزة والكسائي إناه لأنه مصدر أنى الطعام إذا أدرك
ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا
يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم
وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لهم ولا مستأنسين
لحديث لحديث بعضكم بعضاً أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين أو مقدر
بفعل أي ولا تدخلوا أو ولا تمكثوا مستأنسين إن ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق
المنزل عليه وعلى أهله وإشغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من إخراجكم لقوله والله
لا يستحيي من الحق يعني أن إخراجكم حق فينبغي أن لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي

فامرهن بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا
سألتموهن متاعا شيئا مما ينتفع به فاسألوهن من وراء حجاب ستر روي ان عمر
قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت
وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل عايشة فكره النبي عم
ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم
ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد
وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام
عمر فهم برجمها فاخبر بانه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني
ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب
لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على
السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به
وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن
في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء
لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب
يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما
بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق ولانه كره
ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفها لابنائهما ولا نسائهن يعني النساء المؤمنات
ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة
النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية
ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد
وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والاية
تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله عم
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار
فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف صار
شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا وجليلا ان الذين
يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله
بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله فيه للتعظيم له ومن جوز اطلاق
اللفظ الواحد على المعنيين باعتبار معمولين لعنهم الله بعدهم من رحمته في الدنيا والاخرة
واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا

قيل انها نزلت في المنافقين يؤذون عليا رض وقيل في اهل الافك وقيل في زناة
كانوا يتبعون النساء وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن
بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع
ببعض ذلك ادنى ان يعرفن تميزن عن الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن
اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي
مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في
قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم
والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم
واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا
غير ثابت لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء
ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار
الرسول اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا
ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك
الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر
مؤكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء
وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا
لانه لا يبدلها او لا يقدر احد ان يبدلها يسألك الناس عن الساعة عن وقت
قيامها استهزاء وتعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا
ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة
عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم
وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم
سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا
يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة
كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا
ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر
ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا
ربنا اتهم ضعفين من العذاب مثل ما اتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم
لعنا كبيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين

آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم
يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر
في القصص او اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته
الملائكة ومروا بهم عليهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته
او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء
وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا
قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد
يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها
ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله
في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث
انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام
وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين
انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف
للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية
وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها
الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها
فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة الخيانة
والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت
فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا
لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك
فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد
بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن
وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته
واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية
وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين
حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما
ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين

والمؤمنات

والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب في ضربته تأديبا وذكر
التوبة في الوعد اشعارا بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات
وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعتهم قال عليه السلام
من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة السبا مكية وقيل الا وقال الذين اوتوا العلم خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الآخرة
لان ما في الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف
بما يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم
الدنيوية قد تكون بوساطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيم
الذي احكم امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ
في موضع وينبع في آخر كالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات
والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق
والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة
وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الآخرة مع ما له من سوابق
هذه النعمة الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة انكارا لمجيئها
او استبطاء استهزاء بالوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتأتينكم
عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا بوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه
وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيوب للمبالغة
ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة
بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح
في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه
للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى
لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه
ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين
كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب

من رجز من سيئ العذاب اليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين
اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمي اهل الكتاب
الذي انزل اليك من ربك القران هو الحق ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدأ والحق خبره
والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين
في الايات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه
الان برهانا ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى
وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام ينبئكم
اي انكم تنشؤن خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا
وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده
فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه وممزق يحتمل ان يكون
مكانا اي اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل
من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله
كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم
الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون
عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون
بالاخرة في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع
من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه
من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم
والبعد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم
وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم
الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزءا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط
بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشا نخسف بهم
او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الايات بعد ظهور البينات وقرا حمزة والكسائي
يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ان في ذلك
النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لاية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه
يكون كثير التأمل في امره ولقد اتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر
بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن
يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت
مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها او سيري معه حيث سار
وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من اتينا

باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على
لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية او على فضلا او مفعول معه
لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد اتينا
داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة
على عظم شانه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره
في نفاذ مشيته فيها والنا له الحديد جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء
من غير احماء وطرق بالالة او بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية
سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها وقدر في السرد
وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق
ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا
صالحا الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح
اي وسخرنا له الريح وقرئ بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها
شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له
عين القطر النحاس المذاب اساله من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه
عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة
او جملة من مبتدأ وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرنا
من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الاخرة يعملون له
ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها يذب عنها
ويحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات
ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روي انهم عملوا له
اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما
فاذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية
من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي
لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية عما قيل لهم وشكرا نصب على العلة
اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به
وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته
ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا اخر لا الى نهاية
ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان
ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل اله الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها
وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا
فارضت الخشبة ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت تأكل منسأته

عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا
على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساءة على مفعالة كميضاءة ومن سأة
اي من طرف عصاه مشتقا من ساة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقرا نافع وابو عمرو
منساته بالف ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن علمت الجن
بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين
انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حيثما وقع فلم يلبثوا بعده حولا
في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين وذلك ان داود اسس بيت المقدس في موضع فسطاط
موسى ثم مات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله
واعلم به فاراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب
فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها
الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا
فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا
وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشر سنة وابتدا عمارة بيت المقدس لاربع مضين
من ملكه لقد كان لسبا لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه
ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجها بين بين
فلم يؤده الراوي كما وجب في مسكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب
بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وقرا حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر
حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع المختار
وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجازي المحسن والمسيء معاضدة للبرهان
السابق كما في قصتي داود وسليمان جنتان بدل من آية او خبر محذوف تقديره الاية
جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين وشمال
جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحد منهما في تقاربها وتضايقها كانها جنة
واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له
حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك
بلدة طيبة ورب غفور استيناف للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة التي
فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من شكره
وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة
فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اي الصعب من عرم
الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه
نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما

اليه او مسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل
من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
اكل خمط ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له
والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان
واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له
وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب
اكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرا
ابو عمرو ذواتي اكل بغير تنوين اللام وقرا الحرميان بتخفيف اكل ذلك جزيناهم بما كفروا
بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم
المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم
الا البليغ في الكفران او الكفر وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور
بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام
قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق لابناء السبيل وقدرنا
فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الى الشام سيروا
فيها على ارادة القول بلسان الحال او المقال ليالي واياما متى شئتم من ليل او نهار
آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم
فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد
بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسالوا الله ان يجعل بينهم
وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد
فاجابهم الله تعالى بتخريب القرى المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد
ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم
الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرا ربنا بعد وبعد على النداء واسناد
الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث
يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق
فرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة
والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار شكور على النعم ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او صدق بظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز
ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون
بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى
وجد ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما
والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم

حين رأى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيه من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفرة او الا فريقا من فرق المؤمنين
لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة
والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك
تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر
ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى
وربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان قل للمشركين ادعوا الذين
زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام
صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا
يملكون لانهم لا يزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر
لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل
المكابرة فقال لا يملكون بانفسهم واختيارهم مثقال ذرة من خير او شر في السموات
ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة
والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية
وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا
ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا
تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له ان يشفع
او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم
لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى اذا
فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون
فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير
للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ
اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة
قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ
بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك
اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله
اي لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام وهم
مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين
من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل
في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير

البليغ دال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف
المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما
الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا
ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه
منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتقصى منها
قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ
في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا
يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار
وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل
اروني الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة
وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم
عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة
والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمة بالذلة متابية عن قبول العلم والقدرة راسا
والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم من الكف
فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال
من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا
ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون متى هذا
الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعد بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم
صادقين يخاطبون به رسول الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان
وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار
اعني لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجاكم وهو جواب تهديد
جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن
بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل
ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن الرسول فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم
فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون
القول يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم
اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول عليه السلام قال الذين
استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم
مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا
انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم

وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب على اضرابهم
اى لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تامروننا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف
على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف
ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما رأوا العذاب واضمر الفريقان الندامة
على الضلال والاضلال واخفيها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من
الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما فى اشكيته وجعلنا الاغلال فى اعناق
الذين كفروا اى فى اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل
يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى
اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها
تسلية لرسول الله مما منى به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعى المعظم
الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا الانهماك فى الشهوات والاستهانة لمن لم يحظ
منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون
على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن
وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب
قل ردا لحسبانهم ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك تختلف فيه الاشخاص
المتماثلة فى الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيته
ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما
يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى قربة
والتى اما لان المراد وما جماعة اموالكم واولادكم او لانها صفة محذوفة كالتقوى والخصلة
وقرئ بالذى اى بالشئ الذى يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم
اى الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم
ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم
جزاء الضعف بما عملوا ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة
المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف
ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذى دل عليه لهم وهم فى الغرفات آمنون
من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس والذين
يسعون فى اياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم
يفوتوننا اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له
يوسع عليه تارة ويضيق اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق فى شخصين
فلا تكرير وما انفقتم من شئ فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين

فان غيره وسط فى ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعا المستكبرين
والمستضعفين ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين
وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف
شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص بالياء
فيهما قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذى نواليه من دونهم لا موالاة بيننا
وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم
على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غير الله
وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون
الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن فاليوم لا يملك بعضكم
لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود
من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا عليه السلام
الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا
ما هذا يعنون القران الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله
سبحانه وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او الاسلام او للقران
والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر
سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين
والمقول فيه وما فى لما من المبادهة الى البت تمهيدا للقول انكار عظيم له وتعجيب بليغ
وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم
قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع
لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال
وكذب الذين من قبلهم كما كذبوك وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء
عشر ما آتيناهم اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا
هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلى فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلى جاءهم
انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير فى كذب لان الاول
للتكثير والثانى للتكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء
قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هى ما دل عليه ان تقوموا
لله وهو القيام فى مجلس رسول الله عليه السلام او الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله
معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان
الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا فى امر محمد عليه السلام وما جاء به
لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعنى ما بصاحبكم

من جنة فتعلموا ما بمجنون يحمله على ذلك او استيناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة
عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق
ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم
اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شئ به من آثار الجنون
ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم
من اجر اى شئ سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال كانه جعل التنبي
مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون لغرض
او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألتهم بقوله
ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ولا اسألكم عليه اجرا الا المودة
في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شئ
شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان الياء
قل ان ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل
فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه
علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان
او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب
بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشور وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب قل جاء
الحق اى الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل اى الشرك بحيث لم يبق له
اثر مأخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله
عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ
خلقا ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها قل ان ضللت فانما اضل
على نفسي فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة
بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرط بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان
الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف
الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه
قرئ واخذ عطفا على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به
بمحمد عليه السلام وقد تقدم ذكره في قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم
ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد
عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعدما فات عنهم بحال من يريد ان
يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص
بالهمزة على قلب الواو لضمتها او انه من ناشت الشئ اذا طلبته وقال رؤبة التميمي
جار ابي الخاموش • اليك ناش القدر النؤوش • او من ناشت اذا اخرت ومنه قوله

تمنى

تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول
من بعد وقد كفروا به بمحمد عليه السلام او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف
ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول عليه السلام
من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره
وهو الشبه التي تمحلوها في امر الرسول عليه السلام او حال الآخرة كما حكاه من قبل
ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن
في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وكفروا
على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل
ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان
والنجاة من النار وقرأ ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم
من قبل باشباههم من الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة
او ذا ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة وانها خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما
من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي
جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون
اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون
اليه آثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة
بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله
عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد
عليها لما روي انه عليه السلام رأى جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد
في الخلق ما يشاء استيناف للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيته
ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول
ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات
الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله
على كل شئ قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة
ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة
وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه

واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب
وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز
الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان ثم
لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه
فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها
وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل
من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه
تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق فانه وصف
او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا
على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استيناف مفسر له
او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك اي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه
استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث
على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها الناس
ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها
عن الاخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار
على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع
الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو عداوة
عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم
انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته
الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه
وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن زين له
سوء عمله فراه حسنا تقرير له اي افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله
حتى انتكس رايه فراى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف
الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة فان الله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك
عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه
فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلث
للتسبيبة غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع
الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي افعالهم المقتضية

للتأسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا يتقدمه بل صلة تذهب او بيان
للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذي ارسل الرياح وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا
لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية
ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر
فسقناه الى بلد ميت وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بتشديد الياء فاحيينا به
الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر
مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص
لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة
المقدورية اذ ليس العرش ينبت به اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة
فلله العزة جميعا اي فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد
والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما
والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل
او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة
وقرئ يصعد على البنائين والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم
الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القران وعنه عليه السلام هو سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن
فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني
مكرات قريش للنبي عليه السلام في دار الندوة وتداورهم الرأي في احدى ثلث حبسه
وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور
يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا يتغير به كما دل عليه بقوله والله خلقكم
من تراب بخلق ادم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا
واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر
من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا
ينقص من عمر المنقوص من عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله
عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة لفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه
الا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في
اللوح مثل ان يكون فيه ان حج زيد فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد
بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب
فلا ينقص على بناء الفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح او الصحيفة ان ذلك

على الله يسير اشارة الى الحفظ والزيادة والنقص وما يستوي البحران هذا عذب فرات
سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش
والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد
والتخفيف وملح على فعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها
استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا
في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات
من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر
وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية
العظمى وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الاخر او تفضيل للاجاج على الكافر
بما يشارك فيه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللؤلؤ واليواقيت وترى الفلك فيه
في كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك
وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيمة
ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيه اشعار بان فاعليته
لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ في قران
والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية
والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل
الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم
ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا
تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه
فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ونفي
ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء
للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار
سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا
والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق
عليهم الحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر
غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى
ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك
اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة نفس اثقلتها الاوزار

الى حملها ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم يجب لم يحمل شيء منه
نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو
ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى
من جعل كان تامة فانها لا يلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين
عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة فانهم
المنتفعون بالانذار لا غير واختلفوا الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي
فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى وانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم
واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي
الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات
ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب والعقاب
ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول
من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما تهب نهارا والحرور ما تهب ليلا وما يستوي
الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر
الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم اياته
والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر
بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما
الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق
محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا
بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبي
او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد
قرن به من قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد كذب
الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر
كصحف ابرهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز
ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان
نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا
الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها
من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد بيض اي ذو جدد اي خطط وطرائق
يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة
وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف
وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة
اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره فان الغربيب تاكيد للاسود

ومجيء التأكيد تبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات
الطير وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس
والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله
من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن كان
اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عليه السلام اني اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه
ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو أخر
انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم
فان التعظيم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه
معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون
قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس
كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا
الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل
السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة
وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم
علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم
او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من
فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم اي مجازيهم عليها
وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا والذي اوحينا
اليك من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا
لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته
تستلزم موافقته اياه في العقايد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير
عالم بالبواطن والظواهر فلو علم في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب
المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور
الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه
او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض
لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن
بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير
في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق
العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي
ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا

فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا
يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحاسبون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله
برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان
الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان
ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق جنات عدن
يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما
الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها
على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة
فهي حال من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا
عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه
نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة
ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا
دار المقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب
ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد واتبع نفي النصب نفي ما يتبعه
مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان
فيموتوا فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها
كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى
على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته
ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف
المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم
لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول لكل عمر
تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى ستين وعنه عليه السلام
العمر الذي اعذر الله فيه ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير
كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت
الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب
السموات والارض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات
الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها

هو الذي جعلكم خلائف في الارض تلقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا
بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد
الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير
للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب
التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الاخرة قل
ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم
جعلوهم شركاء لله او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من
ارايتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء
من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في
خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق
على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة
جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرا نافع وابن عامر
ويعقوب وابو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه
من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج
في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف والرؤساء الاتباع
بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان
الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله
او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء
انه كان حليما غفورا اي حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا واقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم
ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول
لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال
فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير
يعني محمدا عليه السلام ما زادهم اي النذير او مجيئه على التسبيب الا نفورا تباعدا
عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان
مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر
ثم اضيف وقرا حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل ولا يحيق ولا يحيط المكر السيء
الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله فهل
ينظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله

تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب ولا يحولها
بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام
واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء
ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها
قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر
الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده
لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان
بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي عليه السلام من قرا سورة الملائكة دعته
ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية وعنه عليه السلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع كل سوء وتقضي له كل حاجة آيها ٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة
طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في ايمن
وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او على الاعراب على اتل يس او باضمار
حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث واعرابا على هذه يس واما
الياء حمزة والكسائي وابو بكر وروح وادغم النون في الواو والقران الحكيم ابن عامر
والكسائي وابو عمرو وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس
مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم
وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا
من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل
عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب على اضمار اعني او فعله على انه على المصدر
وقرئ بالجر على البدل من القران لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين
ما انذر اباؤهم قوما غير منذر اباؤهم يعني اباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة
فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر
اباؤهم الا بعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار اباءهم على المصدر فهم غافلون
متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك لمن المرسلين
على الوجوه الاخر اي ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم
يعني قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم

انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على
قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الايات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى
الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطاطئون رؤسهم فهم مقمحون
رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون
اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث
لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن
النظر في الايات والدلائل وقرا حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وما كان
بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل
الايتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي عليه السلام فاتاه وهو يصلي ومعه
حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى
قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله تعالى وسواء
عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة تفسيره انما تنذر انذارا
يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اي القران بالتامل فيه والعمل به وخشي
الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر
برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى
الاموات بالبعث والجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة
والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة الباطل
وتاسيس الظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم
ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى
الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف المضاف اي اجعل
مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له
والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى
الى اهلها واسناده الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته
وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرا ابو بكر مخففا من عزه يعزه
اذا غلبه وحذف المفعول به لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث
هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم
عيسى اثنين فلما قربا من المدينة رايا حبيبا النجار يرعى غنما فسالهما فاخبراه فقال
امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرا
فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق كثير وبلغ حديثهما الى الملك وقال لنا اله سوى
آلهتنا قالا من اوجدك وآلهتك قال قوما حتى انظر امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل

متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استانسوا به واوصلوه الى الملك فانس به فقال
له يوما سمعت انك حبست رجلين وهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال
شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا
قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس
العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعا في حدقتيه فصارتا
مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سالت آلهتك حتى يصنع مثل هذا حتى
يكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر آلهتنا لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ثم قال
ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام
وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال
فتحت ابواب السموات فرايت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلثة شمعون وهذين
فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل
فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون
ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة
ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا
بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما
علينا الا البلاغ المبين الظاهر المبين بالايات الشاهدة لصحته وهو المحرز
للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشامنا بكم وذلك
لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم
هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم وهو
سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم ائن ذكرتم وعظتم به وجواب الشرط
محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد الالف بين الهمزتين
وبفتح أن بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم
معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان
فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشامتم بمن يجب ان يكرم و
يتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم
وهو ممن آمن بمحمد عليه السلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله
فلما بلغه خبر الرسل خرج واظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم
اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي لا اعبد الذي
فطرني على غير حمزة فانه يسكن الياء في الاصل تلطف في الارشاد بايراده في معرض
المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم
عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة في التهديد

ثم عاد الى المساق الاول فقال ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن
عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصر والمظاهرة
اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق
المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرا نافع ويعقوب
وابو عمرو بفتح الياء اني آمنت بربكم الذي خلقكم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
بفتح الياء فاسمعون فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا
يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشرا
بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء ولما هموا بقتله رفعه الله
الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم
والكلام استيناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر
دينه ولذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب
عن السؤال عن قوله عند ذلك القول وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب
مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم
على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما
خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية على الاصل والباء صلة غفر
اي باي شيء غفر لي يريد المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده
من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق
بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام
وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء
سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند
لاهلاكهم اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت
ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام وقرئت بالرفع
على كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة
والميت كرمادها كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها
ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فان المستهزئين بالناصحين المخلصين
المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة
والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم
ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل
باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول
ويا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله

كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا تعمل فيها قبلها وان كانت خبرية لان اصلها
الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا
من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف وان كل لما جميع لدينا
محضرون يوم القيمة للجزاء وان مخففة من المثقلة واللام هي الفارقة وما مزيدة
للتاكيد وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع
فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون واية لهم الارض الميتة وقرا نافع
بالتشديد احييناها خبر للارض والجملة خبر اية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة
وهي الخبر او المبتدا والاية خبرها او استيناف لبيان كونها اية واخرجنا منها حبا
جنس الحب فمنه ياكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به
وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما
دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر
النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع واثار
الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى
من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون
ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة
الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرا حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه
او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه
كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول
قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون
امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها الانواع والاصناف
مما تنبت الارض من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا
مما لا يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته واية لهم الليل نسلخ منه النهار
نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون
داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه
بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن
ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج
مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة
وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام
القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون فانها متحركة
دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن
عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم

والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل اى يسير فى منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطين
البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة
العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح
سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو
بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحدة منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان فى آخر منازله
وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء
حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون
وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا
الشمس ينبغى لها ويتسهل ان تدرك القمر فى سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش
الحيوان او فى آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فيطمس نوره وايلاء
حرف النفى الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق
النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما النيران وبالسبق سبق القمر
الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره
وكل وكلهم والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال
يوجب تعددا ما فى الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها فى فلك يسبحون يسيرون فيه
بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم
ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية يقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان
استقرارهم فى السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب فى الفلك المشحون المملو وقيل المراد
فلك نوح وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفى اصلابهم ذرياتهم
وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ فى الامتنان وادخل فى التعجب
مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر
او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق
او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت به الا رحمة
منا ومتاعا الا لرحمة وتمتيع بالحيوة الى حين زمان قدر لآجالهم واذا قيل لهم اتقوا
ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع التى خلت والعذاب المعد فى الآخرة او نوازل
السماء ونوائب الارض كقوله تعالى او لم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون
لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية
من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كأنه قيل اذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا
لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم
قال الذين كفروا بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم

وتعليقهم الامور بمشيته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركو
قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم فنحن
احق بذلك فى الاطعام وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء
على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون
وعد البعث ما ينظرون الا صيحة واحدة هى النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون
يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله تعالى او تأتيهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت
الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش بفتح الخاء
على القاء حركة التاء اليه مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان والتشديد
وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه
اذا جادله فلا يستطيعون توصية فى شئ من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون
فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم ونفخ فى الصور اى مرة ثانية وقد سبق فى سورة
المؤمنين فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون
يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه
اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم
يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة
لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
حق وهو من كلامهم وقيل جواب الملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه
تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم وتنبيها بان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث
كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر
كما تظنونه فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر
ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة هى النفخة الاخيرة وقرئت
وقرئت بالرفع على كانت التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك وفى كل ذلك
تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التى ينوطان بها فيما يشاهدونه
فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ
تصويرا للموعود وتمكينا له فى النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل
فاكهون متلذذون فى النعمة من الفكاهة وفى تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة
والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو فى شغل بالسكون ويعقوب فى رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان
ويجوز ان يكون فى شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس

وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقرئ شغل بفتحتين وفتحة وسكون
والكل لغات هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة
حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة متكئون وهم مبتدأ وخبره في
ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد
للضمير في شغل او فاكهون على الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم
للمشاركة في الاحكام الثلثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها
فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى
واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه في الدنيا كقولهم ارتموه بمعنى تراموه
او يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه على او ما يدعونه في الدنيا من الجنة
ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها
او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم
سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم
اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته بمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملئكة
او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص
وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة
كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير وتفرقوا
في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا
الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج
العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان
لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة
تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني
عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته
فالجملة استيناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الاخر والتنكير للمبالغة والتعظيم
او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا
افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح
اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي
بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات
وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم التي كنتم
توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا
اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم
بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله تعالى

اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد
ارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا
الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض
او بتضمين الاستباق معنى الابتدار او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع
او بالظرف فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم
بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر
مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل
موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد
المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم
ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم
واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطول عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه
فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ عاصم
وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك
قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر
ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه
الشعر بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات
المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصلح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم
طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • وقوله هل انت
الا اصبع دميت • في سبيل الله ما لقيت • اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع
مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي
حرك البائين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير في له للقرآن اي وما ينبغي
للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله وقرآن مبين وكتاب سماوي
يتلى في المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القرآن او الرسول ويؤيده
قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا
في علم الله فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار لانه المنتفع به ويحق القول وتجب
كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم
لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم
مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد
العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث انعاما خصها
بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون تمليكنا اياهم
او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح

ولانه املك لراس البعير من نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم
مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اى
ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها ياكلون اى ما ياكلون لحمه ولهم فيها
منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع
او المصدر افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف
امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها
في العبادة بعد ما راوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها
لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم لا يستطيعون
نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون
اثرهم في النار فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم في الله تعالى
بالالحاد والشرك وفيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم
عليه وكفى ذلك ان يتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستيناف ولذلك لو قرئ انا
بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا
هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح
بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة
على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء
وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روي ان ابي بن خلف اتى النبي عليه السلام
بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال عليه السلام نعم ويبعثك
ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا
مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو
نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي
خلقه خلقنا اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم
ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء فصار اسما بالغلبة ولذلك
لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر فيه
الموت كسائر الاعضاء قل يحييها الذي انشاها اول مرة فان قدرته كما كانت
لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق عليم
يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة
المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط
السابق واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها الذي جعل لكم
من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان
تقطر منهما الماء فيقدح النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار تخرج
منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته
كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى
كقوله تعالى فمالئون منها البطون اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما
وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما
او مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب
من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات
والمعلومات انما امره انما شانه اذا اراد شيئا ان يقول له كن اي تكون فيكون
فهو يكون اي يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول
المامور به من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة
الشبهة وهو قياس قدرة الله على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا
على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا
فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شيء واليه ترجعون وعد ووعيد
للمقرين والمنكرين وقرا يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل
يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه عليه السلام ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس
من قراها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القرآن اثنين وعشرين مرة
وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون
بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته
ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض
ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو
ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وآيها مائة واحدى او اثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا
اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية
المنتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس
عن المعاصي بالهام الخيرات او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه
على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة
لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون
او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح
التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو

التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مباداة العدو والعطف لاختلاف الذوات والصفات
والفاء لترتب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان الصف
كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة او الرتبة
كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتاخر وهذا
للعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول
الثنايا ان الهكم لواحد جواب القسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم عليه
على ما هو المألوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات والارض وما بينهما
ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود
الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد وخبر ثان او خبر محذوف
وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب
او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها
تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة
وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا
القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة
حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها
كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول
فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين
والنصب على الاصل او بان زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت
في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا
ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها
الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى
كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد خارج
من الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ لبيان حالهم بعدما حفظ
السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من الشياطين
لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها
كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى
وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه
ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو تطلب السماع والملأ
الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا
قصدوا صعوده دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان
او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع داحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح

وهو يحتمل ان يكون ايضا مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب
اي عذاب آخر واصب دائم او شديد وهو عذاب الآخرة الا من خطف الخطفة
استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه فاتبعه شهاب والخطف الاختلاس
والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف
بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف واتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى
كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف
ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح
لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر
في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك
حدث بميلاد النبي عليه السلام ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف
في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج
لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق
لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية
اذا استولت على النار الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه
فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم اهم اشد خلقا ام من خلقنا
يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب
الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ
ام من عددنا وقوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها
لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود لان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه
بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية
المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي
وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منها لاعترافهم
بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط
مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر
على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما من بدأهم
اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم البعث ويسخرون
من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي
وكثرة خلائقي اني عجبت منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث
ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل
او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء

وقيل انه مقدر بالقول اى قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشئ
لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم
واذا راوا آية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون فى السخرية ويقولون
انه سحر او يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه الا
سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اصله انبعث
اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرفية وكرروا الهمزة مبالغة فى الانكار
واشعارا بان البعث مستنكر فى نفسه وفى هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ
من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائى ويعقوب بطرح الثانية
او آباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير فى مبعوثون فانه مفصول عنه
بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون
وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به فى الجواب
لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجزة على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اى الله او الرسول
وقرا الكسائى وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هى زجرة واحدة جواب شرط مقدر
اى اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هى النفخة الثانية من زجر الراعى
غنمه اذا صاح عليها وامرها فى الاعادة كامر كن فى الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم
ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا
يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذى نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا
يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض
والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسئ احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر
بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم
عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله وكنتم ازواجا ثلثة او نساءهم
اللاتى على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام
وغيرها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الاية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم
طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم فى الموقف انهم مسؤلون عن عقائدهم
واعمالهم والواو لا يجب للترتيب مع جواز انه موقفه ما لكم لا تناصرون اى لا ينصر
بعضهم بعضا فى التخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم
وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم
بعضا للتوبيخ ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعنى الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء
يتساءلون يسال بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن
اليمين عن اقوى الوجوه وايمنه او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم

وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك
سمى يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم
كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان
بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين فى انفسهم
وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا
قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين
ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه
وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغى لانهم كانوا على الغى فاحبوا ان يكونوا
مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم فى الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية
لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ فى العذاب مشتركون
كما كانوا مشتركين فى الغواية انا كذلك مثل ذلك نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله تعالى
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اى عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم
اليه ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه السلام بل جاء بالحق
وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه
المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب
على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف فى غير المحلى على الاصل وما
تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع
الا ان يكون الضمير فى تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة
فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم
خصائصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد
للتلذذ دون التغذى والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة
عن التحلل كان ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون فى نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال
كما عليه رزق الدنيا فى جنات النعيم فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال
من المستكن فى مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون
متقابلين حالا من المستكن فيه او فى مكرمون او يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون
يطاف عليهم بكاس باناء فيه خمر او خمر كقوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب معين
او نهر معين او ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة الماء من معن الماء اذا نبع وصف به
خمر الجنة لانها تجرى كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب
من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان
للكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه
فعل قال ولذ كطعم الصرخدى تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول

غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون
يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي
وعطف على ما يعمه لانه من اعظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي
وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد
يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات
الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع العيناء كانهن
بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض
المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون
معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب قال و ما بقيت من اللذات
الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات
الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال
قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول انك لمن المصدقين يوبخني
على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق اءذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ءانا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل هل انتم
مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة
يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم
من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه
جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان اداب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب
به الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه
اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم وسطه قال تالله
ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة
ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين
عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين بمن شانه الموت وقرئ
بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء
للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن
بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه
تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز
العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه
من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل مثل هذا
يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالالام السريعة الانصرام
وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرتها نزل اهل النار

وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة
بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم
لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة
الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة وابتلاء في
الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجرة ولم يعلموا
ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجرة في النار
وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها
ترتفع الى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع
من الشجر كانه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق
في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت
بها لذلك فانهم لآكلون منها من الشجرة او طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع
او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم
ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق
او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب والاول مصدر
سمي به ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم
نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها كقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها
المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم
ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون
تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الاباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد
كانهم يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف
على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم
منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة
والفضاحة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله
وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه
فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا آثارهم ولقد نادانا نوح شروع في تفصيل القصص
بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اي اجبناه احسن الاجابة
فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من
الكرب العظيم من الغرق او اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم
وبقوا متناسلين الى يوم القيمة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه
وازواجهم وتركنا عليه في الاخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام جيء به على الحكاية
والمعنى يسلمون تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين

متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين **انا كذلك**
نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه **انه من عبادنا**
المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره **ثم اغرقنا**
الآخرين يعني كفار قومه **وان من شيعته** ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة
لابراهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة
واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح **اذ جاء ربه** متعلق بما في الشيعة
من معنى المشايعة او بمحذوف وهو اذكر **بقلب سليم** من آفات القلوب او من العلائق
خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له
كانه جاء به متحفا اياه **اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون** بدل من الاولى او ظرف لجاء
او سليم **أئفكا آلهة دون الله تريدون** اى اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول
للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز
ان يكون افكا مفعولا وآلهة بدل منه على انها افك في انفسها للمبالغة او المراد
بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين **فما ظنكم برب العالمين** بمن هو حقيق
بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى
انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن
من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله **فنظر نظرة في النجوم** فرأى مواقعها
واتصالاتها او في علمها او في كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك
حين سألوه ان يعيد معهم **فقال اني سقيم** اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين
على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا
يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب بكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل
ما يخلو منه الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا
ليصحني فاذا السلامة داء **فتولوا عنه مدبرين** هاربين مخافة العدوى **فراغ الى**
آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة **فقال**
اى للاصنام استهزاء **الا تأكلون** يعني الطعام الذي كان عندهم **ما لكم لا تنطقون**
بجوابي **فراغ عليهم** فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه
ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم
يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل
باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم **فاقبلوا اليه** اى الى ابرهيم
بعدما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة فبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه في قوله
من فعل هذا بآلهتنا الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم **يزفون** يسرعون من زفيف
النعام وقرأ حمزة ببناء المفعول من ازفه اى يحملون على الزفيف وقرئ ويزفون

اى يزف بعضهم بعضا او من ازفه اذا حمل بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف
اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه **قال اتعبدون**
ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام **والله خلقكم وما تعملون** اى وما تعملونه فان جوهرها
بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه
ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون
او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان مفعولهم المتوقف
على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه
على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز **قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم** في النار
الشديدة من الجحمة وهي شدة التأجج واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان
فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم
فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث
جعل النار عليه بردا وسلاما **وقال اني ذاهب الى ربي** الى حيث امرني ربي وهو الشام
او حيث اتجرد فيه لعبادته **سيهدين** الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت
القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى
حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع **رب هب لي**
من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة
يعني الولد لان لفظة الهبة غالب فيه ولقوله **فبشرناه بغلام حليم** بشره بالولد
وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما واى حلم مثل حلمه
حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما السلام وحالهما
المذكورة بعد تشهد عليه **فلما بلغ معه السعي** فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله
ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما
لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل
في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه ولانه استوهبه لذلك وكان له
يومئذ ثلث عشرة سنة **قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك** يحتمل انه رأى
ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول ان الله يأمرك
بذبح ابنك فلما اصبح روّى انه من الله او من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه
من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام
الثلثة بالتروية والعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب اثر الهجرة
ولان البشارة باسحق بعد معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين
فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله

حتى نزمزم او بلغ بنوه عشرة فلما سهل الله تعالى خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل
ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى
احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة
يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عليه السلام سئل اي النسب اشرف
فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله فالصحيح
انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب
كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما فانظر
ماذا ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت
قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له
قبل نزوله وقرا حمزة والكسائي ماذا تري بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما
وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها قال يا ابت وقرا ابن عامر
بفتح التاء افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك
على ارادة المامور به والاضافة الى المامور ولعله فهم من كلامه انه راى انه يذبحه
مامورا به وعلم ان رؤيا الانبيا حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به
في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى امتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر
بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء
الله وقرا نافع بفتح الياء فلما اسلما استسلما لامر الله او سلما الذبيح نفسه وابرهيم ابنه
وقد قرئ بهما واصلها سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين
صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته
لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده
او في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان
بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف
تقديره كان ما كان مما لا ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما
انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما
به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل
لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام
كان مامورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء
البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها
وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر
لانه يفدي به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة
وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه

فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي له والامر به
على التجوز في الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه
ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابرهيم سبق بيانه
في قصة نوح كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه
انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا
نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود
المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به
لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود
اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها
خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا
نبوة نفسه وصلاحها حيثما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة
نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها
معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى
اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما
بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان
والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب
لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب
ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية
ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما
مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه واتيناهما الكتاب المستبين
البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق
والصواب وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي
المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثل ذلك وان الياس لمن المرسلين
هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس
وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ابليس وقرا ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس
اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو
اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال الان بعلبك وقيل البعل
الرب بلغة اليمن والمعنى اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون
عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم
ورب ابائكم الاولين وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل
فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار

المطلق بالشرع فانه الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى
وتركنا عليه في الآخرين سلام على إل ياسين لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له
مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه
بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة
آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد عليه السلام
او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين
اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم
يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين
داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قرب منزل
يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به
وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد لكن
لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون المملوء فساهم
فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام
الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله به فركب السفينة
فوقفت فقالوا هنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى نفسه في الماء
فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه
وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله
كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه
حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء
فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت
روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عم ويسبح حتى انتهوا
الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلثة ايام وقيل سبعة
وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد
وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض
ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا قام به والاكثر على انها كانت الدباء
وغطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله عليه السلام
انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز يغطي بورقه ويستظل
باغصانه ويفطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم
اهل نينوى والمراد ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او غيرهم او يزيدون في رأي الناظر

اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه
فجددوا الايمان بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته
وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولي العزم
من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله اولا باستفتاء
قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا
بعضها ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم
البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز
البنات على الله فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم
عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم
ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص
هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل
للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم
المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته
بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم
قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه
وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين استفهام
انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة على حذف
حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون
في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل
افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم
من السماء بان الملائكة بناته فأتوا بكتابكم الذي انزل اليكم ان كنتم صادقين
في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم
وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة
وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس والجنة
ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب
الا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير
بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم
عليه اي على الله بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا من سبق

في علمه انه من اهل النار ويصليها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب
على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادًا مسد الخبر
اي انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين
على طريقة الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك
في شائك والمحذوف منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية
وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم
والمعنى ما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله تعالى في تدبير
العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد
علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله
تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان
بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها
فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل
الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون لله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم
في الطاعات وهذا في المعارف وما في ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص
لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي عليه السلام
والمؤمنون والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيمة
وانا لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اي مشركو
قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله
المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اي لما جاءهم الذكر
الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة
وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك
عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر
الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التائيد
والنصرة والثواب في الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون
روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل
العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ
نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح
المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت

نزول العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا
وان وقعت في وقت آخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد
الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر
من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الاخرة
سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة
واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه
جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين
تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض
عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد
تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال
بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك
الى آخر السورة وعن النبي عليه السلام من قرأ سورة والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من الشرك
وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه من المصاداة
بمعنى المعارضة ومنها الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القرآن بعملك وبالفتح
لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه واضماره والفتح في موضع الجر فانها
غير مصروفة لانه علم السورة وبالجر على تاويل الكتاب والقرآن ذي الذكر والواو للقسم
ان جعل ص اسما للحرف مذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة خبرا
لمحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص
من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق
او قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به
في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين
الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة
او الشرف والشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقايد والشرايع والمواعيد
والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه
كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة
او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس

زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف
احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره
ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اي ليس حين مناص
حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا
ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في قوله • لولاك هذا
العام لم احجج • او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح
ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف الظرف اليه منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم
ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء
كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام
ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره
الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين من عاطف • والمطعمون زمان ما من مطعم •
والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او
امي من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم
واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره من معجزة كذاب فيما يقوله
على الله اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد ان هذا
لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد
لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام وروي انه لما اسلم
عمر شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء
السفهاء وانما جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله وقال
هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه السلام ماذا يسألونني
قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم
امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال
قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش
من مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله ان امشوا قائلين بعضهم لبعض واصبروا
واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق
عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا
من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ
يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا
فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب
والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي
يقوله في الملة الاخرة في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى التي هي اخر الملل

فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان
بالتوحيد كائنا في الملة الاخرة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه ءانزل
عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف
والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل
على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك
من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم
ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب
بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوا زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم
العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم
خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا فيتخيروا
للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها من يشاء من عباده
لا مانع له فيه فانه هو العزيز الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل
ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما كانه
لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف ذلك
بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم
ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك
فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر
العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الاصل
هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم
مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية
او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم
على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب
بمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك
الثابت بالاوتاد كقوله • ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • في ظل ملك ثابت الاوتاد •
ماخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم
يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب
ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط و
اصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر
ليكة اولئك الاحزاب يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم
ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع

من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب
وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر
هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم
في علم الله الا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق
وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فانه فيه ترجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي
بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به
او الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال للصحيفة الجائزة قط لانها
قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب
استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم
قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات
لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن واستغفر
واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك
ما لقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان
أيد وذو ايد وآد وآياد بمعنى واحد انه اواب رجاع الى مرضات الله تعالى وهو تعليل
للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل
انا سخرنا الجبال معه يسبحن قدم تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات
لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق
ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى
واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه عليه السلام
صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلوة الضحى الا
بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين
لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر
كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه
وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منهما
ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه اي قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة
الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان
فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة
فعظمت بذلك هيبته واتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب
بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس
يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار
والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود من غير التباس

عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه اختصار
مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك
نبأ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر
ولذلك اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم
من السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد
به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم
او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ اذ دخلوا على داود
اذ الثانية بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق
في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان جزأ زمانه
يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور
عليه الملائكة على صورة انسان في يوم خلوته قالوا لا تخف خصمان اي نحن فوجان
متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد
التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في
الحكومة وقرئ ولا تشطط او لا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو
مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين
او بالصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها
عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء ولي نعجة فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته
اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب
وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي
في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث زوجها دوني وقرئ
وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف وهو غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه
ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف
الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء
الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدي وقرئ بفتح الياء على تقدير
النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء
اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم
قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب
او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا
على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي
الاستغفار

واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما فى هذه القصة الاشعار بانه عم ود ان يكون له
ما لغيره وما كان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روى
ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله
خطب مخطوبته واستنزله عن زوجته وكان ذلك معتاداً فيما بينهم وقد واسى الانصار
المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مراراً وامر ان تقدم حتى
قتل فتزوجها هزء وافتراء ولذلك قال على رضه من حدث بحديث داود على ما يرويه
القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوماً قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواماً فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد
ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له
ذلك اى ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب
مرجع فى الجنة يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض استخلفناك على الملك فيها
او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق
بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى
تصديق المدعى وتظليم الاخر قبل مسألته فيضلك عن سبيل الله دلائله التى نصبها
على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلاً خلقاً باطلاً لا حكمة فيه او ذوى باطل
بمعنى مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
او للباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع
بالشرع كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر
مثل هنيئاً ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلاً والظن بمعنى المظنون
فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين فى الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين
التى هى من لوازم خلقها باطلاً ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله ام نجعل المتقين
كالفجار كأنه انكر التسوية اولاً بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين
والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكراراً للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان
التسوية من الحكيم الرحيم والاية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون
فى الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضى الحكمة فيه او فى غيرها وذلك يستدعى ان يكون
لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال
ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى
المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك وليتذكر

اولوا الالباب ليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم
من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف
الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر
للثانى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اى نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح
وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه
ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشى بعد الظهر الصافنات
من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل
لا يكاد يكون الا فى العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذى يسرع فى جريه
وقيل الذى يجود فى الركض وقيل جمع جيد روى انه عليه السلام غزا دمشق ونصيبين
واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها فاستعرضها فلم تزل تعرض
عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها
تقرباً لله فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى اصل احببت ان يعدى بعلى لانه
بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدى تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله
مثل بعير السوء اذ احبا اى برك وحب الخير مفعوله والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى
شغلته ويحتمل انه سماها خيراً لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير
الى يوم القيمة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء حتى توارت بالحجاب اى غربت
الشمس شبه غروبها بتوارى المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليه
ردوها على الضمير للصافنات فطفق مسحاً فاخذ يمسح السيف مسحاً بالسوق والاعناق
اى بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده
اعناقها وسوقها حباً لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابى عمرو
بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالتباس ولقد فتنا سليمان
والقينا على كرسيه جسداً ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روى مرفوعاً انه قال لاطوفن
على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله
فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله
لجاهدوا فرساناً وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه
فى السحاب فما شعر به الا ان القى على كرسيه ميتاً فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله
وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنته جرادة فاحبها وكان لا يرقأ
دمعها جزعاً على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح
مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة
وخرج الى الفلاة باكياً متضرعاً وكان له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها
خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوماً فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم

فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير
سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور
على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان
وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر
ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا
بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ
وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد
هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل
والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة
وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل
الدعاء بصدد الاجابة وقرا نافع وابو عمرو بفتح الياء انك انت الوهاب المعطي ما تشاء
لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء
لينة من رخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من
قولهم اصاب الصواب فاخطا الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص
بدل منه وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم
في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر
ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم
عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا
بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة

هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم نعط غيرك

فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن
في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما
اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن
والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك
العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص بن اسحق وامرأته
ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني باني مسني وقرا
حمزة باسكان الياء واسقاطها في الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم
وهو حكاية لكلامه الذي ناداه له ولولاه لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله
مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه
او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون
اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم

او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط
من الرحمة ويغريه على الجزع وقرا يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة
كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك
الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل له هذا مغتسل
اي تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة
فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم
او احييناهم بعد موتهم قيل ووهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان
رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر
واللجاء الى الله فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة
الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روي ان زوجته ليا بنت يعقوب
وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطات فحلف ان برئ ضربها
مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود انا وجدناه صابرا
فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى
جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين
نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا ابرهيم واسحق
ويعقوب وقرا ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع على ان ابرهيم وحده لمزيد
شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه اولي الايدي والابصار
اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة
فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى
مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة
جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم الآخرة
دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما ياتون ويذرون
جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية
والدنيا معبر واضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص
فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم
المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات
في جمع ميت او ميت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل
ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرا حمزة والكسائي
والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب
واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة من بني اسرائيل من القتل فاواهم وكفلهم
وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي وكلهم من الاخيار

هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع في بيان
ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن عطف بيان
لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب
وانتصاب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى
الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين فيها
يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير في لهم
لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استينافا لبيان حالهم فيها ومتكئين
حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي
للتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرون الى غير ازواجهن اتراب
لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه
من التراب فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب
علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا
ماله من نفاد انقطاع هذا اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر
مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد المهد والمفترش مستعار
من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد
هذا فليذوقوه اى ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون
مبتدأ خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اى هو حميم والغساق ما يغسق
من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائي
غساق بتشديد السين وآخر اى مذوق او عذاب آخر وقرأ البصريان واخر اى مذوقات
او انواع عذاب اخر من شكله اى من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير
على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهو لغة ازواج
اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج
مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم
في الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين
على اتباعهم او صفة لفوج او حال اى مقولا فيهم لا مرحبا اى ما اتوا به رحبا وسعة
انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اى الاتباع للرؤساء بل انتم
لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا
قدمتم او الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمه من العقايد الزايغة والاعمال القبيحة
فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اى الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده
عذابا ضعفا في النار مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين
كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اى الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا

نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم
سخريا صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه
انكار على انفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخريا
بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة
لما لنا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا
او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان
زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة على ان
استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة احوالهم
ان ذلك الذي حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار
وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين
انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة
والكثرة في ذاته القهار لكل شيء رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها
واليه امرها العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من الذنوب
لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين
وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار قل هو اى ما انبأتكم به من انى نذير
من عقوبة من هذا صفته وانه واحد في الوهيته وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم
انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه
الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى
اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت في الكتب
المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف
اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اى لانما كانه
لما جوز ان الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز
ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملائكة اني
خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي دخلت اذ
عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود
على ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو
انذار المشركين على استكبارهم على النبي بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم هذا
ومن الجائز ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله
والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح
فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له
وقد مر الكلام فيه فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار

من الكافرين باستكبارهم عن المطاوعة او كان منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية لما في خلقه
من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه
المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح لمانع اذ للسيد ان يستخدم
بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت
من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت
من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار
قال انا خير منه ابداء للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل له وقد سبق
الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او السماء او من الصورة الملكية فانك رجيم
مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني
الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال
فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين
اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله على اختلاف
القرائتين قال فالحق والحق اقول اي احق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى
ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف
والجملة تفسير للحق المقول وقرا عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق يميني او قسمي
او الخبر اي انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على
اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو شايع فيه
اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره بنصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس
اذ الكلام فيهم والمراد منك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين
تاكيد له او للضميرين قل ما اسالكم عليه من اجر على القران او تبليغ الوحي وما انا من
المتكلفين المتصنعين بما ليسوا من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول القران
ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نباه وهو ما فيه الوعد والوعيد
او صدقه باتيان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام
وفيه تهديد وعن النبي عليه السلام من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله
لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا وكبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الذين وهي خمس او اثنان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره
من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة
او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القران وقرئ تنزيل بالنصب
على اضمار فعل نحو اقرا او الزم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات
الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والريا
وقرئ برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص
المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور
براهينه فقال الا لله الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة
فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين اتخذوا
من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام
على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدا خبره
على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله يحكم بينهم
وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة
وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به
آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة
والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابلهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم
وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار
فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشا
اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين
ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم
مقام الولد ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية
الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد
لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية
المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات
والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشي كل واحد منهما
الاخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة
او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري
لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب
على كل شئ الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع من الرحمة
وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال اخر بما اوجده
في العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه
على ما ذكر ثلث دلالات خلق آدم اولا من غير اب وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعب
الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها

او على معنى واحدة اى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الايتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حواء وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز يخلقكم فى بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسى والانعام اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غير انه غلب اولى العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف فى ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذى هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه فى الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غنى عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع فى رواية وابو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابى عمرو ويعقوب باسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازات انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل فى الدلالة على ان مبدا الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسى ما كان يدعوا اليه اى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذى كان يتضرع اليه وما مثلها الذى فى قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كان نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهى لا سند له واقناط للكافرين من التمتع فى الاخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن هو قانت قائم بوظائف الطاعات اناء الليل ساعة وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن جعل له اندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه فى موضع الحال او للاستيناف للتعليل قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون

لا يستوى القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة اى للذين احسنوا بالطاعات فى الدنيا مثوبة حسنة فى الاخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة فى الدنيا هى الصحة والعافية وفى هذه بيان لمكان محل حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب وفى الحديث انه ينصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم فى الدنيا والاخرة لان قصب السبق فى الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهى ايضا يقتضيه لما يلزمها من السبقة فى الدين ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما فى اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم فى الاخلاص والبدء بنفسه فى الدعاء اليه بعد الامر به قل انى اخاف ان عصيت ربى بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له دينى امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين فى الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة فى خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هى ظلل للاخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذى يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه فانه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة فى النعت ولذلك اختص بالشيطان

ان يعبد وهابدلا اشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه
لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت فبشر عباد
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه او وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا
للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون
الافضل فالافضل اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب
العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل
بفعل الله وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار
جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره انت مالك امرهم فمن حق
عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار والاستبعاد
ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع
فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم
من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار
بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها
فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض تجري من تحتها الانهار اي من تحت
تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله
الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله محال الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر
فسلكه فادخله ينابيع في الارض هي عيون ومجار كائنة فيها او مياه نابعات
فيها اذ الينبوع جاء للمنبع والنابع فنصبها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا
الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه
لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما
فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لابد من صانع حكيم دبره وسواه او بانه مثل الحيوة
الدنيا فلا يغتر بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام
حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية
عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابل للاسلام فهو
على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه السلام اذا دخل النور القلب
انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي من اجل الشيء
اشد تأبيا من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول
وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب
واسنده اليهم اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادي نظر والآية نزلت في حمزة وعلي

وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القرآن روي ان اصحاب رسول الله
عليه السلام ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه
تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن
او حال وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع
العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك
القرآن سور وآيات والانسان عروق وعظام واعصاب او جعل تمييزا من متشابها
كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز
خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه
من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب قمطر من القمط
وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق
للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين
معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك
اي الكتاب هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد
يخرجه من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله درقة يقي به نفسه لانه يكون مغلولة
يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن هو آمن منه
فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم
بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو
للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة
التي لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا
كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته ودوامه
لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به
قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا
او مدح له غير ذي عوج لا اختلاف فيه ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل المراد
بالعوج الشك واللبس استشهادا بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول
غير مكذوب تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى
ضرب الله مثلا رجلا للمشرك والموحد فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل
المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد
يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه
والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء
والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ

بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل
سالم اى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا
صفة وحالا ونصبه على التميز ولذلك وحد وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع او لان
المراد هل يستويان فى الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله
كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم
لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت
وفى عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب
على الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق فى التوحيد
وكانوا على الباطل فى التشريك واجتهدت فى الارشاد والتبليغ ولجوا فى التكذيب والعناد
ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا اباءنا وقيل المراد به الاختصام العام
يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم فى الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد
والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عليه السلام اذ جاءه من غير توقف وتفكر
فى امره اليس فى جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد
والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص
بمن فاجاه ما علم مجئ الرسول به بالتكذيب والذى جاء بالصدق وصدق به للجنس
ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو النبى والمراد هو ومن تبعه
كما فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائى هو الرسول والمصدق
ابو بكر وذلك يقتضى اضمار الذى وهو غير جائز وقرئ وصدق بالتخفيف اى صدق به الناس
فاداه اليهم كما نزل وصار صادقا بسببه لانه معجز يدل صدقه وصدق به على البناء للمفعول
لهم ما يشاؤن عند ربهم فى الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم
اسوأ الذى عملوا خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار
بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر
اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والاشج اعدلا بنى مروان وقرئ
اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم باحسن الذى كانوا يعملون فيعد لهم محاسن
اعمالهم باحسنها فى زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده
استفهام انكار للنفى مبالغة فى الاثبات والعبد رسول الله ويحتمل الجنس
ويؤيده قراءة حمزة والكسائى عباده وفسر بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه
يعنى قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا لعيبك اياها وقيل انه بعث
خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها فان لها لشدة فعمد اليها خالد فهشم
انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر له بما خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل
عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه الى الرشاد ومن يهد الله

فما له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب منيع ذى انتقام ينتقم من اعدائه
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية
قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره اى ارأيتم
بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبنى بضر هل يكشفنه
او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عنى وقرأ ابو عمرو كاشفات ضره
وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبى الله كافيا فى اصابة الخير
ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذى لا مانع لما يريده من خير او شر روى
ان النبى عليه السلام سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها
من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان
للزمان وقرئ مكاناتكم انى عامل اى على مكانتى فحذف للاختصار والمبالغة فى الوعيد
والاشعار بان حاله لا تنقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم
بكونه منصورا عليهم فى الدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
فان خزى اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم
وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم
فى معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه
ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم
لتجبرهم على الهدى فانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها
والتى لم تمت فى منامها اى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها
فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو فى النوم فيمسك
التى قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف
وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الاخرى اى النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل
مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روى عن ابن عباس رضه
ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز
والروح التى بها النفس والحيوة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم
قريب مما ذكرنا ان فى ذلك من التوفى والامساك والارسال لايات على كمال قدرته
وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون اى فى كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها
عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة
والحكمة فى توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفى آجالها ام اتخذوا
بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء يشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا
ولا يعقلون او يشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر

ولا تعقل قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص
مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه
ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه مالك الملك كله
لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك
له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون
لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى الغاية فيهما فان الاستبشار
ان يمتلي قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غما حتى ينقبض اديم
وجهه والعامل في اذا المفاجأة قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة التجئ الى الله تعالى بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة
شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد
واقناط لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه
وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات
اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه
فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده
بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده
ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا
بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها
تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم على علم مني بوجوه كسبه او بأني سأعطاه
لما لي من استحقاقه او من الله بي استحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير
لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان له اتشكر ام تكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير
باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل
على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم
عندي لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله
ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم سيئات
ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم
السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن
للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم
فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا

ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم
سبعا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله بواسطة او غيرها
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي
واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما عرف بالقرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا
تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد
وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
الآية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة
بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص
المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة
فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع
الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما روي انه
عليه السلام قال ما احب ان يكون لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك
فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان
من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان
وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في
الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم
العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق
تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم القرآن او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص
او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة
من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس
كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى ورب
بقيع لو هتفت بجوه • اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا • يا حسرتا وقرئ بالياء على الاصل
على ما فرطت ما قصرت في جنب الله في جانبه اي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري
اما تتقين الله في جنب وامق • له كبد حرى عليك تقطع • وهو كناية فيها مبالغة كقوله
ان السماحة والمروءة والندى • في قبة ضربت على ابن الحشرج • وقيل في ذاته على تقدير مضاف
كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين
المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول
لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى
العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو
من هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت

وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه
لان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط
ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه
من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز عليه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة
بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية
البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة
وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ ينجي بمفازتهم بفلاحهم
مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح
اطلاق لها على السبب وقرا الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها
للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استيناف
لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وكفر وايمان وهو على كل شيء وكيل
يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك من التصرف فيها غيره وهو
كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها
ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته
وقيل جمع قليد معرب اقليد على الشذوذ وكمنا كير وعن عثمان انه سال النبي عليه السلام
عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله
ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح
خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون
متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد
ومطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله
وفي هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم والتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم
او بما يليه والمراد بايات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض وكلمات
توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم حظ من الرحمة والثواب قل افغير الله
تأمروني اعبد ايها الجاهلون افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمروني
اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك
لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله
تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله احضر الوغى ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرا
ابن عامر تأمرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن

من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم
الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب
واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصايصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد
بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت
اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به
ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين على انعامه عليك
وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره وما قدروا عظمته في
انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته
وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب
العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين لا حقيقة
ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة
وهو المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف
تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها
البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة
في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم
او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الاولى فصعق من في السموات ومن
في الارض خروا امواتا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل
فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد
بالاول ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في موضعه واخرى تحتمل النصب
والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر
ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينظرون
ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين
البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك
اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضاف
الى نفسه ووضع الكتاب للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه
او صحايف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به
الصحايف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون
وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى
الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم
ثم فصل التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها

فى اثر بعض على تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة وهى الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها
من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل
زمر قليل المروة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها
الجملة وقرا الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم
رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اى وقتكم
هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا
توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر
موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملأن جهنم من الجنة
والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم
فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافى اشعاره
بان مثويهم فى النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم
فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله تعالى اذا خلق العبد
للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة
واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت بعمل من اعمال اهل النار فيدخل به
النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق
مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلو الطبقة
حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة
والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح قبل مجيئهم منتظرين وقرا
الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه
طبتم طهرتم من دنس المعاصى فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على
ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصى بعفوه لانه يطهره وقالوا
الحمد لله الذى صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريد المكان الذى
استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف
فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوا من الجنة حيث نشاء اى يتبوا كل منا اى مقام
اراده من جنته الواسعة مع ان فى الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر
العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش اى حوله ومن مزيدة
او للابتداء والمحذوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة
للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفى جلاله واكرامه متلذذين به وفيه اشعار بان منتهى درجات
العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق فى صفات الحق وقضى بينهم بالحق اى بين الخلق
بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم

وقيل الحمد لله رب العالمين اى على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون
من المقضى بينهم او الملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبى عليه السلام من قرا
سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه
عليه السلام كان يقرا كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وانها خمس وثمانون وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم اماله ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر
صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرى بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين
والنصب باضمار اقرا ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها على زنة اعجمى كقابيل
وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم تخصيص الوصفين لما فى القران من الاعجاز
والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ذى الطول صفات اخرى لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث
على ما هو المقصود منه والاضافة حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد
بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج او من الالباس
او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع
بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع
الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب
كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب
المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله
الا هو فيجب الاقبال الكلى على عبادته اليه المصير فيجازى المطيع والعاصى ما يجادل
فى ايات الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن
وادحاض الحق لقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده
واستنباط حقايقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات
ولذلك قال عليه السلام ان جدالا فى القران كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة
فلا يغررك تقلبهم فى البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى بلاد
الشام واليمن فى التجارات المربحة فانهم ماخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوا
بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها لياخذوه
ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقيل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل
بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوا به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهمتهم فكيف كان عقاب

فانكم تمرون على ديارهم وترون اثرهم وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده
او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل
او الاشتمال على ارادة اللفظ والمعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى
طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم
له او كناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم
يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا
لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما
لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا واشعارا بان
حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم
وحملهم على التوبة والهامهم بما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب
النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال تعالى انما المؤمنون
اخوة ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما
اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة
في عمومها وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح
بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التي
وعدتهم وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول
اي ادخلهم معهم هؤلاء ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن
وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم
الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات
او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او تخصيص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله
ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الاخرة كانهم
طلبوا السبب بعدما سألوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية
او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم
انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان
فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم
يوم القيمة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الا ان يأول بنحو في الصيف ضيعت اللبن
او تعليل للحكمين وزمان المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا
امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة
ابتداء او تصييرا كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل
وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل المختار احد مقدوريه تصيير وصرف له عن الاخر واحييتنا

اثنتين الحيوة الاولى وحياة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية
في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما في القبر وللبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة
بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم لها
من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من سبيل
طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله
ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده متوحدا او توحد وحده فحذف
الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم
لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلي الكبير من ان يشرك به
ويسوى بغيره حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي
يريكم آياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء
رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول
لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار
بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين
له الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش
خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في
الوهيته فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي
هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات
او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب
على المدح يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات
ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح
الوحي ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدؤه والامر هو الملك المبلغ يختار للنبوة وفيه دليل
على انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب
يؤيد الثاني يوم التلاق يوم القيمة فانه فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء
والارض والمعبودون والعباد والاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون
من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان
او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير
لقولهم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهمونه في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال من زوال الاسباب
وارتفاع الوسايط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقايد والاعمال هيئات
توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لان العوايق تشغلها فاذا قامت قيامتها

نالت العوائق وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب
ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا
وانذرهم يوم الازفة اى القيمة سميت بها لازوفها اى قربها او الخطة الازفة
وهى مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها
وتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال
من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها فى لدى وجمعه
كذلك لان الكظم من افعال العقلاء لقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم
على انها حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع
والضماير ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على
اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية
الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفى الصدور من الضماير والجملة
خبر خامس للدلالة على انه ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضى بالحق لانه
المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشئ الا وهو حقه والذين يدعون من دون الله
لا يقضون بشئ تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضى او لا يقضى وقرا نافع وهشام
بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين
وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه
اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين
كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جئ الفصل
وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرا
ابن عامر اشد منكم بالكاف واثارا فى الارض مثل القلاع الحصينة وقيل المعنى واكثر
آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق
يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
او الاحكام الواضحة فكفروا بها فاخذهم الله انه قوى متمكن مما يريد غاية التمكن
شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعنى المعجزات
وسلطان مبين وحجة قاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات
كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى
وفيه تسلية لرسول الله عليه السلام وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا
واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه
واستحيوا نساءهم اى اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كى يصدوا عن مظاهرة موسى
وما كيد الكافرين الا فى ضلال فى ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم
والدلالة على العلة وقال فرعون ذرونى اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون

انه ليس الذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله
بذلك مع كونه سفاكا فى اهون شئ دليل على انه تيقن انه نبى فخاف من قتله او ظن انه
لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه انى اخاف
ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله
ويذرك والهتك او ان يظهر فى الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب
والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرا ابن كثير ونافع وابن عمرو وابن عامر
بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد
وقال موسى اى لقومه لما سمع كلامه انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم
الحساب صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ
بالله وخص الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم حثا لهم
على موافقته لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا
يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرا ابو عمرو
وحمزة والكسائى عدت فيه وفى الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن
من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيلى او غريب
موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او وقت
ان يقول من غير روية وتامل فى امره ربى الله وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديقى زيد
وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه
اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم
بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه اى لا يتخطاه وبال كذبه
فيحتاج فى دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم فلا اقل
من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب
ولذلك قدم كونه كاذبا او يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده
كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة
اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه
ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه
لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من
خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثانى
ليلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب
وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين فى الارض ارض مصر
فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا اى فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله
بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه فى الضميرين لانه كان منهم

في القرابة وليريهم انه معهم ومساعهم فيما ينصحهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم
الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب
وقلبي ولساني متواطئان عليه الا سبيل الرشاد وطريق الصواب وقرئ بالتشديد
على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه
مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم
اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية
يعني وقايعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد
وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم
كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم
بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث
تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة ينادي فيه
بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة
واصحاب النار كما حكى في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان ينفر بعضهم من بعض
كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين عنه
الى النار وقيل فارين منها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله
فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى
او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب
من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين
حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته
رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث الله بعده رسولا مع الشك في رسالته وقرئ
ألن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله
في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك
في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع
بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة اتيهم كبر مقتا عند الله
وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده للفظه ويجوز ان يكون الذين مبتدأ
وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان
وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار استينافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب
بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف
مضاف اي كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا
من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها

وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله
موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له
رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث
الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى بان
اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى
السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه
كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن
السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبتوسط
الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى
بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار
وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل
الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي
يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وان الاخرة هي دار القرار
لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات
تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه
ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم اشارة وتفضيل الثواب
لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه
اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم
عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه
وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول
فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله
بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به
بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها
لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من
كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازات والقدرة على
والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله ان ما تدعونني
اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة اي حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها
اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة
دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه
ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع

كما ان بد من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية
الاصنام اى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه لا يفعل لغة فيه
كالرشد والرشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين فى الضلالة والطغيان
كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم
بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امرى الى الله ليعصمنى من كل
سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم وكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقاه الله
سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى عم وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه
واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر
الى الجبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم
سوء العذاب الغرق او القتل او النار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة
مستانفة او النار خبر محذوف ويعرضون استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال
منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل
يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف
اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم فى اجواف طير سود يعرض
على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه
دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اى هذا ما دامت الدنيا
فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون اشد العذاب عذاب جهنم
فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ويعقوب
وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون فى النار واذكر وقت
تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيله
انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم فى جمع خادم او ذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه
مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا فى قوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف
نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه
عوض المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال
المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد
بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه وقال الذين فى النار
لخزنة جهنم اى لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل
ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما

بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة
قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لا يؤذن فى الدعاء لامثالكم وفيه
اقناط عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فى ضياع لا يجاب انا لننصر
رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة فى الحيوة الدنيا
ويوم يقوم الاشهاد اى فى الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة امتحانا
اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب
والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة
او لانها لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة
البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به
فى الدين من المعجزات والصحف والشرايع واورثنا بنى اسرائيل الكتاب وتركنا
عليهم بعده من ذلك التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولى
الالباب لذوى العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله حق بالنصر
لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك
وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك
بالنصر واظهار حق الامر وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ودم على التسبيح والتحميد
لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا
ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم عام فى كل مجادل مبطل وان نزلت
فى مشركى مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه
البر والبحر ويسير معه الانهار ان فى صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم
عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكونان الا لهم ما هم
ببالغيه ببالغى دفع الآيات او المراد فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير
لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها
مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل
ما يجادلون فيه من امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون
لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم وما يستوى الاعمى والبصير الغافل والمستبصر والذين
آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ والمحسن والمسئ فينبغى ان يكون لهم حال
يظهر فيها التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسئ لان المقصود نفى مساواته
للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه
على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا

ما يتذكرون اى تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرا الكوفيون
بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة ان الساعة لآتية
لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به
وقال ربكم ادعوني اعبدوني استجب لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف
عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرا ابن كثير
وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس
والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك
عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار
به لم يقل لمفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم
وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية
والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة
وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة
للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه يصرفون من عبادته الى عبادة غيره
كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد
بآيات الله ولم يتأملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال
ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة
بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات
ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه
مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود
يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك
والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات فانها مقوية لادلة
العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له واخلص له ديني
هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا
والتوحيد لارادة الجنس او على تأويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه
متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا
ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيوخا بالكسر وقرا نافع وحفص وهشام
شيوخا بضم الشين وقرئ وشيخا لقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل

من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى
هو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي
يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه
الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه
يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون
في آيات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه
او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به
رسلنا من سائر الكتب او الوحي والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال
في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه
والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدأ خبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف
اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء
على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى
اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه قراءة به
ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه
سجر بالحب اي ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض
ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل
ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل
شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به
كقولك حسبته شيئا فلم يكن شيئا كذلك مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين
حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا
ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك
والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة
في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها
مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل
المتكبرين المقسومة لكم ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى
فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرينك
وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا يلحق مع ان وحدها
بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون
يوم القيمة فيجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حيوتك او لم نعذبهم
فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع

في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من
لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور
قصصهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات
عطايا الله قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار
بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والاخرة
قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح
الايات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها
تاكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها
منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة
عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال وعلى الفلك ولم يقل
في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يتصل به
التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة
او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته
وفرط رحمته فاي ايات الله اي اية من تلك الايات تنكرون فانها لظهورها
لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة
بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم واشد قوة واثارا في الارض ما بقي منهم
من القصور والمصانع ونحوهما وقيل اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى
والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
والايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم
عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الاخرة وهو قولهم
لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما
بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به
ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل
الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا
من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا
شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك
بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر
منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لان رؤية الباس

مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنة الله التي قد خلت
في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك
الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس اسم مكان استعير للزمان وعن النبي عليه السلام
من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر

سورة السجدة مكية ثلث اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته
تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على
الاولين بدل منه او خبر اخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم
وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل
الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت اياته ميزت
باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض باعتبار الفواصل
والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرانا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت
وفيه امتنان لسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو
صفة اخرى لقرانا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات
بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على صفة الكتاب والخبر
لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة وقالوا
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي اذاننا وقر صمم واصله الثقل
وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب
مبتدا منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات
لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقاده ومج اسماعهم وامتناع مواصلتهم و
موافقتهم للرسول فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال
امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا
لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما ينبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم
الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا
في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه
مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط
جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق
وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه
لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالاخرة هم كافرون حال مشعرة

بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للاخرة ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لايمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع
من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم
الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في مقدار
يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض
ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها صورا بها
صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح ان
يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد
من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استيناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو
خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار
ويكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات
والحيوان وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به
او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها
في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشر والى الكوفة
في خمس عشر ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين
والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام
ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او فيها وقرئ بالرفع
على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض
وما فيها او بقدر اي وقدر فيها الاقوات للطالبين ثم استوى الى السماء قصد نحوها
من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم
لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
ودحوها مقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها
او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير
وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود
على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها
واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد
توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المواتاة اي ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت
منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده
لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين
بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنهما وتمثيلهما
بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله تعالى كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما

على الجواب انما تصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما
مخاطبين كقوله ساجدين فقضاهن سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن
امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني
في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل
سماء امرها شانها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى
اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها
وحفظا اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه
قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم
البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة
فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة
مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا
اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا
لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة
او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير
عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم
خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعيين الى الايمان بهم اجمعين
ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان الا تعبدوا
الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة
برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما
عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا
من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم وقيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة
فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات
مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون انها
حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك
بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير
في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصري
بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء
الى الاربعاء وما عذب قوم الا في الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل
صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل

وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى
على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء
فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار
الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله
الى النار وقرئ نحشر على البناء للفاعل مواقفة عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين
ونصب اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار
حتى اذا ما جاءوها اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا
تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب
ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا
بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول
الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة
واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون عن الناس عند
ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاكم تشهد عليكم فما استترتم
عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة
الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم خبران له ويجوز ان يكون
ظنكم بدلا وارديكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين
سببا للشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا
يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين اى ان يسألوا وان يرضوا ربهم
فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين
يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه
المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم
من امر الآخرة وانكاره وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله ان تك
عن حسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد افكوا وهو حال من المجرور قد خلت من قبلهم
من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب
والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه
بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى
واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ

سيئات اعمالهم وقد سبق مثله الذي كانوا يعملون ذلك اشارة الى الاسوء جزاء اعداء الله
خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فانها دار اقامتهم
وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة
جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو
وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني النوعين
الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل
وقرأ ابن عامر وابن كثير ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ في فخذ
وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندسهما انتقاما منهما
وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين
قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل
وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث ان مبدأ الاستقامة من الثبات على الايمان
او لانها عسر قلما تتبع الاقرار وما روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة
من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة
فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت والخروج من القبر
الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة
بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن
اولياؤكم في الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل
بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها
في الآخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء
بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون للاشعار بان ما تتمنون
بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين تفاخرا به واتخاذا
للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك
الصفات وقيل نزلت في النبي عليه السلام وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة
حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او بما
يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف
اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقيها وما يلقى
هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام
وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك

من الشيطان نزغ بالله نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع
بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان
بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم
بنيتك او بصلاحك ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة
المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار
ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا
لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الاية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن
الامتثال فالذين عند ربك اي من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما
لقوله وهم لا يسأمون اي لا يملون ومن اياته انك ترى الارض خاشعة مطامنة
مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت
وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اي زادت ان الذي احياها بعد موتها لمحيي الموتى
انه على كل شيء من الاحياء والاماتة قدير ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة
في اياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا
فنجازيهم على الحادهم افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيمة قابل الالقا في النار
بالاتيان آمنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه
بما تعملون بصير وعيد بالمجازات ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين
يلحدون في اياتنا او مستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك
ينادون والذكر القرآن وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله
وتحريفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة
من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم اي حكيم حميد
يحمده كل خلق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم
ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون
المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة
ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا
لولا فصلت اياته بينت بلسان نفقهه ءاعجمي وعربي اكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر
للتخصيص والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه ولكلامه وقرئ اعجمي وهو منسوب الى الاعجم
واعجمي على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا
لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور
او الدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت في الايات كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى

الى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره
في آذانهم وقر على تقدير في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه
وتعاميهم عما يريهم من الايات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على الذين آمنوا
هدى اولئك ينادون من مكان بعيد وهو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن
يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب
كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بالقيمة وفصل الخصومة
حينئذ او تقدير الآجال لقضي بينهم باستيصال المكذبين وانهم وان اليهود او الذين
لا يؤمنون لفي شك منه من التورية او القرآن مريب موجب الاضطراب من عمل
صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم
ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو
وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص
من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة
للاستغراق ويحتمل ان يكون موصولة معطوفة على الساعة مبنية بخلاف قوله ومن تحمل
من انثى ولا تضع الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم
اين شركائي بزعمكم قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة
اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم
لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين
وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا
ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان لا يمل ولا يفتر
من دعاء الخير اي من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة
فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور
اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي
اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة
تقوم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله
الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق
لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم
عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا
على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه
بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء
عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل

اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل ارايتم اخبروني
ان كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق
بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم
سنريهم اياتنا في الآفاق يعني ما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم به من الحوادث الآتية
وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق
والغرب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم
او ما في بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير
للقرآن او الرسول او التوحيد او الله اولم يكف بربك اولم يكف ربك والباء مزيدة
للتأكيد كانه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى انه على
كل شيء شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق
امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك
وحالهم او اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية
الا انهم في مرية اي شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم
بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر
عليها لا يفوته شيء منها عن النبي عليه السلام من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى مكية ثلث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل
بينهما وعدا آيتين وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق
كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اي مثل ما في هذه السورة
من المعاني اوحي او مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل من قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع
على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير
يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند
الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به
كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز
الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى
الوجوه الاخر استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء
يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن
والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث
وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول

لان اعظم الآيات وادلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار
من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة
والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر
بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص
بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو
ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه
عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة
وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداداً الله حفيظ
عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل
بهم او بموكول اليه امرهم وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا الاشارة الى مصدر يوحي
او الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر في القرآن في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به
لاوحينا وقرآنا عربيا حال منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي مكة ومن حولها من العرب
وتنذر يوم الجمع يوم القيمة يجمع الخلائق فيه او الارواح والاشباح او العمال والاعمال
وحذف ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء
والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم
في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه
وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق
او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين
او ضالين ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم
من ولي ولا نصير اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة
في الوعيد اذ الكلام في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو
الولي جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بحق وهو يحيي الموتى
وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار
فيه من شيء من امر من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق عن المبطل
بالنصر او الاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه
الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع اموري واليه انيب
ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او مبتدأ خبره جعل لكم
وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء
ومن الانعام ازواجا اي وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام
اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو والذر

فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث
والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في
قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد
مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب
الا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه زائد لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله
غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس مثل صفته صفة وهو السميع البصير
لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيته انه بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى
اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم
المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله
النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر
على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلف
كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم اليه
من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي
اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل
اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم العلم بان التفرق
ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسل او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما
فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك
بالامهال الى اجل مسمى هو القيمة او اخر اعمارهم المقدرة لقضي بينهم باستيصال
المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول او المشركين الذين اورثوا القران من بعد اهل
الكتاب وقرئ ورثوا و وُرّثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون
به حق الايمان او من القران مريب مُقلق او مُدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق
او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت
وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت
واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله
من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت
لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا
اشارة الى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق كل شيء ومتولي امره لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم وكل مجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج يعني لا خصومة اذ الحق

قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة
واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الاية ما يدل على متاركة الكفار راسا
حتى يكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد
ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره
يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة
عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب لمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله
الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد
والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل
الامر به او آلة الوزن بان اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها
فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه
اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى
البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين امنوا مشفقون منها
خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان
الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها
بشدة للحلب لان كلا من المجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد
عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء
الى ما وراءه الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف من البر لا يبلغها الافهام يرزق
من يشاء اي يرزقه لمن يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته
وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة
ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الاخرة
والحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه
فنعطيه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها شيئا على ما قسمنا له وما له في الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ
ما نوى ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم
شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم ياذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا
وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها
لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا كلمة الفصل
اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم
بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان
بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الاخرة لقضي
بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في الاخرة ترى الظالمين في القيمة مشفقين

خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا
والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم
ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو
الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم الله عباده به فحذف الجار ثم العائد
او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره
وقرئ يبشر من ابشره قل لا اسئلكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا
منكم الا المودة في القربى ان تودوني لقرابتي منكم وتودوا قرابتي وقيل الاستثناء
منقطع والمعنى لا اسئلكم اجرا قط لكن اسئلكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة
ثابتة في ذوي القرابة متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث
الحب في الله والبغض في الله روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك من هؤلاء
قال علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا رسوله في تقربكم
اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب
طاعة سيما حب آل الرسول وقيل نزلت في ابي بكر ومودته لهم نزد له فيها في الحسنة
حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله حسنى ان الله غفور لمن اذنب
شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون افترى
على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة والقرآن فان يشأ الله يختم على قلبك استبعاد
للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه
فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ
بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه او يربط عليه بالصبر
فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور
استيناف لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفتريا لمحقه اذ من عادته محو الباطل واثبات
الحق بوحيه او بقضائه او بوعد بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذي
لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول
ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم
يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم
واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها
حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها
لمن يشاء ويعلم ما تفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ الكوفيون
بالياء غير ابي بكر ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام

كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء والاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب
عليه ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها
ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم
عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء
وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن
ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضت مشيته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا
حالهم فيقدر عليهم ما يناسب شأنهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل
في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث
المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد
من بعد ما قنطوا ايسوا وقرئ بكسر النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل
والنبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق
للحمد ذلك ومن آياته خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع
قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب
للسبب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم
اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما تدخل على الماضي تدخل على المضارع
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية
او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفو
عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم
فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين
ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها
عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا
لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار ان يشأ يسكن الريح وقرأ نافع الرياح فيظللن رواكد
على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل
همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في الآية او لكل مؤمن كامل فان الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة
المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم
يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة
فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف
ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على
الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع

وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك
قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص من محيد من العذاب والجملة متعلق عنها الفعل
فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة حيوتكم وما عند الله من ثواب
الآخرة خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث
ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية
وعن علي رضي تصدق ابو بكر بماله كله فلامه جمع للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين
يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين بما بعده عطف
على الذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة
على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا
لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله عليه السلام الى الايمان فاستجابوا له
وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك
من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم
كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف
وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز
محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي عقيب وصفهم بالانتصار بالمنع
عن التعدي وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها
تسوء من تنزل به فمن عفى واصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة يدل على عظم
الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن
انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة
انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدءونهم بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقونه
تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم
ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه
فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي
من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب
حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة
الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل
متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار
من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا
والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم

تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن
يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم
لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة ياتي اي من قبل ان ياتي
يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ مقر وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه
لانه مدون في صحايف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك
عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا
الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل
سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه
وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها
عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر
موضع الضمير في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات
والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء
اناثا ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال اعتراض او يزوجهم ذكرانا واناثا
ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد
مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين
جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل ولان مساق الاية
للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان
الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل
ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين
ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل
ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا
يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة
وهو ما يعم المشافهة به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به
كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول
والاية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع
او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحى الى الرسول
ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال
نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت
احوالا وقرا نافع او يرسل برفع اللام انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته

فيتكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبرئيل
والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل الوحي وهو
دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع
ولكن جعلناه اي الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق
للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدى اي
ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا
ملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين
والمجرمين عن النبي عليه السلام من قرا حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون

سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسئل من ارسلنا تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا
اقسم بالقران على انه جعله قرانا عربيا وهو من البدايع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول
ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة
على المقسم عليه والقران من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين
للعرب يدل على انه تصيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه عطف على انا
وقرا حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه اصل
الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلي رفيع الشان
في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه وهما خبران لان
وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا يمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب
افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب
عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء
للعطف على محذوف اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان
تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة عنقك
وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح
جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم
ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض
وقرا نافع وحمزة والكسائي بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك
استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم
من نبي الا كانوا به يستهزءون تسلية لرسول الله عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم

بطشا اي من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل
الاولين وسلف في القران قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل
ما جرى على الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن
العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة
عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات
ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استينافا الذي جعل لكم الارض مهدا فتستقرون
فيها وقرا غير الكوفيين مهادا بالالف وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم
تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي
نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا مال عنه الماء وتذكيره
لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء والذي خلق الازواج كلها
اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي
بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب
على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون
وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها
حامدين عليها ويقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين
من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينة اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف
وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال
بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله
وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى
هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله
وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف
من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سماه بعضا لانه
بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان
الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل
والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين معنى الهمزة في ام للانكار
والتعجب من شانهم من حيث انهم لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته اجزاء اخس
مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به كما قال
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لا بد ان يماثل
الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم
مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور

وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير بشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا اومن
ينشؤ في الحلية اي اوجعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام
في المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز ان يكون
من مبتدأ محذوف الخبر اي اومن هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير
اليه لا تمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ اي يربى وقرئ ينشؤ ويناشأ
بمعناه ونظيره لك اغلاه وغلاه وغالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله
انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان والبصريان وابن عامر ويعقوب
عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم
فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع ااشهدوا
بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآاشهدوا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم
التي شهدوا بها على الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد لهم وقرئ
سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزءا وانه بنات وهن الملائكة
ويساءلون من المساءلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة
ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشية عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها
وذلك باطل لان المشية ترجح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان
او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا
ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبههم
المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند
من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق على صحة
ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب متمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على آثارهم مهتدون لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه
الى تقليد ابائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر
وهي الحالة التي يكون عليها الامام اي القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك
في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون
تسلية لرسول الله ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم
ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة
صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي اتتبعون
اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين ابائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير او خطاب
لرسول الله عليه السلام ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به
كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم

بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابرهيم واذكر
وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد
فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم او معبودكم مصدر
نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم
وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم
كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها
غير الذي فطرني فانه سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهدين الى ما وراء ما هداني اليه
وجعلها وجعل ابرهيم او الله تعالى كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون
فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة عقبة على التخفيف وفي عاقبه
فيمن عقبه لعلهم يرجعون اي يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء
واباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش واباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك
وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها
كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القرآن ورسول مبين ظاهر
الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والايات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم
قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به
فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين من احدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة
بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية
تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف
الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم
في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة
يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا
بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم
فيحصل بينهم تآلف وتضام وينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص
في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة
ربك يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزقها
لا منه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا في الكفر اذا راوا الكفار
في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون
يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك

وهبته ثوبا لقميصه وقرا ابن كثير وابو عمرو سقفا على التوحيد اكتفاء بجمع البيوت
وقرئ سُقُفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة فى سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا
عليها يتكئون اى ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا
على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هى المخففة واللام هى الفارقة
وقرا عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان
وما والاخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصى وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم
فى الاخرة لا فى الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان
وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم فى الاخرة مخل به فى الاغلب لما فيه من الافات قل من يتخلص
عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعامى ويعرض عنه لفرط اشتغاله
بالمحسوسات وانهماكه فى الشهوات وقرئ يعش بالفتح اى يعم يقال عشى اذا كان فى بصره افة
وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا
فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرا يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع
يعشو ينبغى ان يرفع نقيض وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذى من حقه ان يسبل
وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشى والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون
الضماير الثلثة الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اى العاشى وقرا الحجازيان
وابن عامر وابو بكر جاءانا اى العاشى والشيطان قال اى العاشى للشيطان يا ليت بينى وبينك
بعد المشرقين بعد المشرق والمغرب فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت
ولن ينفعكم اليوم اى ما انتم عليه من التمنى اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا بدل
من اليوم انكم فى العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم فى العذاب
كما كنتم مشتركين فى سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب
كما ينفع الواقعين فى امر صعب معاونتهم فى تحمل اعبائه وتقسمهم بمكابدة عنائه اذ لكل منكم
ما لا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوى الاول افانت تسمع الصم او تهدى العمى
انكار تعجب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم فى الضلال
بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله يتعب نفسه فى دعاء قومه وهم
لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان فى ضلال مبين عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين
وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اى فان قبضناك
قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكدة فانا منهم
منتقمون بعدك فى الدنيا والاخرة او نرينك الذى وعدناهم او اردنا ان نريك ما وعدناهم
من العذاب فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذى اوحى اليك من الايات
والشرائع وقرئ اوحى على بناء الفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج له
وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسئلون اى عنه يوم القيمة وعن قيامكم

بحقه واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اى واسئل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم
والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه
فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا موسى
باياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول
ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى
الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون فاجؤا وقت ضحكهم منها اى استهزؤا
بها اول ما راوها ولم يتاملوا فيها وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها الا وهى بالغة
اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الايات والمراد
وصف الكل بالكبر كقولك رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل
لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى او الا وهى مختصة بنوع من الاعجاز
مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم
يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك فى تلك الحال لشدة
شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا ادع لنا ربك
اى تدعو لنا فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب
دعوتك او ان يكشف عنا العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة
اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء
ونادى فرعون بنفسه او بمناديه فى قومه فى مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم
مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل
ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجرى من تحتى
تحت قصرى او امرى او بين يدى فى جنانى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك
فتجرى حال منها او واو حال وهذه مبتدا والانهار صفتها وتجرى خبرها افلا تبصرون
ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذى هو مهين ضعيف حقير
لا يستعد للرياسة من المهانة وهى القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف
يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة
على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انى خير منه
فلولا القى عليه اساورة من ذهب اى فهلا القى اليه على تعويض التاء من اساوير
وقد قرئ به وقرا يعقوب وحفص اسورة وهى جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة
والقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملئكة مقترنين
مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن
فاستخف قومه فطلب منهم الخفة فى مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم

انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط
في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين
في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم
مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سلف
كرغف او سالف كصبر او سلف ككتب وقرئ سُلَفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه
جمع سُلفة اي ثلة سلفت ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال
لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله
عليه السلام في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى
اهل الكتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك او على قوله
واسأل من ارسلنا من قبلك او ان محمدا عليه السلام يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك
قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزوما به
وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه
وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا ءآلهتنا خير ام هو اي آلهتنا خير عندك
ام عيسى فان كان في النار فليكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز
ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد عليه السلام فنعبده وندع
آلهتنا وقرأ الكوفيون ءآلهتنا بتحقيق الهمزتين والف بعدهما ما ضربوه لك الا جدلا
ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون
شداد الخصومة حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا
لبني اسرائيل امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء
لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض
يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله قادر
على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها
توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله تعالى
وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان
احياءه الموتى يدل على قدرة الله وقرئ لعَلَم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث
ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي
بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام
ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به
وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن
فيها واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله
هذا اي هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان

عن المتابعة انه لكم عدو مبين ابانت عداوته بان اخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية
ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال
قد جئتكم بالحكمة بالانجيل والشريعة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو
ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام
انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا
صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى او استيناف من الله
يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى
او اليهود والنصارى من بين قوم المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب
يوم اليم القيامة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تأتيهم بدل من
الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجأة وهم لا يشعرون غافلون عنها
لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو
اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتحابون له سببا للعذاب الا المتقين
فان خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة ابد الآباد يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
بغير الياء الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين
آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد وابلغ ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم
المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر
وهو الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف
عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف جمع صحيفة والاكواب جمع كوب وهو كوز
لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهيه الانفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على
الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ
وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب
للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها
شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت
مبتدأ والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك والتي خبرها
او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم
فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل
تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعيم
الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل
قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبر ان

او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى
اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة
وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك
وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون
تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربك ان يقضي
علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة قال
انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة
الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه تعالى تولى جوابهم بعد جواب المالك
ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ام ابرموا امرا
في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهة فانا مبرمون امرا في مجازاتهم والعدول
عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوأ من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول
فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك
ونجويهم وتناجيهم بلى نسمعهما ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمة لهم يكتبون
ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي عليه السلام يكون اعلم بالله
وبما يصح له واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك
صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان ههنا لا يشعر
ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة
على انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف وقيل معناه ان كان له
ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الآنفين عنه او من ان يكون له ولد من عبد
يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم
سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه
الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد
المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون اي يوم القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع
على قلوبهم معذبون في الآخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد
فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا
فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز
جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة
للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة
السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه

وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم
بالساعة التي تقوم القيمة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم
وروح بالياء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا
انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل
ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيهما ومنفصل
ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت العابدين او المعبودين ليقولن الله
لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون من عبادته الى عبادة غيره
وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله
اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره
يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو
قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء
جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة
فسوف يعلمون تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله عن النبي
عليه السلام من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشف العذاب تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف
ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر
او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول
عليه السلام نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية او لما
فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا
منذرين استئناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها
مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها
ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر
لان صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق
كل اي يفرقه الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى
حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او ضميره المستكن في حكيم لانه
موصوف وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به
او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى آمرين او مأمورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل
من انا كنا منذرين اي انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد

لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم
انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اى يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا
لان من شاننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية
من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم
وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض
وما بينهما خبر آخر او استيناف وقرا الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين
اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم او ان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها
فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو
اذ لا خالق سواه يحيى ويميت كما تشاهدون ربكم ورب ابائكم الاولين قرئ بالجر بدلا
بل هم فى شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تاتى السماء بدخان
مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره
او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب
دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناده الاتيان الى السماء لان ذلك
يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود فى اشراط الساعة لما روى انه عليه السلام لما قال
اول الايات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان
فتلا رسول الله الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن
فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة
والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم
ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان
ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة وقد جاءهم
رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها فى ايجاب الاذكار من الايات والمعجزات ثم تولوا عنه
وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال اخرون انه مجنون انا كاشفوا
العذاب بدعاء النبى فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقى من
اعمارهم انكم عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان
غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسر
بما فى القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر
ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان يحجزه عنه او بدل من يوم تاتى وقرئ
نبطش اى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول
بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم فى الفتنة
بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول
كريم على الله او على المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الى عباد الله

بان ادوهم الى وارسلوهم معى او بان ادوا الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة ويجوز ان تكون
ان مخففة او مفسرة لان مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة انى لكم رسول امين غير متهم
لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله
ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى فى وجهيها انى اتيكم
بسلطان مبين علة للنهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى
وانى عذت بربى وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذونى ضربا او شتما
او ان تقتلونى وقرئ عت بالادغام وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فكونوا بمعزل منى
لا على ولا لى ولا تتعرضوا الى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه
بعد ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه
ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادى ليلا اى فقال اسر او قال
ان كان الامر كذلك فاسر وقرا ابو عمرو بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده
اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته
ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح
بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة
ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك
مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها عطف على الفعل المقدر
او على تركوا قوما آخرين ليسوا منهم فى شئ وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا
الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد
بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت بمهلكهم الشمس فى نقيض ذلك ومنه ما روى
فى الاخبار ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه
وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت
آخر ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم
من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله معذبا لافراطه فى التعذيب
او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له
لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين فى العتو والشرارة
وهو خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير فى عاليا اى كان رفيع الطبقة من بينهم
ولقد اخترناهم بنى اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون
فى بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم واتيناهم من الايات
كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية
او اختبار ظاهر ان هؤلاء يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه
مسوقة للدلالة على انهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم

ليقولن ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة
الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل
لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى
اي ما الموتة التي من شانها ذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بآبائنا
خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم ليدل عليه
اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند
وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه السلام ما ادري
اكان تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم
يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استيناف بمآل قوم تبع والذين من
قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استؤنف به انهم كانوا قوما
مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين
الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها
ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث
والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل
والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين
تاكيد الضمير وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني
بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل مولى
من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون
الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة
فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه
من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم
سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده
عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في البطون
وقرا ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر
ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليا مثل غليه خذوه على ارادة القول والمقول له
الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وقرا الحجازيان وابن عامر
ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب
الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب
هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب
بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا
على ما كان يزعم وقرا الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب انك ان هذا العذاب

ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام موضع اقامة وقرا نافع
وابن عامر بضم الميم امين يامن صاحبه من الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام
جئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون من سندس
واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير
والاستبرق ما غلظ منه معربا او مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستانس
بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او اتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن
ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في انهن
نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون
من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت
وكانه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل
ووقيهم عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك
عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه
خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه
بلغتك فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا
فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي عليه السلام
من قرا حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وست وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب
احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله
العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات
والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق
السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور
بل عطف على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه
الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول على محل ان
واسمها وقرا حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل
والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيى به
الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرا
حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه قراءتان فيلزمهما العطف

على عاملين في والابتداء وان الا ان يضمر في او بنصب ايات على الاختصاص او ترفع باضمار
هي ولعل اختلاف الفواصل الثلثة لاختلاف الايات في الدقة والظهور تلك
ايات الله اي تلك الايات دلائله تتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق
ملتبسين او ملتبسة به فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون اي بعد ايات الله وتقديم
اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القران كقوله الله
نزل احسن الحديث واياته دلائله المتلوة او القران والعطف لتغاير الوصفين
وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل
افاك كذاب اثيم كثير الاثام يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان
بالايات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الايات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها
كان لم يسمعها اي كانه فخفف وحذف ضمير الشان والجملة في موقع الحال اي يصر مثل
غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم
من اياتنا شيئا واذا بلغه شيء من اياتنا وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى
فيها ما يناسب الهزء والضمير لاياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه
من الايات بادر الى الاستهزاء بالايات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الاية
اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها
او من خلفهم لانه بعد اجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع عنهم ما كسبوا من الاموال والاولاد
شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم
لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القران ويدل عليه قوله والذين كفروا بايات ربهم
لهم عذاب من رجز اليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب
الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع
الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة
والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعمة وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه بان خلقها نافعة لكم ومنه حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة
كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما
في الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون في صنايعه قل للذين امنوا يغفروا حذف المقول لدلالة
الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله
لا يتوقعون وقايعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقايعهم او لا يأملون الاوقات التي
وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والاية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري
فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع

والكف عن المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ ابن عامر والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى
قوم وليجزى قوما اي ليجزي الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد
اليه مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب
العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد اتينا بني اسرائيل
الكتاب التورية والحكم والحكمة النظرية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء
ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين
حيث اتيناهم ما لم نؤت غيرهم واتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيه
المعجزات وقيل ايات من امر النبي عليه السلام مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر
الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة
طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين
لا يعلمون اراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين ابائك
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض
اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى
واتباع الشريعة هذا اي القران او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه
الفلاح وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة والمعنى الهمزة فيها انكار الحسبان
والاجتراح الاكتساب منه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين امنوا وعملوا
الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه
ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم
سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص
سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان
للثاني فحال منه او استيناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني
وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا
في الرزق والصحة في الحيوة او استيناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى
والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء
ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض
بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي
انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات
ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة
مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عذاب

وتسمية ذلك ظلما ولو فعل الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتداء
والاخبار افرايت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه
يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه
واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه
وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الايات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين
الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد
اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة او الحال الا حياتنا الدنيا
التي نحن فيها نموت ونحيى اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك او نموت
بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض او يصيبنا الموت والحيوة
فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة
الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره
اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها
على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه
بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات الدلالة
على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به
الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم
او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا
امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة
لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة
على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالايات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان
بابائهم لكن الحكمة اقتضت ان لا يعادوا الى يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة
بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم ويومئذ
بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على
الركب وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى
الى كتابها صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول
ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف
اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم
بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون
اعمالكم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها
الجنة ذلك هو الفوز المبين لظهوره لخلوصه عن الشوائب واما الذين كفروا

افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم تاتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف القول
والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم
قوما مجرمين عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن
هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب
عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن
الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه
كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما
نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من ابائهم
وما تليت عليهم من الايات في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت
عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
وهو الجزاء وقيل اليوم ننسيكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم
هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأويكم
النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا استهزأتم
بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون
منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون يطلب منهم ان يعتبوا
ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
اذ الكل نعمة منه الدال على كمال القدرة وله الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيهما
اثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له
عن النبي عليه السلام من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف وهي اربع وقيل خمس وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة
والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازات على ما قررناه مرارا
واجل مسمى اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو آخر
مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون
ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارايتم ما تدعون
من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال
آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم فتستحق
به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احترازا عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد

الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القران فانه ناطق بالتوحيد
او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة
او الامر به ان كنتم صادقين في دعويكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا
بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة لان المناظرة تثير المعاني
واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات الثلث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة مصدر
اثر الحديث اذا رواه والمكسورة من الاثرة والمضمومة اسم ما يوثر به ومن اضل ممن يدعو
من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع
المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم
ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة اي ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم
اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء
يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال
وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شانه والمراد به الايات
ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق
وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتامل هذا سحر مبين
ظاهر بطلانه ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه
وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله
بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب
من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح
في اياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب
والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة
لمن تاب وامن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل
بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات
كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتاكيد النفي
المشتمل على ما يفعل بي وما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل
اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار
عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا
الا نذير عن عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة
قل ارايتم ان كان من عند الله اي القران وكفرتم به اي وقد كفرتم به ويجوز ان يكون الواو
عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطفه

بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته
ما في التورية من نعت الرسول على مثله مثل القران وهو ما في التورية من المعاني المصدقة
للقران المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فامن اي بالقران لما راه من جنس الوحي
مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر
بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين
وقال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم لو كان الايمان او ما اتى به محمد خيرا ما سبقونا اليه
وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموالي ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد
واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم
يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه
وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله من قبل القران وهو خبر لقوله كتاب موسى
ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق كتاب موسى او لما بين يديه
وقد قرئ به لسانا عربيا حال من كتاب في مصدق او منه لتخصيصه بالصفة وعاملها
معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه
حق دل على انه وحي وتوفيق من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربي
باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد
الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف
على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم
والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تاخير رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد
فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى
الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل
العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام
اي جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرا الكوفيون احسانا وقرئ حسنا
اي ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة
وقرا الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم
والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه
قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك عبر به كما عبر
بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان
لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة
اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك
وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط
حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين

سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد الاربعين **قال رب اوزعني** الهمني واصله اولعني من اوزعته
وقرأ البزي بفتح الياء بكذا **ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي** يعني نعمة الدين
او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر رضه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه
من المهاجرين والانصار سواه **وان اعمل صالحا ترضيه** نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا
من الجنس يستجلب رضاء الله عز وجل **واصلح لي في ذريتي** واجعل لي الصلاح ساريا
في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي **اني تبت اليك** عما لا ترضاه او يشغل عنك
واني من المسلمين المخلصين لك **اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا** يعني طاعتهم فان
المباح حسن ولا يثاب عليه **ويتجاوز عن سيئاتهم** لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون
فيهما **في اصحاب الجنة** كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم **وعد الصدق الذي**
مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد **كانوا يوعدون** اي في الدنيا **والذي قال**
لوالديه اف لكما مبتدأ خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر
قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات ذكرت في سورة بني اسرائيل
اتعدانني ان اخرج اي ابعث وقرأ هشام اتعداني بنون واحدة مشددة **وقد خلت القرون**
من قبلي فلم يرجع واحد منهم **وهما يستغيثان الله** يقولان الغياث بالله منك ويسألانه
ان يغيثه بالتوفيق للايمان **ويلك آمن** اي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث
على ما يخاف على تركه **ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين** اباطيلهم التي
كتبوها **اولئك الذين حق عليهم القول** بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن
لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه **في امم قد خلت من قبلهم**
كقوله في اصحاب الجنة **من الجن والانس** بيان للامم **انهم كانوا خاسرين** تعليل للحكم على الاستئناف
ولكل من الفريقين **درجات مما عملوا** مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا
والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب **وليوفيهم اعمالهم** جزاءها وقرأ
نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون **وهم لا يظلمون** بنقص ثواب وزيادة
عقاب **ويوم يعرض الذين كفروا على النار** يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم
فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض **اذهبتم** اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما
يقرآن بها وبهمزتين مخففتين **طيباتكم** لذائذكم **في حياتكم الدنيا** باستيفائها
واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء **فاليوم تجزون عذاب الهون** الهوان وقد قرئ به
بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق
عن طاعة الله وقرئ بالكسر **واذكر اخا عاد** يعني هودا **اذ انذر قومه بالاحقاف**
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا
يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن **وقد خلت النذر** الرسل **من بين يديه**

ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض **الا تعبدوا الا الله** اي لا تعبدوا
فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته **اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** هائل بسبب شرككم
قالوا اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا **عن آلهتنا** عن عبادتها **فأتنا بما تعدنا** من العذاب
على الشرك **ان كنت من الصادقين** في وعدك **قال انما العلم عند الله** لا علم لي بوقت
عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له
وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ **ولكني اريكم قوما تجهلون**
لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين **فلما رأوه عارضا**
سحابا عرض في افق من السماء **مستقبل اوديتهم** متوجها اوديتهم والاضافة فيه لفظية
وكذا في قوله **قالوا هذا عارض ممطرنا** اي يأتينا بالمطر **بل هو** اي قال هود بل هو **ما استعجلتم**
به من العذاب وقرئ قل بل **ريح** هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما **فيها عذاب اليم** صفتها
وكذا قوله **تدمر** تهلك **كل شيء** من نفوسهم واموالهم **بامر ربها** اذ لا يوجد نابضة
حركة ولا قابضة سكون الا بمشيته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد
سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا
او الهاء في ربها ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا
لا يتقدم ولا يتأخر وتكون الهاء لكل فانه بمعنى الاشياء **فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم**
اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم
وقرأ حمزة وعاصم والكسائي لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن **كذلك**
نجزي القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت
الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت
عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر **ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه** ان نافية وهي احسن
من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة
الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة
كما في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق لقوله
هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا **وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة**
ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها **فما اغنى عنهم**
سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل **اذ كانوا يجحدون**
بآيات الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب
على ما اضيف اليه وكذلك حيث **وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** من العذاب
ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة **من القرى** كحجر ثمود وقرى قوم لوط **وصرفنا الآيات**
بتكريرها **لعلهم يرجعون** عن كفرهم **فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله**
قربانا آلهة فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون الى الله حيث قالوا هؤلاء

شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذ الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة
بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا
بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال
وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد
للمبالغة وآفكهم اي جعلهم آفكين وآفكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وما كانوا يفترون
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون
القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه اي القرآن او الرسول عليه السلام قالوا انصتوا
قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل
وهو ضمير الرسول عليه السلام ولوا الى قومهم منذرين اي منذرين اياهم بما سمعوا روي
انهم وافوا رسول الله عليه السلام بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده قالوا
يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا
او ما سمعوا بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق من العقائد والى طريق
مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض
ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم
هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم
والاظهر انهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض
اي لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين
حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض
ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع
بالايجاد بقادر على ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة
لتاكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير
تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ
اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر
مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض
واولوا العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها
ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل
الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم
على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على
الجب والسجن وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وايوب على الضر وموسى قال له قومه

انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم
اي لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها
ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده
انه قرئ بلغ وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه
ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك
الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها
من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد صلعم وتسمى سورة القتال سبع او ثمان وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا
عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين
قريش او المصرون من اهل الكتاب وقيل هو عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم
كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضائعة محبطة بالكفر او مغلوبة
مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل
ما عملوه من الكيد لرسول الله عليه السلام والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار
دينه على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار والذين
آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به
تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق
من ربهم اعتراضا على طريقة وحقيته بكونه ناسخا ولا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل
وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم
الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتاييد ذلك اشارة
الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره بان الذين كفروا اتبعوا
الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع
هؤلاء الحق وهذا تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك
الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين واحوال الناس
او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم
واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة
فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب
منابه مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي

ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم
قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم
والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اى فاما تمنون منا واما تفدون
فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا
فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق ومنسوخ
عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل والاسترقاق وقرئ فدا
كعصا حتى تضع الحرب اوزارها الاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع
اى ينقضى الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل اثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب
شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او المن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام
جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى ذلك اى الامر
ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بالاستيصال ولكن
ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا
الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم
عن الكفر والذين قاتلوا فى سبيل الله اى جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اى استشهدوا
فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يَضِل من ضل ويُضَل على البناء للمفعول سيهديهم
الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم
فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله
ويهتدى اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها
لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه
ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة
مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى
فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين
كفروا او مفسرة لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله
القران لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص
وتصريح بسببية الكفر بالقران للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا
بانه يلزم الكفر بالقران ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم دمر الله عليهم استاصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم
واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع الضمير امثالها امثال تلك العاقبة
او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله تعالى سنة الله التى قد خلت
ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع
العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله موليهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك

ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا
يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا وياكلون كما تاكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة
والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك
على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع
العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده
وهو القران او ما يعمه والحجج العقلية كالنبى عليه السلام والمؤمنين كمن زين له سوء عمله
كالشرك والمعاصى واتبعوا اهواءهم فى ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة
التى وعد المتقون اى فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدا خبره كمن هو خالد
وتقديره امثل اهل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف
استغناء بجرى مثله تصويرا لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى
بمكابرة من يسوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد
فى هذه الجنة كمن هو خالد فى النار او بدل من قوله كمن زين له وما بينهما اعتراض لبيان
ما يمتاز به من على بينة فى الاخرة تقريرا لانكار المساواة فيها انهار من ماء غير آسن
استيناف بشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء
بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير اسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون
فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تانيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز
وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه
الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى ذلك تمثيل لما يقام مقام الاشربة فى الجنة بانواع
ما يستلذ منها فى الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها
واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم
عطف على الصنف المحذوف او مبتدا خبره محذوف اى لهم مغفرة كمن هو خالد فى النار
وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع
اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعنى المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسمعون كلامه اذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اى لعلماء الصحابة ماذا قال
آنفا ما الذى قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له اذانهم تهاونا به
وانفا من قولهم انف الشى لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استانف وائتنف
وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير فى قال وقرئ انفا اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزؤا بها وتهاونوا بكلامه والذين
اهتدوا زادهم اى زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول هدى وآتاهم تقويهم
بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقويهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينظرون

غيرها ان تاتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ
ان تاتيهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى ان تاتهم الساعة
بغتة لانه قد ظهر لهم اماراتها كمبعث النبي وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اى تذكرهم
اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية
وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف
المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ما له تبعة
بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثويكم في العقبى
فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا
نزلت سورة اى هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه
فيها وذكر فيها القتال اى الامر به رايت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين
وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم
افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول
اليه امرهم طاعة وقول معروف استينافا اى امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم
او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر جد وهو لاصحاب الامر واسناده
اليه مجاز وعامل الظرف محذوف فلو صدقوا الله اى فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الايمان
لكان خيرا لهم الصدق فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم
على الناس او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
تناصروا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من تغاور ومقاتلة
مع الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك
منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم فهذا لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به
وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب ان توليتم اى ان تولاكم ظلمة خرجتم
معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع
اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم
عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القرآن يتصفحونه
وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها
ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب
لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها
ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة
مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا

على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات
الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء
وقيل حملهم على الشهوات من السؤل وهو التمني وفيه ان السؤل مهموز قلبت همزته
واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سُوّل
على تقدير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني
او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب واملي لهم فيكون الواو للحال
او الاستيناف وقرأ ابو عمرو وأُملي لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم
ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اى قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم
نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الامر
في بعض اموركم او في بعض ما تامرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم
ان اخرجوا والتظافر على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله
عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف
يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تائيه
يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له
ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول
وعصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره من الطاعات فاحبط
اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين
اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم
بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في
لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل
للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم
اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين على مشاقها ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها
او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة
بالياء لتوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى قريظة والنضير
او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته
وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك
او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء
عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به
هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات

بالكناية ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
عام في كل من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر
لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى
الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى بمعنى دعا وقرأ ابو بكر
وحمزة بكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم
ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه
من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها
وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقويكم ولا يسألكم اموالكم جميع
اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره ان يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب
الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استأصله
تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم على رسول الله عليه السلام والضمير في يخرج لله تعالى
ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ ويخرج بالياء والتاء ورفع
اضغانكم ها انتم هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون قوله تدعون لتنفقوا
في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة
الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الاية المتقدمة
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن
وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء
فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف
على وان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم مقامكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم
في التولي والزهد في الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه السلام عنه وكان سلمان الى جنبه
فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار او اهل اليمن او الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة محمد عليه السلام كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح نزلت في مرجع رسول الله صلعم من الحديبية تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير
عنه بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية
وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به
رسول الله لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية
آية عظيمة وهي انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان
معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرفت كونه فتحا للرسول في سورة الروم

وقيل الفتح بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح
من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس
الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة ما تقدم
من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصلح ان يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين
وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم
الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف
بصفة مبالغة هو الذي انزل السكينة الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين
حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم
برسوخ العقيدة واطمينان النفوس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول
ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر ولله جنود السموات والارض
يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته
وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات
والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها
فيدخلهم الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل
او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم
يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى
ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين
بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء
ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم
وهما لغتان غير ان المفتوحة غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر
وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه
في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن
والاعداد بسبب الغضب لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت
مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك
شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله
الخطاب للنبي والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية
دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا
غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ وتعزروه
بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه وتوقروه من اوقره

بمعنى وقرئ ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم
حال او استئناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه
فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى في مبايعته فسيؤتيه
اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليهُ بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح
فسنؤتيه بالنون والاية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب
هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله عام الحديبية فتخلفوا
واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف
من مقاتلة قريش ان صدوا شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالنا
وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته
وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف
وقرأ حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله
بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون
الى اهليهم ابدا بان ظننتم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات
كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن
فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور
والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو سائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما
بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان
بالله وبرسوله فهو كافر وبانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة
ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل
تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون
يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها يعني مغانم خيبر ذرونا نتبعكم
فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام في المدينة بقيتها واوائل
المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم يريدون
ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة
مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب
في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي
كذلكم قال الله من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم
في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا

وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا تبعوهم
واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين
من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف
ستدعون الى قوم اولي بأس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين
اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم
او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضه اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح
انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا
والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف
جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف
نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته
ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا
انفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي
الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فحبسوه فارجف بقتله
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة
وبايعهم بان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكانوا جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم
ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع
او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة
يأخذونها يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله
مغانم كثيرة تأخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر
وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفاءهم من بني اسد وغطفان او ايدي قريش
بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم من الله
بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم
او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف او عجل مثل ليسلموا او لتأخذوا
او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل
عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها
مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها
بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس

وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين
كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا
ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى
من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف
ايديهم عنكم ايدي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم
اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله
خالد بن وليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح
فاستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله
بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء
بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ
محله يدل على ان ذلك عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ الهدي وهو فعيل بمعنى
مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد به مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي
لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض به
حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم
وتبيدوهم قال ووطئتنا وطأ على حنق وطأ المقيد ثابت الهرم وقال عليه السلام ان آخر
وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبي عليه السلام واصله الدوس
وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم
معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار لكم بذلك
والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم
اي تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا
اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم
ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين
اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير او الاسلام من يشاء من مؤمنيهم
او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين
كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا
او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ما روي انه عليه السلام
لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع
من عامه على ان يخلي له قريش مكة من القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام
لعلي رضه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا

ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت
وما قاتلناك فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا فانزل
الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم
محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى
لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرها واهلها والمستأهل لها وكان
الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى عليه السلام
انه واصحابه دخلوا مكة آمنين فقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا
وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا وما قصرنا ولا
رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة
في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف
اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه
وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه
وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد
او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قال له ملك الرؤيا او النبي
لاصحابه آمنين حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا
بعضهم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك
فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تأخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون دخولكم المسجد
وفتح مكة فتحا قريبا فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام
ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان
باطلا او بتسليط المؤمنين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه
تأكيد لما وعد من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار
المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صلى الله
عليه وسلم صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدا والذين معه معطوف عليه وخبرهما
اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون
على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
تراهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث
في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود
بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة
يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشان فيها ومثلهم في الانجيل

عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع
خبره اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان
شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل
حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة وهي المعاونة
او من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر فأزره كأجر في آجر فاستغلظ فصار من الدقة
الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه
بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهذا مثل ضربه الله للصحابة
قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا
فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم رأسا او لا
ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم
بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا
لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله
وذكر الله تعظيما له واشعارا بانه من الله بمكان يوجب اجلاله فاتقوا الله في التقديم
او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض
من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه
وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء
مزيد الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة
الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي
عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط
وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه
وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه
فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي
قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة
وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله

مراعاة للادب او مخافة من مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر رضي بعد ذلك كانا يسرانه
حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها
او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف
او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى
فانها لا تظهر الا باصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه
من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم
والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم
بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول
بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا
بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة
الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف المبتدأ
والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة
من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة
والقبضة والمراد حجرات نساء النبي عليه السلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم
من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات
متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن
حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة
وهو راقد وقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به
او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب والمراعاة للحشمة
سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم
حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك
وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة
بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها
بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم
بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من
حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول
اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف
والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين
تعظيم رسول الله عليه السلام يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق

وكان بينه وبينهم إحنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت
وقيل بعث اليهم بعده خالد بن وليد فوجدهم منادين للصلوة متهجدين فسلموا اليه
الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وفي تعليق الامر بالتبين على فسق
المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه
وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتب
يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا
الى ان تتبين لكم الحال ان تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم
فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب
هذه الاحرف الثلثة دائرة مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد
مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر
لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى
ان فيكم رسول الله على حال يجب تغيرها وهي انكم تريدون ان يتبع رأيكم في الحوادث
ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه
بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره
اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم
الايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد وبصفة من لم يفعل ذلك
منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون
اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يتعدى بنفسه الى مفعول واحد
فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر
تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا
من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله
والرشد وان كان مسببا من فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد
فضل من الله وانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل
وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى
فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت احديهما
على الاخرى اي تعدت عليها فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكم الله
او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها
من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله
وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا
واعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت

في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وهي تدل
على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله وانه
يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث
انهم منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير
للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر
موضع المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر
لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم
واخوانكم واتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها
الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن
خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا
عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع
لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال الله تعالى الرجال قوامون
على النساء وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء
بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى
باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا
ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا
فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز
فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب
ولا يدعو بعضكم بعضا باللقب السوء فان النبز مختص باللقب السوء بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين اي يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان
واشتهارهم به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية
نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت
يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز
فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون
بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم
انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن
بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين
وما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستأنف للامر والاثم
الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا
ولا تبحثوا عن عورات المسلمين من التجسس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء

من الجس الذي هو اثر الحس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب
بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل النبي عليه السلام عن الغيبة
فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب
احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه
مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في
غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا وتعقيب ذلك
بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا
فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده
نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة
في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم
او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه
الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما
فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه
للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم
شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة
تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب
بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء
والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم
فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام
من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي
كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب آمنا
نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون
لرسول الله اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة
ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا
لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام
انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول
لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذا النظم احترازا

من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل
الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا ولم يواطئ قلوبكم
السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم
لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم من الالت
وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه
في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط
عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله
ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال
والانفس تصلح للعبادة المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا
في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات
وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه
لما نزلت الآية المتقدمة جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك
ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها
اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا
علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او لتضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن
عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم
بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله
اي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به
فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن
عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات
والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم
وقرأ ابن كثير بالياء لما في الآية عن الغيبة عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن
ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه
وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو
ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم
وهذا اشارة الى اختيار الله تعالى محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار
بتعنتهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة

والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهماً ان كانت الاشارة الى مبهم
يفسره ما بعده او مجملاً ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله
لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار
لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه أإذا متنا وكنا ترابا اي انرجع اذا متنا
وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اي بعيد من الوهم او العادة او الامكان
وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تأكل من اجسادهم وهو رد
لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام
وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل
علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها بثبوتها
في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القرآن
لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك
قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء
فوقهم الى آثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب
وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها
والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدائع صنعه وهما علتان للافعال
المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع
فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد
كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون
من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات
لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضها فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة
ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به
بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة
يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد
وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط اخوانه لانهم
كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل
اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليهم
وعيدي وفيه تسلية للرسول وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابداء حتى نعجز
عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس من خلق
جديد اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف
لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف

ولا

ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه
وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت
موصولة والباء مثلها في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد
تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال
والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان يكتنفان
بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا
لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر او متعلق باقرب اي هو اعلم بحاله
من كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ
الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد
يثبط العبد عن المعصية وتأكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم يقوم الاشهاد
عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله فاني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل
للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه
الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب
او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها
ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات
لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث والجزاء
وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام
الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل
والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود
الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت
بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها الشدة التي اقتضتها الزهوق او الاستعقاب لها
كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل
وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للانسان
ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد
وانجازه والاشارة الى المصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما
يسوقه والاخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات
والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل
معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا
على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة او للكافر فكشفنا

عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات
وقصور النظر عليها والالف بها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل
الخطاب للنبي والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم
القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء
والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب
عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها
باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر
بعد خبر او خبر محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين
من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل كقوله فان تزجراني يا ابن عفان
ازجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى
الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع
للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما
منع بني اخيه عنه معتد مريب شاك بالله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر مبتدأ متضمن
معنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتاكيد
او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استؤنف
كما يستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته
كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف
على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه
ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراي
مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي الله
لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استيناف مثل الاول وقد
قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال
فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى
تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي اي بوقوع
الخلف فيه ان ابدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل
العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم
نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير
والمعنى انها مع اتساعها يطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ كقوله لاملأن
او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها
وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء
والمزيد اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنقول فيكون ذلك اشارة

فلا يفتقر

فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد
ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر
او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب
او مصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة
الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل
او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره
ادخلوها على تاويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول
او صفة لمصدر اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب
بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته
وخافوا عذابه او بانهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة
اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله
وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن
فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في
البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء
على الاول للتسبب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه
هل من محيص اي هل لهم من الله او الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم
في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا
على الامر بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم
او اخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب
اي قلب واع يتفكر في حقائقه او القى السمع اواصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه
ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه
تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت
اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت
واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر
على خلق العالم بلا اعياء قدر على خلقه والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه
وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم
عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت
فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه فسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلاة
جمع دبر وقرأ الحجازيان وحمزة بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلوة

فالصلوة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد
وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما اخبرك به
من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادى المنادى اسرافيل او جبرئيل
فيقول يا ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن
لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء ولعله في الاعادة
نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه
والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم
الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت
في الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق تتشقق وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
وخلف وابو عمرو بتخفيف الشين الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع
علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر
لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن
اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم
على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فانه لا ينتفع
به غيره عن النبي عليه السلام من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب
وغيره او النساء الولود فانهن تذرين الاولاد او الاسباب التي تذرى الخلائق من الملائكة
وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة
للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على
تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية
في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اي جريا ذا يسر
فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم
من اسباب القسمة او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة
فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينهما من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا
فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجرى
به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب القسم
كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على
البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات
الحبك ذات الطرق والمراد اما الطرق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها

النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشى
طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون
والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم
لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون
او في القرآن او في القيمة او الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم
في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه
من افك يصرف عنه والضمير للرسول او القرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه
وكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير
للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وسببه كقوله ينهون عن اكل وشرب
اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش
كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف
واصله الدعاء بالقتل اجرى مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون
عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان
بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون
او هو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع
ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب
هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين
في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم
حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل
لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة
اي يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في
قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان يكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها
وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات
والهجوع الذي هو الفرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة
هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم
وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه
وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس
للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض
آيات للموقنين اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو
والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع
تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم

اى وفى انفسكم ايات اذ ما فى العالم شىء الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به
من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة
واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون
نظر من يعتبر وفى السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب
وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة
او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مستانف خبره فورب السماء
والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الايات
والرزق والوعيد مثل ما انكم تنطقون اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم فى انكم تنطقون
ينبغى ان لا تشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن فى لحق او الوصف لمصدر
محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما
ان كانت بمعنى شىء وان بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق
ويؤيده قراءة حمزة والكسائى وابى بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابرهيم فيه تفخيم
لشان الحديث وتنبيه على انه اوحى اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد
والمتعدد قيل كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلثة جبرائيل واسرافيل وميكائيل وسماهم ضيفا
لانهم كانوا فى صورة الضيف المكرمين عند الله او عند ابرهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته
اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اى نسلم عليكم سلاما
قال سلام اى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن
من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرا حمزة والكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم
منكرون اى انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن
تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم فى خفية من ضيفه
فان من ادب المضيف ان يبادر له بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل
سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اى منه
وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله
اول ما وضعه وللانكار ان قاله حيث ما راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا
لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا
للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبرائيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى
لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته
سارة الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم فى صرة فى صيحة من الصرير ومحله النصب على
الحال او المفعول ان اول فاقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع
جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت
عجوز عقيم انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذى بشرنا به قال ربك انما نخبرك به

عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون
لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر
مسومة مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهى العلامة عند ربك للمسرفين
اى المجاوزين الحد فى الفجور فاخرجنا من كان فيها فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها
لكونها معلومة من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل
بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى
الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات
المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها آية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون
بها وهى تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفى موسى عطف على وفى الارض
او تركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه
الى فرعون بسلطان مبين وهو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به
كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشىء ويتقوى به
وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اى هو ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا
الى الجن وتردد فى انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم
فى اليم فاغرقناهم فى البحر وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير
فى فاخذناه وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت
دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهى الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شىء اتت عليه
الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفى ثمود اذ قيل لهم
تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا
عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اى العذاب بعد الثلث وقرأ الكسائى الصعقة وهى
المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام
كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا
منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر
ويجوز ان يكون عطفا على محل فى عاد ويؤيده قراءة ابى عمرو وحمزة والكسائى بالجر من قبل
اى من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر
والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة
والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض
فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون اى نحن ومن كل شىء من الاجناس
خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان
الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد

وملازمة الطاعة اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين كونه منذرا
من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم
ما يجب ان يفر اني لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة
والثاني على الاشراك كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم
اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به
اي كان الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم
طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول
مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة
فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ
وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه
او من آمن فانها تزداده بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم
على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل
على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
وقيل معناه الا لنأمرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد
ان يطعمون اي ما اريد ان اصرفكم في تحصيل رزق فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به
والمراد به ان يبين ان شانه مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا
بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله
هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا
الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا
ذنوبا اي للذين ظلموا الرسول صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب
اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء
فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيامة او يوم بدر عن النبي عليه السلام
من قرأ والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وهي تسع او ثمان واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينا وهو جبل بمدين سمع فيه
موسى كلام الله والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد
او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة
والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف
والحكم او ما تكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه
الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت
المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة
وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف
المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت
روي ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا يسجر بها جهنم او المختلط من السجير
وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه
الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره
وضبطه اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد في
المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف لواقع وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه
الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض
يلعبون اي في خوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف
وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ
يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر
محكية هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي
هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم
لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم
ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها
فاصبروا او لا تصبروا ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها
سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه
لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان المتقين في جنات
ونعيم اي في اية جنات واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين
متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب
الجحيم عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن
في الظرف او الحال من فاعل او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا
او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل
الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هناكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر
مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق
او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الاقتران والقران
ولذلك عطف والذين آمنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل
انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر

ويعقوب ذرياتهم للمبالغة في كثرتهم والتصريح بان الذرية يقع على الواحد والكثير وقرأ
ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير
او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او للاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان
الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روي عنه عليه السلام قال ان الله تعالى
يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وقرأ نافع وابن عامر
والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل
ان يكون بنقص مرتبة الاباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم
وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت
وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين
بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما
يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم يتنازعون فيها
يتعاطونهم وجلساؤهم بتجاذب كأسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله
لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به
فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان
بالفتح ويطوف عليهم بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين
سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام
والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل
في اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله
علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم
وقرئ ووقّانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله
الوقاية انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة انه الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت
على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون
كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر
وقيل المنون الموت فعول من منّه اذا قطعه قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص
هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم احلامهم عقولهم بهذا التناقض في القول فان
الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر ذا كلام موزون متسق
مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون
مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا
يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن
ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن تحدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة

بالتحدي

بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء
ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة
ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله
ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الايات منقطعة ومعنى الهمزة فيها
الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله
اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا
النبوة من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته الحكمة ام هم المسيطرون
الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون
فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت
مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون
فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا من ان يكون ممن يترقى
بروحه الى عالم الملكوت فيتطلع على الغيب ام تسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم
من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح
المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة
برسول الله فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل
على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد ويعود
عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله
يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه وان يروا
كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا
سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم
حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ
ابن عامر وعاصم يصعقون على البناء للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم
كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله
وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الاخرة وهو
عذاب القبر او المؤاخذة في الدنيا كقتل بدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون
واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا في حفظنا بحيث
نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد
ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلوة ومن الليل فسبحه فان العبادة
فيه اشق على النفس وابعد عن الريا ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم
واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه
عليه السلام من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وهي احدى او اثنتى وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا
فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيمة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح
اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا نزل او النبات
اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد صلى الله عليه
وسلم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما
ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقران عن الهوى ان هو ما القرآن
او الذي ينطق به الا وحي يوحى الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له
واجيب عنه بانه اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر
لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل
فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها
وصاح صيحة فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورايه فاستوى فاستقام
على صورته الحقيقية التي خلق الله عليها قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد عليه السلام
مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق
الاعلى افق السماء والضمير لجبريل ثم دنى من النبي فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول
وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل
عن محله وتقريرا لشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله
من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان جبريل كقولك هو مني مقعد الازار
او المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود
تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما يوحى اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده
عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى به
او الله اليه وقيل الضماير كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق
ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس
ما كذب الفؤاد ما رأى ما رأى ببصره من صورة جبريل او الله اي ما كذب بصره بما حكاه له
فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه
لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقيل ما رآه بقلبه
والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه السلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي
وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء
وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة فان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه
وقرأ الكوفيون غير عاصم ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته

او افتجحدونه من مراه اذا جحده وعلى تضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد
يقصدان بفعليهما غلبة الخصم ولقد رآه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول
اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول
ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها
على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم
الخلايق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي
شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة
المأوى التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير
لما يغشيها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدد وقيل يغشيها الجم الغفير من الملائكة
يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه
وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي
امر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي لقد
رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية
بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات
ربه او من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت
لهم لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون
وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل
كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث
اليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل
وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين
ومنه منى وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كانهم يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله
الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله تعالى يطير بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة
الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات
هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة
حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكن كسر فاؤه ليسلم الياء
كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم تأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه
مصدر نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها
عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي يصفونها
بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها
باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها
تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم سميتم بها وآباؤكم بهواكم ما انزل الله

بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه
حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم
الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
للانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الالهة وقولهم لئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا انزل القران على رجل من القريتين عظيم ونحوها
فلله الاخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم
شيئا ولا تنفعهم الا من بعد ان ياذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة ان تشفع
او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم
ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى
بان سموها بنات وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية ان
يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي حقيقة الشيء لا يدرك
الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون
وصلة اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته
والاهتمام بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت
منتهى همته ومبلغ علمه لا يزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك
اي امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقررة
لقصور همتهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى
تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم
اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين
اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل
عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم
لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم
او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو
ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم
على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل
وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة
او المدح او الرفع على انه خبر مبتدا محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر
باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين
ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله
هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم

علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدا خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم
في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة
عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم
افرايت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء
من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها
نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه السلام فعيره بعض المشركين وقال تركت
دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان
اعطى له بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب فهو يرى
يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى وفر واتم
ما التزمه وامر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله
غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال
اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه
اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية كانت اشهر واكثر عندهم
الا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا من ما
في صحف موسى او الرفع على هو ان الا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه
لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل
نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام
من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك في الدلالة
والتسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى
الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة
والحج تنفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه ثم يجزيه الجزاء الاوفى اي يجزى
العبد سعيه بالجزاء الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه
بيجزى والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر
على انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات
واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده
بفعل الله تعالى على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى
تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشاة الاخرى
الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر
نشا وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتاثل من الاموال وافرادها لانها
اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى يعني العبور
وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول صلى الله عليه وسلم

وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول عليه السلام ابن ابي كبشة
ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا
في عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح عليه السلام
وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عاد الولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها
الى لام التعريف وقرا نافع وابو عمرو في رواية ورش عادا لولى بادغام التنوين في اللام وقالون
كذلك مع جعل الواو همزة وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرا عاصم وحمزة
بغير تنوين ويقفان بغير الالف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف فما ابقى الفريقين
وقوم نوح ايضا عطف عليه من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين
لانهم كانوا يوذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والموتفكة والقرى
التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها
فغشيها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك
والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء
من قبل ما في نقمة من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير
من النذر الاولى اي هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول منذر
من جنس المنذرين الاولين ازفت الآزفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في قوله تعالى
اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت او ليس لها
من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن هذا
الحديث يعني القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم
وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع راسه او مغنون
لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه
دون الالهة عن النبي عليه السلام من قرا والنجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه السلام وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيمة ويؤيد الاول
انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله
وان يروا آية يعرضوا عن تاملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم
راوا قبله آيات اخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته
فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى
وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما
بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من الخذلان

او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر
وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف
على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الآخرة
ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال
والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها
وهو بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة
فيجوز نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غنى يغني النذر
وهو جمع النذير بمعنى المنذر او المنذر منه او المصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك
بان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله
كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار
اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيمة وقرا
ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث
اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله
غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرا ابن كثير وابن عامر ونافع وعاصم
خشعا وانما حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة
تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فيكون الجملة حالا كانهم جراد
منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم
او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل تكذيب قومك
فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوا تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا
منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوا بعدما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون
وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي هو مجنون وقد ازدجرته
الجن وتخبطته فدعا ربه اني باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبني قومي فانتصر
فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر
مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء
منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرا ابن عامر ويعقوب
ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة
واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن
لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله في الازل
من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل من السماء على قدر ما اخرج من الارض
او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب
عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهو صفة للسفينة اقيمت مقامها

من حيث انها تشرح لها تؤدي يؤديها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان
كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى ورحمة على امته
ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كان كفر اي جزاء للكافرين
ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر فهل من مدكر
معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فكيف كان عذابي ونذر
استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه
او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ
والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي
ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
باردا او شديد الصوت في يوم نحس شؤم مستمر اي استمر شؤمه واستمر عليهم حتى اهلكهم
او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا واشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر
تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم
الريح منهم وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض
قيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل
على اللفظ والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل
وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم
لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا
من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع
على الابتداء والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون
اشرافهم نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم
اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة االقي الذكر الكتاب
والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع
علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر
الذي اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة
ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر
في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها
او باعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر
على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء
كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن
سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف

فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم
صيحة واحدة صيحة جبرئيل عم فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي
يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته
في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم
بالحجارة اي ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا
انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم
لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا متشاكين ولقد راودوه
عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه
روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرئيل عليه السلام صفقة فاعماهم فذوقوا عذابي
ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او على ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ
بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم
الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل
قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة
مستدع للادكار والاتعاظ واستينافا للتنبيه والايقاظ كيلا يغلبهم السهو والغفلة
وكذا تكرير قوله فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل
فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها يعني
الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر
العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة ومكانة ودينا عند الله ام لكم براءة
في الزبر ام نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من عذاب الله ام يقولون
نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر
ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار
وافراده لارادة الجنس او لان كل احد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل
النبوة وعن عمر انه لما نزلت قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله عليه السلام
يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما
يحيق بهم في الدنيا فمن طلايعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى
لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران
في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم
ذوقوا حر النار وايلامها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف
من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شيء مقدرا
مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده

وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق
المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار
لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد
بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح البصر في اليسر والسرعة
وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم
في الكفر ممن كان قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة
وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر
وانهار اكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وضم النون
والهاء بضم النون وسكون الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ
في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام
عن النبي عليه السلام من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله تعالى يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران لما كانت السورة مقصورة على تعداد
النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها
وهو انعامه بالقران وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشا الشرع واعظم الوحي
واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه
قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان
وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم
الشرع واخلاء الجمل الثلث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد
الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك
امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم
النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان ينقادان لله تعالى
فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال
واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابق
ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه
يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات
احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة
محلا ومرتبة فانها منشا اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء
ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم
امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف به

مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث
انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت
ويعرف المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا
فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود
من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا
بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار
واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح
فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل
ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم والجذع والثمر والحب
ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس
كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله وقرا
ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اي واخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف
وقرا حمزة والكسائي والريحان بالخفض وما عدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو
ياء وادغمت ثم خففت وقيل روحان قلب واوه ياء للتخفيف فباي آلاء ربكما تكذبان
الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال
كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى
آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب
وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل
للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار
خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين
مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي
لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك
مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب
يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما
خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى او من الارض لا يبغيان
لا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق
ما بينهما فباي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره
وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه
يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما
كالمخرج منهما وقرا نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ونخرج بنصب اللؤلؤ

والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء
ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع
او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج
او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان
من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب
لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها من على الارض من الحيوانات او المركبات
ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات
وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله تعالى اي الوجه
الذي يلي جهته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي
آلاء ربكما تكذبان اي مما ذكرنا قبل من بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء
رحمة وفضلا او مما رتب على فناء الكل من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم المقيم
يسأله من في السموات والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر
ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره
كل يوم هو في شأن كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي
الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود
ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما
وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكما
وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك
لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي
بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما
على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي آلاء ربكما
تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله تعالى فارين من قضائه فانفذوا
فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك
او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون
ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فبأي آلاء ربكما تكذبان
اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد
العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكم
شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه
نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس
بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف

فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز
بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت السماء
فكانت وردة اي حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد
كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة نحو الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن
وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان
مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي فيوم تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا
على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع
والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان
اي مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم
من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذ بالنواصي تارة و
بالاقدام اخرى فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون
بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون
منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف
مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه
او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه
ومقام مقحم للمبالغة كقوله ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف
الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد
جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها
وآخر يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان
ذواتا افنان انواع من الاشجار والاثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي
تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي آلاء
ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاءا في الاعالي والاسافل قيل احداهما التسنيم
والاخرى السلسبيل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب
ومعروف او رطب ويابس فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق
من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين
او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع
وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان
تدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة
من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن
على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن

وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فبأي آلاء ربكما تكذبان
كأنهن الياقوت والمرجان في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فبأي آلاء ربكما
تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما
تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين
المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان
خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين
الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه
دلالة على ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان
فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده فبأي آلاء ربكما
تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة
النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء احتج به ابو حنيفة على ان من حلف
لا يأكل فاكهة فأكل رطبا او رمانا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات
اي خيرات فخفف لان خير الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق
والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة
قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن في الخيام
فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الاوليين وهم
لاصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف
وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل
ثوب عريض وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون
اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فبأي آلاء ربكما تكذبان
تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه يطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة
او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة
للاسم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيمة سماها الواقعة
لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة
اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله
قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق وليس لها حينئذ نفس
تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه
في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع

آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض
اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال
في الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم
ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست
الجبال بسا فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت
وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا
اصنافا ثلثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب
الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المشأمة
واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة
واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحايفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم
او اصحاب اليمن والشوم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء
مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر
مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون والذين سبقوا الى الايمان
والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات
او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم
وشعري شعري او الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم الذين
قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين اي هم كثير
من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم عليه السلام الى محمد عليه السلام وقليل من الآخرين
يعني امة محمد عليه السلام ولا يخالف ذلك قوله ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون
سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله
في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية
احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر
موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت
او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير
في على سرر يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم
باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق اناء
له ذلك وكأس من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف
عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون وفاكهة
مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان
او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات
بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم

ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حوراً كامثال اللؤلؤ
المكنون المصون عما يضربه في الصفا والنقا جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل ذلك
كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغواً باطلا ولا تاثيماً ولا نسبة الى الاثم
اي لا يقال لهم اثمتم الا قيلا اي قولا سلاماً سلاماً بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها
لغواً الا سلاماً او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاماً او مصدر والتكرير
للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب
اليمين في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله
من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة
الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا
يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب
سائل كانه لما شبه حال السابقين في التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب
اليمين باكمل ما يتمنا لاهل البوادي اشعاراً بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة
الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة لا تمتنع عن متناولها بوجه وفرش
مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها
على الارائك ويدل عليه قوله انا انشاناهن انشاء ابتدأناهن ابتداء جديداً من غير ولادة
ابتداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطاً رمصاً جعلهن الله
بعد الكبر اتراباً على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكاراً فجعلناهن ابكاراً
عرباً متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله
اتراباً فان كلهن بنات ثلاث وثلثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشانا
او جعلنا او صفة لابكاراً او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة
من الاخرين وهي على الوجه الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم
في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود يفعول
من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفي بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح
انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم
الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب
ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا
تراباً وعظاماً ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقاً وخصوصاً
في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله او آباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك
اشد انكاراً في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون
وقرا نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون
لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والاخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات

يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها
الضالون المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون من
شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع
فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه
على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم
الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة
فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الرمال على انه
جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به
ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد
هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم
وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم
بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق
بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة افرايتم ما تمنون
اي ما تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة اذا امناها
ءانتم تخلقونه تجعلونه بشراً سوياً ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه
عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وقرا ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين
لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا
اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام
وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم
فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون فنخلق
او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون ان من قدر عليها
قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعاً لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال
وفيه دليل على صحة القياس افرايتم ما تحرثون تبذرون حبه ءانتم تزرعونه تنبتونه
ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاماً هشيماً فظلتم تفكهون
تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي فتتحدثون فيه
والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر
وظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا
من الغرام وهو الهلاك وقرا ابو بكر ائنا على الاستفهام بل نحن اي قوم محرومون حرمنا
رزقنا او محدودون لا مجدودون افرايتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح
للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه
اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء

جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب
ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او للاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص
ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه
النعم الضرورية افرايتم النار التي تورون تقدحونها انتم انشاتم شجرتها ام نحن
المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة
في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم ومتاعا منفعة
للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام
من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر
اسمه او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر
بالتسبيح لما عدد من بدايع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحد لوحدانيته
الكافر لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عددها من النعم فلا اقسم
اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا
فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف
المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها
والدلالة على وجود مؤثر لا يزال تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القران
ومواقعها اوقات نزولها وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم
القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو
اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة
انه لقران كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد
او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون
لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القران
الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ
المتطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار
لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقران وهو مصدر نعت به
وقرئ بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القران انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن
في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون
اي بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اي تجعلون شكركم لنعمة القران انكم
تكذبون به وتكذبون اي بقولكم في القران انه سحر وشعر او في المطر انه من الانواء فلولا
اذا بلغت الحلقوم اي النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر
والواو للحال ونحن اقرب ونحن اعلم اليه الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو
اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير مدينين

غير مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب
للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه
بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم
غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله تعالى وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين
في تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من
المقربين اي ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة
لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم
واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اي من اخوانك
يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم
بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم
وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا الذي ذكر في السورة او في شان
الفرق لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه
عما لا يليق بعظمة شانه عن النبي عليه السلام من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض ذكر ههنا
وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان
ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات
ومجيء المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح
من كل شيء وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحته في نصحت له اشعارا
بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدا
للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد لهما والمتصرف فيهما يحيي ويميت
استيناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور في قوله له وهو على كل شيء من الاحياء والاماتة
وغيرهما قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها
ومحدثها والاخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو
الاول الذي تبتدئ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات او الاول خارجا والاخر ذهنا
والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها
العقول او الغالب على كل شيء والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين
والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء عليم يستوي عنده الخفي والظاهر هو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض
كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة

وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم
عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض ذكره مع
الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها امنوا بالله
ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله خلفاء
في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف
فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم
اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم
على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله وما تصنعون غير مؤمنين به
كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اي عذر لكم
في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والايات وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله
ميثاقكم بالايمان قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم
وقرا ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه
هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم اي الله او العبد من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤوف رحيم حيث نبهكم بالرسل والايات
ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا واي شيء لكم في ان لا تنفقوا
في سبيل الله فيما يكون قربة لكم اليه ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما
ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب
كان اولى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان
لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا
على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق
محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله
وقلت الحاجات الى المقاتلة والانفاق من الذين انفقوا من بعد اي من بعد الفتح وكلا
وعد الله الحسنى اي وعد الله تعالى كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرا ابن عامر
وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم
بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والاية نزلت في ابي بكر رضه فانه اول من آمن وانفق
في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه
وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي يعطي
اجره اضعافا له وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه
ينبغي ان يتوخى ويطلب وان لم يضاعف فكيف وقد تضاعف اضعافا وقرا عاصم

فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى وكانه قال ايقرض الله احد
فيضاعفه له وقرا ابن كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب يضعفه منصوبا
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعف او مقدر باذكر
يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء
يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اي يقولون لهم من يتلقاهم
من الملائكة بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات
المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا
انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا
اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنورهم بين ايديهم وقرا حمزة انظرونا
على ان اتئادهم ليلحقوا بهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا
فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى
الموقف فانه من ثمة يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا
وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين
بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة
لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن
معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم
بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء
امر الله هو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم
فدية فداء وقرا ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم
النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة
خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو
مئنة للكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب
او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتوليكم كما توليتم موجباتها
وبئس المصير النار الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يات وقته يقال
انى الامر يانى انيا وانا وانا اذا جاء اناه وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى والم يان روي
ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا
عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الاخر
ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله تعالى وقرا نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ
انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرا رويس بالتاء والمراد
النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي طال

عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد
وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون بما في كتابهم من فرط
القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر
والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الآيات
لعلكم تعقلون كي يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات
وقد قرئ بهما وقرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا
الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا
وعلى الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم
معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر
والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي اولئك
عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا
جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل
والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة
شهيدا او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين
والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان
لهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود بالنار
مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة
عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا اعني ما يتوصل به الى الفوز
الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه
انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم
وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر
بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه
مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات
انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله تعالى لانهم اشد اعجابا بزينة
الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر
لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار
حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا
وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا
مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض

السماء والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل
المراد به البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه
دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل
العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض
كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة
في علم الله تعالى من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او الانفس
ان ذلك ان ثبته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا
اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم
الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرا ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل
ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطبعها واما حصولها
وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم
لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله ان الله لا يحب كل
مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالتي السراء والضراء الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره محذوف
مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق
فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه
بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرا نافع وابن عامر
فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات
بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوى
به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه
والامر باعداده وقيل انزل الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع
به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آلات الحروب متخذة منه
ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله
باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال
يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن
في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم
بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتاب
وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليه ارسلنا
مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة

لمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة في الضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا
وقفينا بعيسى بن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح
وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من
الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية اي وابتدعوا
رهبانية ابتدعوها او ورهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة
والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب
كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب
وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع
اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى
ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه
مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا
لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها اي فما رعوا جميعا حق رعايتها
بضم التثليث والقول بالاتحاد والقصد للسمعة والكفر بمحمد عليه السلام ونحوها اليه
فآتينا الذين آمنوا اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد
عليه السلام منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حالة الاتباع
يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة عليهم السلام اتقوا الله فيما نهيكم عنه وآمنوا
برسوله بمحمد عليه السلام يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد عليه السلام وايمانكم
لمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل
الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في قوله
يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم
لئلا يعلم اي ليعلموا ولا مزيدة انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء
اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا
مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او
لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا
ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل
لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله تعالى
ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت
وادغم النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي
الى الله روي ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت
رسول الله عليه السلام فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت
لصغر اولادها وشكت الى الله فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول او المجادلة
يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكويها ويفرج كربها ادغم حمزة والكسائي وابو عمرو
وهشام دالها في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب
الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظاهرون منكم من نسائهم
الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء
تشبيهها بجزء محرم اخر وفي منكم تهجين فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل
يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون
من ظاهر ما هن امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن
في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول عليه السلام وعن عاصم امهاتهم
بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا
من القول اذ الشرع انكره وزورا منحرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله
لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظاهرون من نسائهم
ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو
بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يسعه
مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض
وعند ابي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع
وعند الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار
وكانوا يظهرون في الجاهلية وهو قول الثوري وبتكراره لفظا وهو قول الظاهرية
او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة
استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء
للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة
مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر
والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة
ذلك قبل التكفير ذلكم اي ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية
الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية فمن لم يجد
اي الرقبة والذي غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا
فان افطر لغير عذر لزم الاستيناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها
ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك فمن لم يستطع اي الصوم

لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابي المفرط ان يعدل لاجله فاطعام
ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله عليه السلام وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في
الكفارات وجنسه المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطى كل مسكين نصف صاع من بر
او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الاخرين او لجوازه في خلال
الاطعام كما قال ابو حنيفة ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله نصب بفعل
معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه
ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين
لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين
يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير حد الاخر او يضعون
او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا كما كبت اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب
الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا ايات بينات تدل على صدق
الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله
منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم
بما عملوا اي على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصاه الله احاط به عددا
لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء
الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى
ثلثة ما يقع من تناجي ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل
ثلثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى
الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة
من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة ولا
نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الاية
نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلثة اول الاوتار او لان
التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث متوسط بينهما وقرئ ثلثة وخمسة
بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اقل
مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرا يعقوب ولا اكثر
بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى بان جعلت لا لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه
بالاشياء ليس بقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة
تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحق به من الجزاء ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته
المقتضية للعلم الى الكل على سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا
عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم
اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون

بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص
بمعصية الرسول وقرا حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى
واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام او انعم صباحا والله سبحانه
وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله
بما نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد عليه السلام نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها
يدخلونها وبئس المصير جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا
بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله
الذي اليه تحشرون فيما تاتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى
بالاثم والعدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين امنوا
بتوهمهم لانها في نكبة اصابتهم وليس الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين
شيئا الا باذن الله الا بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض
من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم
بالجمع او مجلس رسول الله فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا
على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق
والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلوة او جهاد
او ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرا نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله
الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الاخرة
والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العمل
والعلم فان العلم مع علو درجته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى
بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة
البدر على جميع سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه
يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا
قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول عليه السلام وانتفاع الفقراء والنهي
عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف
في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ااشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل
نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت
اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق
للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي ذلك
التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله

فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اى لمن لم يجد حين رخص له فى المناداة بلا تصدق ادل
على الوجوب ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجويكم صدقات اخفتم الفقر من تقديم الصدقة
او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة
التناجى فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار
بان اشفاقكم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منكم مما قام مقام توبتكم واذ على بابها وقيل
بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلا تفرطوا فى ادائهما واطيعوا الله ورسوله
فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا
الم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعنى اليهود ما هم منكم ولا منهم
لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام
وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على ان الكذب
يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى انه عليه السلام كان فى حجرة من حجراته فقال
يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق
وكان ازرق فقال له عليه السلام على ما تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه
فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا
يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اى التى حلفوا بها وقرئ بالكسر
اى ايمانهم الذى اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله
فصدوا الناس فى خلالها منهم عن دين الله تعالى بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين
وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لن تغنى عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق
مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اى لله تعالى على انهم مسلمون كما يحلفون لكم
فى الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شىء لان تمكن الكذب والنفاق فى نفوسهم
بحيث يخيل اليهم فى الاخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله تعالى كما تروجه عليكم
فى الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب
والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى من حذت الابل
وحذوتها اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله
لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد
ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين فى جملة من هو اذل خلق الله تعالى
كتب الله فى اللوح لاغلبن انا ورسلى بالحجة وقرأ نافع وابن عامر رسلى بفتح الياء ان الله
قوى على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه فى مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اى لا ينبغى ان تجدهم وادين اعداء الله تعالى والمراد

انه لا ينبغى ان يوادوهم ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان
المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اى الذين لم يوادوهم كتب فى قلوبهم الايمان اثبته
فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه
وايدهم بروح منه اى من عند الله تعالى وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو
وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها رضى الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب
اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون
بخير الدارين عن النبى عليه السلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وهى اربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز
الحكيم روى انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر
يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا
ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر عليه السلام محمد بن مسلمة
اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا
اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل شىء
قدير هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اى فى اول حشرهم
من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او فى اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام
وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر اليها او فى اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم فانهم يحشرون
اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب
والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم وظنوا انهم
مانعتهم حصونهم من الله اى ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر
واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم
انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتيهم الله اى عذابه
وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم
اى العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف فى قلوبهم الرعب
واثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على
المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وايدى المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون
ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين
مسبب عن بغيهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرأ ابو عمرو
يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشىء خرابا

والتخريب بالهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على شيء
غير الله تعالى واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها
عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب الاصولية ولولا ان
كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل الله ببني قريظة
ولهم في الآخرة عذاب النار استيناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا
من عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد
العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير
ما قطعتم من لينة اي شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين
ومعناه النخلة الكريمة وجمعها ليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة
قائمة على اصولها وقرئ اصُلها اكتفاء بالضمة عن الواو وعلى انه جمع كرُهُن فباذن الله
فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي فعلتم او واذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم
بما غاظهم منه روي انه عليه السلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد
في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت فاستدل به على جواز هدم ديار الكفار
وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له
او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم
ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة فما
اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب
ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد في بني النضير
فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله عليه السلام
فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة
كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم
والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله
على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر
الآية ويصرف سهم الله تعالى في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى
للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه السلام الى الامام على قول والى العساكر والثغور
على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم
الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كيلا يكون
الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء
ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دَولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او الاخذة
غلبة بينهم ودولة بالرفع على كان التامة اي كيلا يقع دولة جاهلية وما آتاكم الرسول

وما اعطاكم من الفيء او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة
وما نهاكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة الرسول
عليه السلام ان الله شديد العقاب لمن خالف للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى
وما عطف عليه فان الرسول عليه السلام لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى
خصص الابدال بما بعده والفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال
مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم و
اموالهم اولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوؤا الدار
والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا
فيهما او قيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول
وعوض عنه اللام او تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا
وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين
وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم
ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما يحمل عليه الحاجة
كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطى المهاجرون من الفيء وغيره
ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان
نزل عن واحدة وزوجها عن احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء
وهي فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض
الانفاق فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين
جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم
المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل اي لاخواننا
في الدين في قلوبنا غلا للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم فحقيق بان تجيب
دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة او الموالاة لئن اخرجتم من دياركم
لنخرجن معكم في قتالكم وخذلانكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي من رسول الله والمؤمنين
وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون
ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك
فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة
واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون
بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون

لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول
في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا
فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون
لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم
اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين متفقين الا في قرى محصنة بالدروب
والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار وامال
ابو عمرو وفتحة الدال بأسهم بينهم شديد اي ليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد
بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى
متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم
وان تشتت قلوبهم يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر
او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان
قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا
ولهم عذاب اليم في الآخرة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود
على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور
فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك
كما قال اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها
وذلك جزاء الظالمين والمراد بالانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد
وقرئ عاقبتهما على انهما الخبر لكان وخالدان على انه الخبر لان وفي النار لغو يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد يوم القيمة سماه به لدنوه
او لان الدنيا كيوم والآخرة كغده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال
الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله
تكرير للتأكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم
لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا
الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها
ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم
الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الذين
استكملوا نفوسهم واستأهلوا للجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به
اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا
هذا القرآن على جبل لرأيته تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه
بقوله خاشعا متصدعا من خشية الله فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ

الانسان على عدم عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ
مصدعا على الادغام وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله
الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية
واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم
القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس
البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة
من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح يعني المؤمن به
على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز
الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر حاله بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل
ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه في شيء من ذلك
هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت
المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء
واخواتها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني
يسبح له ما في السموات والارض لتنزهه عن النقايص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع
للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي عليه السلام من قرأ
سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله عليه السلام يغزو اهل مكة
كتب اليهم ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل
جبرئيل عليه السلام فبعث رسول الله عليه السلام عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد
وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة
فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل علي السيف
فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله عليه السلام حاطبا وقال عليه السلام ما حملك عليه
فقال ما كفرت منذ اسلمت وما غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش
وليس لي فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه
رسول الله عليه السلام وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء
مزيدة او اخبار رسول الله عليه السلام بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة
لاولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل
وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اي من مكة

وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب
المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم
عن اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط
محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استيناف معناه
اى طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم
اى منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم
اى يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطاه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم
اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء
ما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ
الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شئ وان ودادتهم حاصلة وان يثقفوكم لن تنفعكم
ارحامكم اى قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل
بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر
عنكم غدا وقرا حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقرا ابن عامر
يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه
قد كانت لكم اسوة حسنة اسم لما يؤتسى به في ابرهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان
ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم
ظرف لخبر كان انا برءاؤا منكم جمع برئ كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وآلهتكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء
الفة ومحبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان
استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان تاتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها
اياه وما املك لك من الله من شئ من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء
جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء
او امر من الله تعالى للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا
ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي
لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التاسي بابرهيم ولذلك صدر
بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الاخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن
ان يترك التاسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم

فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله
غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهيكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اى لا ينهيكم عن مبرة هؤلاء
لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اى العدل
ان الله يحب المقسطين العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة
على بنتها اسماء بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت انما ينهيكم
الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة
فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين
بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها
يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب
على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في
قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب
بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن
الى الكفار اى الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير
للمطابقة والمبالغة او الاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستيناف وآتوهم
ما انفقوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم
رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روى انه عليه السلام
كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها
مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت
فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام
حال بينهن وبين ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر
بما يعتصم به الكافرات من عقد ونسب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام
على نكاح المشركات وقرا البصريان ولا تمسكوا بالتشديد واسئلوا ما انفقتم من مهور
نسائكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات
ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الاية يحكم بينكم استيناف او حال من الحكم على حذف
الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما يقتضيه حكمته وان
فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شئ من ازواجكم احد من ازواجكم وقد قرئ به
وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شئ من مهورهن الى الكفار فعاقبتم
فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك
تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقبون في الركوب
وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها

الكافر وكان لما نزلت الاية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت
وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة فاتوا بدل الفائت من الغنيمة
واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضى التقوى منه يا ايها النبى اذا
جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام
لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن
اولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
ولا يعصينك فى معروف فى حسنة تامرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول عليه السلام
لا يامر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك
بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم
يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعنى عامة الكفار او اليهود
اذ روى انها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم
قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول عليه السلام
المنعوت فى التورية المؤيد بالايات كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا
او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبى
عليه السلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مكية وهى اربع عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض
وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى
ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله
ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله فولوا يوم احد ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية
والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما فى الدلالة
على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض
ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم
مبالغة فى المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا مصطفين مصدر
وصف به كأنهم بنيان مرصوص فى تراصهم من غير فرجة حال من المستكن فى الحال الاولى
والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر
او كان كذا يا قوم لم تؤذوننى بالعصيان والرمى بالادرة وقد تعلمون انى رسول الله اليكم
بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه
وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل
الى الصواب والله لا يهدى القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق

او الى الجنة واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى عليه السلام
لانه لا نسب له فيهم انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التورية ومبشرا فى حال
تصديقى لما تقدمنى من التورية وتبشيرى برسول يأتى من بعدى والعامل فى الحالين
ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد
يعنى محمدا عليه السلام والمعنى ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب
المشهورة الذى حكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات
قالوا هذا سحر مبين اشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة
حمزة والكسائى هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام ومن اظلم ممن افترى على الله
الكذب وهو يدعى الى الاسلام اى لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيقته
المقتضى لخير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية
اياته سحرا فانه يعم اثبات المنفى ونفى الثابت وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه كلمسه
والتمسه والله لا يهدى القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون
ليطفئوا اى يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيه من معنى الارادة تأكيدا لها
كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا
نور الله يعنى دينه او كتابه او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ
غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة ولو كره
الكافرون ارغاما لهم هو الذى ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق
والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان كلها ولو كره المشركون
لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
فى سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف مبين للتجارة وهو جمع بين الايمان والجهاد
المؤدى الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جئ بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك
ذلكم خير لكم يعنى ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم
اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر
او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون
ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم
جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم
الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة
نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفى تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل
اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول
بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقرئ بما عطف عليه بالنصب خبر محذوف

وقرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل
وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون
فانه في معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا يا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله
بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان
وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله تعالى كما قال عيسى ابن مريم
للحواريين من انصاري الى الله اى من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال
الحواريون نحن انصار الله فالاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما
من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد
قل لهم كما قال عيسى عم او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري
الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به من الحوار وهو البياض كانوا اثنى عشر
رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة اى بعيسى فايدنا الذين آمنوا على
عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى عم فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض
الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي
بعث في الاميين اى في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن رسولا منهم من جملتهم
او اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منهم قراءة ولا تعلم
ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والشريعة
او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل
لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم
وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم من معلم وان هي المخففة واللام يدل عليها وآخرين منهم
عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين
فان دعوته وتعليمه تعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز
في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله
ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية
والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعم الآخرة مثل الذين حملوا
التورية علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها كمثل
الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحملها والعامل فيه
معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله

اى مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون
الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها
الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون
نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية
الى دار الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا
من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه
وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لا تفوتونه
لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقه
بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا
نودي للصلوة اى اذا اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس
فيه للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوى لاجتماع الناس فيه
اليه واول جمعة جمعها رسول الله عليه السلام انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها
الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله
فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلوة
والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم
اى السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون
الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها
فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر
بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة
وحضور جنازة وزيارة اخ في الله تعالى واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم
ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها روي انه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس
اليهم الا اثنى عشر رجلا فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد
باللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض
لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها
والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا
راوا تجارة انفضوا اليه وتركوك قائما اى على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو
ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما يتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين
فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وهى احدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التاكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبى فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم امنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او آمنوا اذا راوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله عليه السلام فى نفر من امثاله فيعجب بهم ويصغى الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور فى قولهم اى تسمع لما يقولون مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن النظر والعلم وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى نخر جوفها شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرا ابو عمرو والكسائى وروى عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورايتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم فى الكفر ان الله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر والنفاق هم الذين يقولون اى للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله يعنون فقراء المهاجرين حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل

روى ان اعرابيا نازع انصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى راسه بخشبة فشكا الى ابن ابى فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله عليه السلام وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات مصدرا وحالا على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون لفرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكورة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اى اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للآخرة من قبل ان ياتى احدكم الموت اى يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتنى امهلتنى الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء حملا على المعنى والمعنى ان اخرتنى اكن وقرا ابو عمرو واكون بالنصب عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرا ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله فى الغيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وهى ثمانى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شئ قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذى خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصايص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص

ببعض الاغذية الم يأتكم ايها الكافرون نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود
وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل
على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك
اى المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشان كانت تأتيهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا
والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى
الله عن كل شئ فضلا عن طاعتهم والله غنى عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده
كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين
وقد قام مقامهما ان مع ما في حيزها قل بلى اى بلى تبعثون وربى لتبعثن قسم اكد به الجواب
ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة و
حصول القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد والنور الذى انزلنا يعنى القرآن
فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير
فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ليوم الجمع
لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن
يعنى يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس
مستعار من تغابن القوم في التجارة واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقى هو التغابن
في امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اى عملا صالحا
يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك اشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله
الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كأنها والآية المتقدمة
بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته
ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه
بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اى يسكن
والله بكل شئ عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم
فانما على رسولنا البلاغ المبين اى فان توليتم فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ
وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل
منه يقتضى ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا
غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك
التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم

يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله
عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى لهم فاتقوا الله
ما استطعتم اى ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا
اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اى افعلوا ما هو خير لها
وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره
انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امر قرضا حسنا مقرونا
بالاخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور
يعطى الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شئ
العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبى عليه السلام من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق مدنية احدى او اثنى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبى اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب
بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم
تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اى وقتها
وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتأقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام
بمحذوف مثل مستقبلات فظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة
بالاقراء ينبغى ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم
النهى عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهى لا يستلزم الفساد كيف وقد صح
ان ابن عمر لما طلق امرأته حائضا امره عليه السلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا
العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن
لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن ولا يخرجن
باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين
دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان يأتين
بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان يبذون على الزوج فانه كالنشوز
في اسقاط حقها او الا ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثانى للمبالغة في النهى
والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدرى اى النفس
او انت ايها النبى او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة
برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن

بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء
الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم
على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله تعالى واشهدوا
اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود
عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في
الاية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق
بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة
واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان
يجعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه
لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث
لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام اني لاعلم آية
لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن مالك
الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله عليه السلام فقال اتق الله واكثر قول لا حول
ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل
عنها العدو فاستاقها وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع ومن يتوكل على الله فهو
حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة
وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا
او مقدارا او اجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت
الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن
ثلاثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة
اللائي لا يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اي واللائي لم يحضن بعد كذلك واولات
الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى
عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من المحافظة على عموم قوله والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل
ههنا بخلافه ثم ولانه صح ان سبيعة بن الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال
فذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام فقال قد حللت فتزوجي ولانه متأخر النزول فتقديمه
تخصيص وتقديم الاخر بناء العام على الخاص والاول راجح للعمل للوفاق عليه ومن يتق الله
يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله
انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات

يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من
مكان سكناكم من وجدكم من وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم
ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان كن اولات حمل
فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق
النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع
علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف وليأتمر بعضكم
بعضا بجميل في الارضاع والاجر فان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امرأة
اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما آتاه الله اي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا
الا ما آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك
وعد له باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكاين من قرية
اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت اعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا
شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة
وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها
وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير
للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها في قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب
ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحايف الحفظة
وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني
بالذكر جبرائيل عم لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور في السموات
او ذا ذكر اي شرف او محمدا عليه السلام لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله
بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به
القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا والرسول مفعوله او بدلا على انه بمعنى
الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين آمنوا
في قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين آمنوا بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم
عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من
الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجيب
وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن
الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر
يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله
على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا

منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عليه السلام
خلا بمارية في يوم عايشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية
فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عايشة سودة وصفية فقلن له انا نشم
منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله
او استيناف ببيان الداعي اليه والله غفور رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك
محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته
بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشية حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنا
فيها واحتج به من راى التحريم مطلقا او تحريم المراة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب
كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين كما قيل والله موليكم
متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر النبي
الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده
لابي بكر وعمر رضه فلما نبات به فلما اخبرت حفصة عايشة بالحديث واظهره الله
عليه واطلع النبي عليه السلام على الحديث على افشائه عرف بعضه عرف الرسول عليه السلام
حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازيها على بعضه
بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا
غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب للسبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله
فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا
الى الله خطاب لحفصة وعايشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما
فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول
بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرا
الكوفيون بالتخفيف فان الله هو موليه وجبريل وصالح المومنين فلن يعدم
من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله تعالى ناصره وجبريل رئيس الكروبيين
قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون
وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وقوله بعد ذلك
تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا
خيرا منكن على التغليب وتعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في
النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع
لا يجب وقوعه وقرا نافع وابو عمرو يبدله بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات

او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات
عن الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول سائحات صائمات سمي الصائم
سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف
بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات
والابكار يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بالنصح
والتاديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على
تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب
عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال
او غلاظ الخلق شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة
لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون
عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا
اليوم لا عذر لهم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخول النار والنهي
عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا بالغة في النصح وهو صفة للتائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به
على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب
وقرا ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات
والثبوت تقديره ذات نصوح او ينصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل
علي عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض
الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربي نفسك
في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل
والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله النبي
ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم
وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط يقولون
اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل
يتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد
الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم
اذ بلغ الرفق مداه وماويهم جهنم وبئس المصير جهنم او ماويهم ضرب الله مثلا للذين
كفروا امرات نوح وامرات لوط مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون
بما بينهم وبين النبي عليه السلام والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا من الله

شيئاً فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل ادخلا اى لهما عند موتهما او يوم القيمة
النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء
وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين
لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله تعالى مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله تعالى
اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة قريبا من رحمتك
او فى اعلى درجات المقربين ونجنى من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيئ
ونجنى من القوم الظالمين من القبط التابعين له فى الظلم ومريم ابنة عمران عطف
على امرأة فرعون تسلية للارامل التى احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه فى فرجها
وقرئ فيها اى فى مريم او الحبلة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل
وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتبه
فى اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة
الله وكتابه اى بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة
والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم يقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت
من جملتهم او من نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبى عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل
من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد عليه السلام وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه السلام
من قرأ سورة التحريم اتاه الله تعالى توبة نصوحا

[illegible] تسمى الواقية والمنجية لانها تقى وتنجى قارئها من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى بيده الملك بقبضة قدرته
التصرف فى الامور كلها وهو على كل شىء قدير على كل ما يشاء قدير الذى خلق الموت
والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسب ما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا
فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون
ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسنكم عقلا واورعكم عن محارم الله
واسرعكم فى طاعة الله جملة واقعة موقع ثانى مفعولى لفعل البلو المتضمن معنى العلم وليس هذا
من باب التعليق لانه يخل بها وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما
اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذى لا يعجزه من اساء العمل الغفور
لمن تاب منهم الذى خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر
طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصفت به او طوبقت طباقا او ذات
طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى فى خلق الرحمن
من تفاوت وقرأ حمزة والكسائى من تفوت معناهما واحد كالتعاهد والتعهد

وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض
ما فى الآخر والجملة صفة ثانية للسبع ووضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم
والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان فى ابداعها
نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول عليه السلام او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر
هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب اى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة
اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها
ما ينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين
اى رجعتين اخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك
وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن
اصابة المطلوب كأنه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة
وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات من الارض بمصابيح بكواكب
مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة
فى سموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها
رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب
المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون
والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير فى الآخرة
بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم
وبئس المصير وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير اذا القوا
فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهى تفور تغلى بهم غليان المرجل بما فيه
تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز
ان يراد غيظ الزبانية كلما القى فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم يأتكم
نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شىء ان انتم الا فى ضلال كبير اى فكذبنا الرسل وافرطنا
فى التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال
فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اى اهل انذار او منعوت به
للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد
مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء لكل فوج منا رسول الله
فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة
القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا او عقابه الذى يكونون فيه وقالوا
لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبل جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم
بالمعجزات او نعقل فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا فى اصحاب السعير

في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب
لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله تعالى
سحقا اي ابعدهم من رحمته والتغليب للمبالغة والايجاز والتعليل وقرأ الكسائي
بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد
او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم
واجر كبير يصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات
الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر
من اوجد الاشياء حسب ما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر
من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول
ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم فيخبر الله تعالى به رسوله فيقولون
اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد عليه السلام فنبه الله تعالى على جهلهم هو الذي جعل لكم
الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جبالها او جوانبها
وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل
الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه
والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم
من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تاويل من في
السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا ان الله في السماء وعن ابن كثير
وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وآمنتم بقلب الثانية الفا وهو
قراءة نافع وابو عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون
وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب
ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون
كيف نذير اي كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم به حينئذ ولقد
كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية
للرسول عليه السلام وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات
اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها
اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك
عدل به الى صيغة الفعل للفرق بين الاصيل في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن
في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال
وخصائص هيأهن للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر
العجائب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا
على معنى اولم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف

وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله
ام لهم الهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم
اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدا وهذا خبره والذي بصلته صفته
وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا
الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم
بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا
على وجهه اهدى يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله تعالى السحاب
فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع
لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف
اجزائه ولذلك قابله بقوله امن يمشي سويا سالما من العثار على صراط مستقيم مستوي
الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل
الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل
ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى
فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار
ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع
لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا صنائعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا
قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذرأكم في الارض
للجزاء واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب
ان كنتم صادقين يعنون النبي والمؤمنين قل انما العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع
عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر عنه فلما
رأوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اي قرب منهم سيئت وجوه الذين
كفروا بان عليها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون
تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى
قل ارأيتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتأخير آجالنا فمن يجير
الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب
لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي ادعوكم اليه مولى النعم كلها آمنا به
للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع
وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو في ضلال مبين منكم
ومنا وقرأ الكسائي بالياء قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض بحيث لا تناله
الدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة الملك فكأنما احيا ليلة القدر

سورة النون مكية وهي اثنى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به
الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه
شيء اشد سوادا من النفس الذي يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف
والقلم هو الذي خط اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي
النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا
اتصلت بها وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون
وما يكتبون والضمير للقلم بمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد
الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولى العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية
او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك
بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل مجنون والباء لا يمنع عمله
فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال والابلاغ
غير ممنون مقطوع او ممنون عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك
لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمل امثالك وسئلت عائشة رض عن خلقه
عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر
ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على
ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين
ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين
تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم
فيه احيانا فيدهنون يلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اي ودوا
التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون
حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه
جواب التمني ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الرأي من المهانة
وهي الحقارة هماز عياب وطعان مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع
للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم
كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد
من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل
هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله
في ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين

اي قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول
قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اي لا تطع من هذا
مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر أان كان على الاستفهام
غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اي لأن كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان
ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي
وفي بعض النسخ على ان شرطية الغنى كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد فيكون
قوله كالتعليل خبر ان عن قتل الاولاد وان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يسارا
لانه اذا اطاع الغني فكأنه شرطه في الطاعة سنسمه اي بالكي على الخرطوم على الانف
وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال
كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسم
وجهه يوم القيامة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا
كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم
ما اخطأه المنجل او القته الريح او بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء
كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها
وقت الصباح خفية من المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها
داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه
من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لا اخرج
ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان
يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدأ منه وهم
نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل
بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس
سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين
ان اغدوا على حرثكم اي اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى
اما لتضمن معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن معنى الاستيلاء
ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم
وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم
مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول
المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين
على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها
والمعنى انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها
الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع

ويل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله يتلاومون
وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اى غدوا
الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول ما راوها
قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هى بها بل نحن اى بعد ما تاملوا وعرفوا انها هى
محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا اوسنا الم اقل لكم
لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك
فيدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لا يستثنون فسمى استثنا
تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجرى فى ملكه ما لا يريد فاقبل بعضهم
على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه
ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم
ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون
الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذى
بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه
لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اى فى
الآخرة او فى جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل
المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد
ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا ما لكم كيف تحكمون
التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج
راى ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه
وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئت باللام كسرت ويجوز ان يكون
حكاية للمدروس او استيناف وتخير الشئ واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا
عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها
احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة
لا تخرج من عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم
لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك
زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم فى هذا القول فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه فى هذه الآيات
على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل على استحقاق او وعد او محض تقليد
على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء
يجعلونهم مثل المؤمنين فى الآخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله تعالى نفى بهذا ان يكون

مما يشاركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق
مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت
الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث
يصير عيانا مستعار من ساق الشجر او ساق الانسان وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف
بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة او للحال ويدعون الى السجود توبيخا على ترك
السجود ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع
فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم
ذلة يلحقهم ذل وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون
متمكنون منه فزاحوا العلل فيه فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث كله الى فانى اكفيكه
سنستدرجهم سنستدنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد
النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليه لانهم حسبوه تفضيلا لهم
على المؤمنين واملى لهم وامهلهم ان كيدى متين لا يدفع بشئ وسمى انعامه استدراجا
بالكيد لانه فى صورته ام تسئلهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون
بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون
ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن
كصاحب الحوت يونس اذ نادى ربه فى بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا فى الضجرة
فيبتلى ببلوته لولا ان تداركه نعمة من ربه يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل
للفصل وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان
يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود
من الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتبيه
ربه بان رد الوحى اليه او استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الوقعة فجعله
من الصالحين من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل
على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله عليه السلام ان يدعو على ثقيف وقيل باحد
حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم
ان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون شزرا بحيث يكادون
يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع
لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان فى بنى اسد عيانون فاراد بعضهم
ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر
والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته
فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اى يهلكونك لما سمعوا الذكر اى القرآن اى ينبعث
عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة فى امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر

للعالمين لما جننوه لاجل القران بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل
الناس عقلا وامتنهم رأيا عن النبي عليه السلام من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها او التى
تحق فيها الامور اى تعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد
المجازى وهى مبتدأ خبره ما الحاقة واصله ما هى اى اى شىء هى على التعظيم لشأنها والتهويل
لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة واى شىء اعلمك
ما هى اى انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتدأ وادريك خبره
كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار
والانتشار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة وهى الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة
او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد
فاهلكوا بريح صرصر شديدة الصوت او البرد من الصر والصر عاتية شديدة العصف
كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها سخرها عليهم
سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت
من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام
حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت
كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا
على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة
بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا
لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى الثامن
فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها فى مهابها او فى الليالى والايام صرعى
موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متأكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية
من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله اى ومن تقدمه وقرأ البصريان
والكسائى ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات
قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ
فعصوا رسول ربهم اى فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة فى الشدة
زيادة اعمالهم فى القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك
فى الطوفان وهو يؤيد من قبله حملناكم فى الجارية فى سفينة نوح عم لنجعلها لكم لنجعل
الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته

وكمال قدرته ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها
بكتف والوعى ان تحفظ الشىء فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غيرك اذن واعية
من شانها ان تحفظ ما يجب حفظها بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير
للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم
وقرأ نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة لما بالغ فى تهويل القيمة
وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن
اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد
الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم وحملت
الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح
عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل
هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك
سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتى لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية
فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملائكة
فهى يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على ارجائها
جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها
الى اطرافها وحواليها فان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك
فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها فى نية التقديم
يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روى مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم
الله تعالى باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله ولعله ايضا
تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام
وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف
احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان يوما اسما لزمان متسع يقع فيه
النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار
صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة منكم على الله تعالى حتى يكون العرض
للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة فى العدل او على الناس كما قال
يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائى بالياء للفصل فاما من اوتى كتابه بيمينه تفصيل
للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه هاء اسم لخذ وفيه لغات اجودها ها يا رجل
وها يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف
وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى
اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف
وتسقط فى الوصل فاستحب الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل

انى ظننت انى ملاق حسابيه اى علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح
فى الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات التى لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا
فهو فى عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا
وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم فى جنة عالية مرتفعة المكان
لانها فى السماء او الدرجات او الابنية او الاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى
بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول
وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم
من الاعمال الصالحة فى الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا واما من اوتى كتابه
بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر
ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التى متها كانت القاضية القاطعة لامرى
فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضيت على كانه صادفها
امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حياة الدنيا الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى
عنى ماليه مالى من المال والتبع وما نفى والمفعول به محذوف او استفهام انكار مفعول
لاغنى هلك عنى سلطانيه ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا
خذوه يقوله الله تعالى لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم
وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
اى طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق
لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام
بذكر انواع ما يعذب به يوم القيمة وثم لتفاوت ما بينهما فى الشدة انه كان لا يؤمن
بالله العظيم تعليل على طريق الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق
للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على
بذل طعامه فضلا ان تبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك
الحض بهذه المنزلة فكيف تارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع
ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقايد الكفر بالله تعالى واشنع الرذائل
البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من
غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون
اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطا المضاد للصواب وقرئ
الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه
عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف
بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات
باسرها انه ان القران لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول عليه السلام لا يقول عن نفسه

كريم على الله تعالى وهو محمد عليه السلام او جبرئيل وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة
قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم
ولا بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا ولذلك يلتبس
الامر عليكم وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لان عدم مشابهة
القران للشعر امر بين لا ينكرها الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف
على تذكر احوال الرسول ومعانى القران المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم
وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان
جبرئيل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف
والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك
لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه بضرب عنقه
وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال
بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد
عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب
للناس وانه وان القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم
مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين
وانه لحق اليقين لليقين الذى لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله
بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبى
عليه السلام من قرا سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهى اربع واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب واقع اى دعا داع به بمعنى استدعاه
ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سالها
استهزاء او الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما
من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله عليه السلام فاحشة ضلت هذيل
بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر
بمعنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه
اما فى الدنيا وهو قتل بدر او فى الاخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب
او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا
لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذى المعارج
ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها

المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة
تعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث
لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه
تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم
يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات
العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل
مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث
قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا
وقيل في يوم متعلق بواقع او سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته
اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح
جبرئيل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال
واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وذلك مما يضجره
او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر
فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونريه
قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن ذلك يوم تكون
او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او
دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان
فاذا بست وطيرت في الهواء شبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسئل حميم حميما
ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول اي لا يطلب من حميم حميمه
او لا يسئل منه حاله يبصرونهم استيناف او حال تدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل
دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم
يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين
او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس
واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ
لانه بمعنى تعذيب وقرأ نافع والكسائي بفتح ميم يومئذ وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم
التي تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين والخلائق
ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم
عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى
وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدأ خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار
منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعةً بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة

او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الرأس
تدعو تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها
لمن فر عنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر
عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا
ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر الضر جزوعا
يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ في الامساك والاوصاف الثلثة
احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى
لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال
المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات بها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق
على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل
وتلك ناشية عن الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلوتهم
دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوة والصدقات
الموظفة للسائل للذي يسأل والمحروم والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين
يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا
في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون
على انفسهم ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من عذاب
الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سبق تفسيره
في سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم
قائمون يعني لا يخفون ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله تعالى وحقوق
العباد وقرأ حفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلوتهم يحافظون
فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها
اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات
مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله تعالى فما للذين كفروا قبلك
مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة
من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول
رسول الله عليه السلام حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل
جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما في
الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم مخلوقون
من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق
بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس

ادلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى
على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم
عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم
اي نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلهم من هو خير منهم وهو الانصار
وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ان نهلككم فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى
يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر في آخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا
مسرعين جمع سريع كأنهم الى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر
وحفص نُصُب بضم النون والصاد والباقون من السبعة نَصْب بفتح النون وسكون
الصاد ونُصْب على انه تخفيف نُصُب وجمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة
مر تفسيره ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي عليه السلام من قرأ
سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عم مكية وهي تسع او ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي
بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان يكون ان مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ
بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الآخرة او الطوفان
قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء
نظيره وفي ان يحتمل الوجهين يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام
يجب ما قبله فلا يؤاخذكم به في الآخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط
الايمان ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر آجلا وقيل اذا جاء
الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو كنتم
من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحيوة كأنهم شاكون في الموت
قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان
والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما
دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم
عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط
كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا
واكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها
واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم
واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم
لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد والاعلان

بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف
بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم
بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكأنهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق
فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يمحق معاصيهم
ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى
اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار
عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم
جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء يحتمل
المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث
والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا اي تعظيما
لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان
صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء
التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث انها
موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي
الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأهم خلقا
آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم
القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال الم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا
وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة
الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشأكم
منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم
انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين
ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء
وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها
سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم
عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم
البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة
وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد ادت بهم الى الخسار وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع
كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية
فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح عليه السلام

وقالوا لا تذرن آلهتكم اى عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق
ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هى اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام
فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود
لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع ودا بالضم وقرئ
يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء
او للاصنام كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف
على رب انهم عصونى ولعل المطلوب هو الضلال فى ترويج مكرهم ومصالح دنياهم
لا فى امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر مما خطيئاتهم
من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان
فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة فالتعقيب لعدم الاعتداد بما بين
الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود
مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا
تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله تعالى لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا اى احدا وهو مما يستعمل فى النفى العام فيعال من الدار او
الدور اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك
ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى
احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لى ولوالدى
لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتى منزلى او مسجدى او سفينتى
مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا
عن النبى عليه السلام من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن وهى ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحى الى وقرئ احى واصله وحى من وحى اليه
فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر
ما بين الثلثة الى العشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية
وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام
ما رآهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله تعالى
به رسوله فقالوا انا سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه
ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدى الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به
بالقرآن ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد
ربنا قراه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا ما بعده الا

ان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر
الا فى قوله وانه لما قام على انه استيناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء
على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور فى به كانه قيل صدقناه وصدقنا
انه تعالى جد ربنا اى عظمته من جد فلان فى عينى اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد
الذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه
او لغناه وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد
بالكسر اى صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطاء ما اعتقدوه من الشرك
واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا
قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو فى نفسه شطط لفرط ما اشط فيه
وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن
على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم للسفيه فى ذلك لظنهم ان احدا لا يكذب على الله تعالى
وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اى قولا مكذوبا فيه
ومن قرا ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان
رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد
هذا الوادى من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا
كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى
الاصل غشيان الشئ وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والآيتان
من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما من
الموحى به ان لن يبعث الله احدا سادة مسد مفعولى ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا
بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه
وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اى حراسا اسم جمع كالخدم شديدا
قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضئ المتولد من النار
وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد و
الاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا
اى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين
على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك فى الصافات وانا لا ندرى اشر اريد بمن
فى الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا وانا منا الصالحون المؤمنون
الابرار ومنا دون ذلك اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون وكنا
طرائق ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق فى اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا
طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله
فى الارض كائنين فى الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء

الموحى ... في الارض ان اراد بنا امرا او لن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى
اي القران امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول
ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا
ان يرهقه ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقران
ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو
الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب
واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا
اي وان الشان لو استقام الانس والجن او كلاهما على الطريقة المثلى لاسقيناهم
ماء غدقا لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل
المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل
معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا
عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانهم ومن يعرض
عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا شاقا
يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا
مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة
الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي عليه السلام مسجدا وقيل
المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد نهي عن السجود لغير الله تعالى
او اراد السبعة او السجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي عليه السلام
وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي
لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم
عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه
مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد
وقرا ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجد جمع لابد ولبدا كصبر
جمع لبود قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او
اطباقكم على مقتي وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم
ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا وعبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه
او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه
ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد
وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا
وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن
كقوله عليه السلام بلغوا عني ولو اية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد

اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان له خالدين فيها ابدا جمع للمعنى
حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله تعالى يكونون
عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم
فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان ادري ما ادري اقريب
ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا
ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته
عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به
علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على
ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات
الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط
الانبياء فانه يسلك من بين يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من
الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي
الموحى اليه انه قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله تعالى ان قد ابلغ الانبياء
بمعنى يتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم
بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي عليه السلام من قرا
سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل وهي تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه
اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاء وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي
زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي عليه السلام تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا
لما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه عليه السلام كان يصلي متلففا
بمرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل
او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلاة او داوم
عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا
او زد عليه الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل
والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل
من الليل والا استثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير
بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه
على البت او ان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام
والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القران ترتيلا اقرأه

وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان
مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القران فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل
على المكلفين سيما على الرسول عليه السلام اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة
اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه مشتق مضاد للطبع مخالف للنفس
او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية
للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة
رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا
يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس
ما به يعالج ثقلها ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشا من مضجعها الى العبادة من نشا
من مكانه اذا نهض قال نشانا الى حوض بري تينها السري والصوق بها مشرفات القماحد
او قيام الليل على ان الناشية له او العبادة التي تنشا بالليل اي تحدث وساعات الليل
لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشات اذا ابتدات هي اشد وطا
اي كلفة او ثبات قدم وقرا ابو عمرو وابن عامر وطاء اي مواطاة القلب للسان لها او فيها
او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور
القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا اي تقلبا في مهماتك واشتغالا
بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل
مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا
ونهارا وذكر الله تعالى يتناول كل ما يذكر من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قران
ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه
ولهذه الرمز ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف
او مبتدا خبره لا اله الا هو وقرا ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل
من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل
فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات
واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وتكل امرهم الى الله تعالى كما قال
وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة
ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا قليلا ان لدينا
انكالا تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب
في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مولما لا يعرف كنهه
الا الله تعالى ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس
العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات
متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن التجلي بانوار القدس فرتب العذاب

بالحرمان عن لقاء الله يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا من معنى الفعل
انكالا منه بمعنى الفصل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول
من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم
رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة والامتناع
كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به
فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم
طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون ان تقوا انفسكم
ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله
هذا على الفرض او التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز
ان يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر به منشق والتذكير على تاويل السقف
او اضمار شيء به بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للالة
كان وعده مفعولا الضمير لله تعالى او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه
الايات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء ان يتعظ اتخذ الى ربه سبيلا اي تقرب اليه
بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعار
الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقرا ابن كثير والكوفيون ونصفه
وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم معك جماعة من اصحابك
والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه
مبتدا مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي
لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص
في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرءوا ما تيسر من القران فصلوا ما تيسر عليكم
من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقران كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا
على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرءوا
القران بعينه كيفما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى
مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال وآخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله والضرب في الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة
وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه فاقيموا الصلوة
المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر
بسائر الانفاقات في سبيل الخير او باداء الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض
كما صرح به في قوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير من اجر تجدوه عند الله هو خيرا
واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثاني
مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف

ثم وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو
من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار
روي انه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت
فوقي فاذا هو على العرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى
خديجة فقلت دثروني فنزل جبرئيل فقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هي اول سورة نزلت
وقيل تاذى من قريش فتغطى بثوبه متفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر
المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة
وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر
مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين او قوله تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير
وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي انه لما نزل كبر رسول الله عليه السلام ثم ايقن
انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى
الشرط وكانه قال وما يكن من شيء فكبر او الدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام
ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم
بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير
واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها وبحفظها عن النجاسة كتقصيرها
مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك
من الاخلاق الذميمة والافعال الدنية فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره
باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر
وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره
من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر
ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه
او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص
والضنة او لا تمنن على الله تعالى بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ
مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن
على انه من من بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا
يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك ولوجه
او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر

نقر

في الناقور في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت
والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة
ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه
عسر الامر على الكافرين فذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ
بدل او ظرف لخبره اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير تأكيد يمنع ان يكون
عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا
نزلت في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء
اي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي ومن خلقته
فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما به او اراد انه وحيد ولكن
في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء
وان كان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم
لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج هو ان يرسلهم في مصالحه
لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم
رجال فاسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة
والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع
ان ازيد على ما اوتي وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب
ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال الله تعالى كلا انه كان لآياتنا عنيدا
فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستيناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة
لازالة النعم المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان ماله حتى هلك
سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه
عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا
انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعنا في القرآن
وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء به او لانه
اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا
يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي عليه السلام وهو يقرأ حم
السجدة فاتى قومه فقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى
فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما
احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه
كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو
الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا

تعجيباً منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى
وفيما بعد على اصلها ثم نظر اى فى امر القران مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد
فيه طعناً ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله عليه السلام وقطب فى وجهه وبسر اتباع
لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى
ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر
وقوله ان هذا الا قول البشر كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ساصليه
سقر بدل من سارهقه صعوداً وما ادريك ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقى ولا
تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى على شئ يلقى فيها
ولا تذره حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالى الجلد او لايحة للناس وقرئت
بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكاً او صنفاً من الملائكة يلون امرها
والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية
الاثنى عشر والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف
يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعاً من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف
يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعاً يناسبه ويتولاه ملك او صنف
او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة فى الصلوة فيبقى تسعة عشر قد تصرف
فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى
الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر كيمين وايمن اى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم او جمع
فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا
لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق باساً واشدهم غضباً لله تعالى وروى ان ابا جهل
لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم
وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيهاً على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم
له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين
ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اى ليكتسبوا
اليقين بنبوة محمد عليه السلام وصدق القران لما راوا ذلك موافقاً لما فى كتابهم ويزداد
الذين امنوا ايماناً بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون اى فى ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لما يعرض المتيقن
حيثما عراه شبهة وليقول الذين فى قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخباراً بمكة
عما سيكون فى المدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون فى التكذيب ماذا اراد الله
بهذا مثلاً اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه
حسبوا انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء مثل ذلك المذكور

من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه
على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها
وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هى وما سقر
او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا
بها والقمر والليل اذ ادبر اى ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص
اذ ادبر على المضى والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى البلايا الكبر اى البلايا
الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقاً لها بفعلة تنزيلاً للالف
منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا
والقسم معترض للتاكيد نذيراً للبشر تمييز اى لاحدى الكبر انذاراً او حال عما دلت عليه الجملة
اى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبراً ثانياً او خبر المحذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر
بدل من للبشر اى نذيراً للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم
فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله
مصدر كالشتيمة اطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب اليمين
فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال فى جنات لا يكتنه
وصفها وهى حال من اصحاب اليمين او ضميرهم فى قوله تعالى يتساءلون عن المجرمين اى يسأل
بعضهم بعضاً او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اى دعوناه وقوله ما سلككم
فى سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسئولين والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين
الصلوات الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه وكنا
نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيمة حتى اتانا
اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعاً
فما لهم عن التذكرة معرضين اى معرضين عن التذكرة يعنى القران او ما يعمه ومعرضين
حال كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر
بحمر نافرة من قسورة اى اسد فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفاً
منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى عليه السلام لن نتبعك حتى تاتى كلا منا
بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان اتبع محمداً كلا ردع عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون
الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه
تذكرة واى تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم
او مشيتهم كقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان افعال العبد بمشية الله
وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشدداً هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة
حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبى عليه السلام من قرأ سورة المدثر اعطاه الله تعالى عشر حسنات
بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة ثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية
على القسم للتاكيد شايع في كلامهم كما قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم
اني افر وقد مر الكلام فيه في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لاقسم بغير الف بعد اللام
كذا روي عن البزي ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس
المقصرة في التقوى يوم القيمة على تقصيرهن او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت
في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روي انه عليه السلام قال ليس
من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد
وان عملت شرا قالت يا ليتني كنت قصرت او نفس آدم عليه السلام فانها لم تزل تلوم على ما خرجت به
من الجنة وضمها الى يوم القيمة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان
يعني الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم
لم اصدقك او يجمع الله تعالى هذه العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على
البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه بجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت
مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها
وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع على نحن قادرون بل يريد الانسان
عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب
عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسأل
ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق
الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع
من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ خسف
على بناء المفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء والطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف
فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع
باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان
القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله
قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ
مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده
استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء
الجنة ومن يشاء النار ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر من عمل عمله وبما اخره لم يعمله
او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده او بما قدم من ماله فتصدق به

وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه
شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره
ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير
في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك به يا محمد بالقرآن لسانك قبل ان يتم
وحيه لتعجل به لتاخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك ان علينا جمعه في صدرك
وقرآنه واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرآنه
قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه
وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما هو يؤكد التوبيخ على حب
العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره
او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه
يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا
بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار والتأمل
فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول عليه السلام عن عادة العجلة
او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة تعميم للخطاب
اشعارا بان بني آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس
فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ
ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل
عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل
منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر
وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر اذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك
زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة
العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع
اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة اذا
بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها
وقيل من راق وقال الحاضر واصاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت
ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن
المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق والتوت
ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك يومئذ
المساق سوقه الى الله تعالى وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله فلا زكاه
ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب
وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك فان المتبختر يمد خطاه

فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي
فاصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل
افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك
فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف
ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي
الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بالمجازاة وهي قد لا تكون
في الدنيا فتكون في الاخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى
فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال آخر
بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر
على ان يحيي الموتى عن النبي عليه السلام انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه
عليه السلام من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبرائيل يوم القيمة انه كان مؤمنا به

سورة الانسان مكية وهي احدى وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب
ولذلك فسر بقد واصله اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة
من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور
بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع
والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم بين اولا خلقه
ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وجمع
النطفة بها لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة
والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منها مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش
وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار
فان النطفة تكون علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موقع الحال اي مبتلين له
بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه
سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الايات فهو كالمسبب عن الابتلاء
ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل
اي بنصب الدلائل وانزال الايات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما
للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء
والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز
وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على
الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المؤاخذ به المتوغل فيه

انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها
يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام
بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع
بر او بار كارباب واشهاد يشربون من كاس من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها
ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور
في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به عينا بدل
من كافورا ان جعل اسم ماء او من محل من كاس على تقدير مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب
على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله اي ملتذا او ممزوجا بها
وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها
حيث شاؤوا اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه
فاجيب بذلك وهو ابلغ من وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه
على نفسه لله تعالى كان اوفى بما اوجبه الله تعالى عليه ويخافون يوما كان شره شدائده
مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار
وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله
او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه عليه السلام كان
يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسير المؤمنين ويدخل فيه المملوك
والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة
القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافات المنقصة للاجر وعن عائشة
انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم
بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
اي شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم ولا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب يوم
عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضرارته قمطريرا شديد العبوس
كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها
مشتق من القطر والميم زائدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم
عنه ولقيهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم
على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا يأكلون منه
وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما
وفضة جارية لهما صوم ثلث ايام ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون
الخيبري ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوها
بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما

فلما [...] الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في
[illegible] ففعلوا مثل ذلك فنزل جبرئيل عليه السلام بهذه السورة وقال خذها يا محمد هنّاك الله
في اهل بيتك متكئين فيها على الارائك حال من هم في جزاهم او صفة لجنة لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر
عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال
وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواءها مضيء بذاته
لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها
او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين لقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة
وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف
ان يجعل سهل التناول لا يمتنع على قطافها كيف شاؤوا ويطاف عليهم بآنية من فضة
واكواب واباريق بلا عرى كانت قواريرا قوارير من فضة اي تكونت جامعة بين
صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا
وابن كثير الاولى لانها رأس الآية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها
تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها
باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله ويطاف
شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قُدِّروها اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدر
منقولا من قدرت الشيء وقدرتنيه فلان اذا جعلك قادرا له ويسقون فيها كأسا
كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان العرب يستلذون الشراب
الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها
يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفي عنها
لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا
لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون
دائمون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم
وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه
عام معناه ان بصرك اينما وقع رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة
منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكثر من ذلك
وهو ان ينتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت
عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ
ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير
عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس

بالمعنى وانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطف على ثياب وقرأ ابن عامر وابو عمرو ويعقوب بالعكس
وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح
على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة
عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة
والتبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء
لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير
في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم
ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند
سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية
والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى
درجات الصديقين ولهذا ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار
القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازا عليه غير مضيع
انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان
مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم
ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي
في الكفر الداعي اليه والدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به
والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما فذلك
يستدعي ان لا يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر
غير محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلوة الفجر
والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل
فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل
من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل
ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما
ثقيلا شديدا مستعار من الثقيل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به
ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب
واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم
في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع
واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة او الآيات
القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤون الا ان يشاء
الله وما يشاؤون ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
يشاؤون بالياء ان الله كان عليما بما يستأهل كل احد حكيما لا يشاء الا ما يقتضيه حكمته

يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين أعد لهم عذابا أليما
نصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم مثل أوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ
بالرفع على الابتداء عن النبي عليه السلام من قرأ سورة هل أتى على الإنسان كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات
نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا أقسم بطوائف من الملائكة أرسلهن الله
بأوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره ونشرن الشرائع في الأرض
أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فألقين إلى
الأنبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف
إلى محمد عليه السلام فعصفن سائر الكتب والأديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم
في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين العالمين أو بالنفوس
الكاملة المرسلة إلى الأبدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن أثر ذلك
في جميع الأعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا إلا وجهه
فألقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والألسنة إلا ذكر الله تعالى أو برياح عذاب
أرسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فألقين ذكرا أي تسببن له فإن
العاقل إذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته تعالى وعرفا إما نقيض
النكر وانتصابه على العلة أي أرسلن للإحسان والمعروف أو بمعنى متتابعة من عرف
الفرس وانتصابه على الحال عذرا أو نذرا مصدران لعذر إذا محا الإساءة وأنذر إذا خوف
أو جمعا لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذور ونصبهما
على الأولين بالعلية أي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين أو البدلية من ذكرا على أن المراد به
الوحي أو ما يعم التوحيد والشرك والإيمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأ نذرا أبو عمرو
وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف إنما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه أن الذي
توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فإذا النجوم طمست محقت ومحيت أو أذهب
نورها وإذا السماء فرجت صدعت وإذا الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف
وإذا الرسل أقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم بحصوله فإنه
لا يتعين لهم قبله أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ أبو عمرو وقتت على الأصل
لأي يوم أجلت أي يقال لأي يوم أخرت وضرب الأجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب
من هوله ويجوز أن يكون ثاني مفعولي أقتت على أنه بمعنى أعلمت ليوم الفصل بيان ليوم
التأجيل وما أدراك ما يوم الفصل ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ
للمكذبين أي بذلك وويل في الأصل مصدر منصوب بإضمار فعله عدل به إلى الرفع

للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه أو صفته ألم نهلك الأولين
كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى أهلكه ثم نتبعهم الآخرين
نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين
من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل نفعل
بالمجرمين بكل من أجرم ويل يومئذ للمكذبين بآيات الله وأنبيائه فليس تكريرا وكذا
إن أطلق التكذيب وعلق في الموضعين بواحد لأن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا
للإهلاك في الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب ألم نخلقكم من ماء
مهين نطفة قذرة ذليلة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم إلى قدر معلوم
إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة فقدرنا على ذلك أو فقدرناه
ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد فنعم القادرون نحن ويل يومئذ
للمكذبين بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة ألم نجعل الأرض كفاتا كافتة اسم
لما يكفت أي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع أو مصدر نعت به أو جمع كافت كصائم وصيام أو كفت
وهو الوعاء أجري على الأرض باعتبار أقطارها أحياء وأمواتا منصوبان به على المفعولية
وتنكيرهما للتفخيم أو لأن أحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات أو الحالية من
مفعوله المحذوف للعلم به وهو الإنس أو بنجعل على المفعولية وكفاتا حال أو الحال فيكون
المعنى بالأحياء ما ينبت وبالأموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات
جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم والإشعار بأن فيها ما لم يعرف ولم ير وأسقيناكم
ماء فراتا بخلق الأنهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بأمثال هذه النعم
انطلقوا أي يقال لهم انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا
وعن يعقوب انطلقوا على الإخبار من امتثالهم للأمر اضطرارا إلى ظل يعني ظل دخان جهنم
كقوله تعالى وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق
الذوائب وخصوصية الثلاث إما لأن حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال
والوهم أو لأن المؤدي إلى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية
التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر
وشعبة على يمينه وشعبة على يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما أوهم لفظ الظل
ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا إنها ترمي بشرر كالقصر أي كل شررة
كالقصر في عظمها ويؤيده أنه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة
وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب
كأنه جمالات جمع جمال أو جمالة جمع جمل صفر فإن الشرار بما فيه من النارية يكون أصفر وقيل
سود فإن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة والأول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع
والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة

[illegible] هي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهت بها في العظم وهذا في ابتداء [illegible] ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اي بما يستحق فان النطق بما
لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب
اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين
عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله
جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم
فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل
فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل
يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك لانهم
في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون في انواع الترفه
كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين
في العقيدة ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد
كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم
ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم
المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل
واذا قيل لهم اركعوا اطيعوا واخضعوا او صلوا واركعوا الا يركعون اذ روي انه نزل
حين امر رسول الله عليه السلام ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا
وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون
واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ
للمكذبين فباي حديث بعده بعد القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو معجز
في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال النبي عليه السلام من قرا سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبا مكية وهي اربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله عن ما فحذف الالف
كما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خفي جنسه
فيسال عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسالون الرسول
والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراؤنهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس
عن النبا العظيم بيان للشان المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل
عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار
كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون كرر للمبالغة وثم
للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة او الاول

للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب
الدالة على كمال القدرة ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ
مهدا اي انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم ازواجا
ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية
وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا
وجعلنا الليل لباسا غطاء يستر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا النهار
معاشا وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حيوة تبعثون فيها
عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها
مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت
او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب
اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له
ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر
السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب
وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج
بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء
الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف
من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع يقال
جنة لف وعيش مغدق ولفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر ولخضار
او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان في علم الله تعالى او في حكمه ميقاتا
حدا يوقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور
بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روي انه
عليه السلام سئل عنه فقال عليه السلام تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة
القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم
وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم
تسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم
وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم
يلبسون جبابا سابغة من القطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت
واكلة الربوا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم
عملهم والموذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات
والمانعين حق الله تعالى والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشقت وقرا الكوفيون

تحقيق فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت
ذات ابواب وسيرت الجبال اى فى الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى
على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت
مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين
ليحرسوهم من فيحها فى مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذى يضمر فيه الخيل
او محدة فى ترصد الكفرة كيلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل
لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح لبثين
وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان
الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضى تناهى تلك الاحقاب
لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر وان كان فبقيل
المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها
بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن فى لابثين او نصب احقابا
بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون
جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه
الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين
وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم
وبالغساق ما يغسق اى يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه
اخر ليوافق رؤوس الآى وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اى جوزوا
بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال
من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا
باياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شايع فى كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف
وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب
للدلالة على انهم كذبوا فى تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان
المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين فى الكذب مبالغة المغالبين
فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا
وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اى تكذيبا مفرطا كذبه
وكل شئ احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان الاحصاء
والكتبة يتشاركان فى معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا فى اللوح او صحف
الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب
وتكذيبهم بالايات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفى الحديث هذه الاية
اشد ما فى القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا

بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب
نساء فلكت ثديهن اترابا لدانا وكاسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون
فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائى بالتخفيف اى كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم
بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل
من جزاء وقيل منتصب به نصب مفعول به حسابا كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه
حتى قال حسبى او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اى محسبا كالدراك بمعنى المدرك
رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو
على الابتداء الرحمن بالجر صفة له فى قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وفى قراءة حمزة و
الكسائى بجر الاول ورفع الثانى على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يملكون منه
خطابا والواو لاهل السموات والارض اى لا يملكون خطابه والاعتراض عليه فى ثواب
وعقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافى
الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم
من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف
يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها
او جبرائيل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ
الى ربه مآبا الى ثوابه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعنى عذاب الآخرة
وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر
ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية
منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا
فى الدنيا ولم اخلق ولم اكلف او فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص
ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبى عليه السلام من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية وهى خمس وست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا
والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت
فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها من اقاصى
الابدان او نفوسا غرقة فى الاجساد وينشطون اى يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط
الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من اعماق
البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها

وثوابها بان يهيئا ما لا دراك ما اعد لها من الآلام واللذات او الاولى لهم والباقيات
لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون
امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط
في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح
في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول
وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق قسرية وحركتها
من البرج الى البرج ملائمة سمي الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة
حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط
الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من
المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب
فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي
باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو
فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها
وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر
اقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذفت لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة
وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض
والجبال كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها
وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتشر
او النفخة الثانية والجملة في موضع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب
من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها
ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون في
الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته
اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة كقولهم عيشة راضية
او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا
وهي حفرة ائذا كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما نخرة بالية
وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة
خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا
بها وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها
فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء
على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية
سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها

نائمة او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسى
اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم عليه بان يصيبهم
مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناديه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه في
سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء
من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ
الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى
باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل
لقوله تعالى فقولا له قولا لينا فاريه الآية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة
الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها
باعتبار دلالتها كالاية الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله تعالى بعد
ظهور الاية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال الامر او ادبر بعد
ما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع
بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى على كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الآخرة
والاولى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق
او على كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري
او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك
لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء
ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال الله تعالى رفع سمكها
اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا فسويها
فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير
وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش
الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء
شمسها كقوله تعالى والشمس وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحيها
بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها ورعيها
وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان
للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو
مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم
فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي
اكبر الطامات وهي القيمة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة
الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا في صحيفته
وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة

او مدية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راءٍ بحيث لا يخفى على احد وقرئ
وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم لقوله اذا رأتهم من مكان بعيد او انه
خطاب للرسول اى لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر
او ما بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد
للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هى المأوى هى مأواه واللام فيه سادة مسد
الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى وهى فصل او مبتدأ واما من خاف
مقام ربه مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه
مرد فان الجنة هى المأوى ليس له سواها مأوى يسئلونك عن الساعة ايان
مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة
وهو حيث تنتهى اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها
لهم اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها
مما استأثره الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستأنف
معناه انت ذكر من ذكريها اى علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من
اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهيها اى منتهى علمها انما انت
منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت
وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابى عمرو منذرٌ بالتنوين والاعمال على الاصل
لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا اى فى الدنيا او فى القبور الا عشية
او ضحيها اى عشية يوم او ضحاه لقوله تعالى الا ساعة من نهار ولذلك اضاف ضحى
الى العشية لانهما من يوم واحد عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة النازعات
كان ممن حبسه الله فى القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة المكتوبة

سورة عبس احدى واربعون اية وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم
اتى رسول الله عليه السلام وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمنى
مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله عليه السلام قطعه لكلامه
وعبس واعرض عنه فنزلت وكان رسول الله عليه السلام يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا
بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة
وان جاء علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ ءان بهمزتين وبالالف بينهما
بمعنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام
الرسول عليه السلام بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار
كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات فى قوله وما يدريك لعله يزكى واى شئ يجعلك
داريا بحاله لعله يزكى يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره
او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير فى لعله للكافر
اى انك بما طمعت فيه كائن قرأ عاصم بالنصب جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى
تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصّدى بالادغام وقرئ تُصدّى
اى تعرض وتدعى الى التصدى وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس فى ان لا يتزكى
بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما
من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار فى اتيانك او كبوة الطريق
لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدى
والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغى له
ذلك كلا ردع له عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره
حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره
فى صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف مكرمة عند الله تعالى
مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدى الشياطين بايدى سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء
ينتسخون الكتب من اللوح او الوحى او سفراء يسفرون بالوحى بين الله تعالى ورسله او الامة
جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها
كرام اعزاء على الله تعالى او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء
قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو
مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اى شئ خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه
والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله تعالى من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له
من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقته ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه
من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل
يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه
على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله تعالى ثم اماته
فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة
الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء
اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشية الله تعالى كلا ردع
للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعض من لدن آدم الى هذه الغاية
ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد عن تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع
للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استيناف مبين لكيفية
احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا
الارض شقا اى بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب

فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيا له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير الاحب فالاحب مبالغة كانه قال يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه في الاهتمام وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفار الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد كالدخان والظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور ولذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال رسول الله عليه السلام من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوؤها فذهب انبساطه في الافاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق اللواتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم لاجلهن سئلت باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس

وقرئ سالت اي خاصمت عن نفسها وسئلت بالله او وائدها وقتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرا نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعدها لان المراد زمان متسع شامل لها وللمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهي ما سوى النيرين من الكواكب السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اضاء غرته عند اقبال روح ونسيم انه اي القران لقول رسول كريم يعني جبريل عليه السلام فانه قاله عن الله تعالى ذي قوة لقوله تعالى شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما بهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل عم على محمد عليه السلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون من النبي عليه السلام وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد راه ولقد راى رسول الله عليه السلام جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد عليه السلام على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرا نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بالضاد من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة وهو نفي قولهم انه لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول عليه السلام والقران كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء مشيتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين

مالك الخلق كله قال عليه السلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب
انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت فتح بعضها
الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها
وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس
ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سيئة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع
وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجرأك على عصيانه
وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم
وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام
والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك الكريم لا يعذب احدا
ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك
في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية
مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء
سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء
او معدلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك
ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر
الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة وقيل
شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها
لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وقوله بل تكذبون بالدين
اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح
والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم
عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون
سمومها في القبور وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم
لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا تدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر
يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على
البدل من يوم الدين او الخبر المحذوف قال رسول الله عليه السلام من قرأ سورة انفطرت
كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن
لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت
فاحسنوا وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم
وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت
ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا
حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من
الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدلت على بمن للدلالة على ان اكتيالهم
لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اي اذا كالوا
للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك
اكموء وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله
اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات
الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظايره الا يظن اولئك انهم مبعوثون
فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبايح فكيف من تيقنه وفيه انكار وتعجيب
من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل
من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجيب
وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله تعالى والتعبير عنه برب العالمين
مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث
والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي سجين كتاب جامع
لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال تعالى وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم اي مسطور
بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس
او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب
السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك
الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد
متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة
اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها
اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا ينفعه
شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي

بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال
سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء
حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الرائن
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا
لاهانتهم باهانة من يمنع من الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم
ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلونها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون
يقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا
بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين
وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون
يحضرونه فيحفظونه او يشهد على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم على الارائك
على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم
بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق
شراب خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته
او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع
وفي ذلك الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتقب المرتقبون ومزاجه من تسنيم
علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا يشرب بها
المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله تعالى ويمزج لسائر اهل الجنة
وانتصاب عينا على المدح او على الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله
ان الذين اجرموا يعني رؤساء قريش كانوا من الذين آمنوا يضحكون كانوا يستهزؤن
بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا
انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين متلذذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين واذا
راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا راوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا
عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل
يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها واذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون
منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون
وقرأ حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء قال عليه السلام من قرأ سورة المطففين
سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الشق مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت بالغمام لقوله تعالى ويوم تشقق السماء
بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اي انقادت لتاثير قدرته
حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة
بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت
بان تزال جبالها واكامها والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت
وتكلفت في الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها واذنت لربها في الالقاء والتخلية
وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف
للتهويل بالابهام او للاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار او بدلالة قوله
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الانسان
كدحه اي جهد يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان انك
كادح الى ربك كدحا اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا
الى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور واما من اوتي كتابه
وراء ظهره اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل يسراه
وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا
وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلى لقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى
لقوله تعالى ونصليه جهنم انه كان في اهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا
عن الآخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تعالى بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا
عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب
بعد الغروب وعن ابي حنيفة انه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل
وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال
مستوسقات لو يجدن سائقا اوطرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق
اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة
وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن
القيمة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول على معنى لتركبن
حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج
وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير
بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم
القرآن لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عليه السلام قرأ
واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت

واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة رضى الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رايت رسول الله عليه السلام سجد فيها بل الذين كفروا يكذبون القران والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او ممنوع به عليهم عن النبي عليه السلام من قرا سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج اثنى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي عليه السلام وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجتمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاحقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فراى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فرماها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابراه فساله الملك عمن ابراه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفات السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي كرم الله وجهه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله تعالى احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار فطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها اي على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر عما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حتى يشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا وما انكروا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم . بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا آثار اهلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قران مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قران مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقرا نافع محفوظ بالرفع صفة للقران وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق الكوكب البادي
بالليل وهو في الأصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه
وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه أو الأفلاك
والمراد الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسر بما يخصه
تفخيما لشأنه إن كل نفس لما عليها أي إن الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب فإن هي
المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على أنها بمعنى إلا وإن نافية
والجملة على الوجهين جواب القسم فلينظر الإنسان مم خلق لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ
أتبعه توصية الإنسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما يسره
في عاقبته خلق من ماء دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه
دفع والمراد الممتزج من المائين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلب
الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح أن النطفة تتولد من فضل الهضم
الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن تتولد منها مثل تلك الأعضاء
ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا شك أن الدماغ أعظم الأعضاء
معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة
وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المني
فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب
إنه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز
بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له فما
للإنسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع
ترجع في كل دورة إلى الموضع الذي تتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي أوبا لأن الله
يرجعه وقتا فوقتا أو لما قيل من أن السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه إلى الأرض
وعلى هذا يجوز أن يكون المراد بالسماء السحاب والأرض ذات الصدع ما تتصدع عنه
الأرض من النبات أو الشق بالنبات والعيون إنه أن القرآن لقول فصل فاصل بين الحق
والباطل وما هو بالهزل فإنه جد كله إنهم يعني أهل مكة يكيدون كيدا في إبطاله
وإطفاء نوره وأكيد كيدا وأقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث
لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم ولا تستعجل بإهلاكهم
أمهلهم رويدا إمهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين وعن النبي
عليه السلام من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة سبح مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى نزه اسمه عن الإلحاد
فيه بالتأويلات الزائغة وإطلاقه على غيره زاعما أنهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم
وقرئ سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام
اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال عليه السلام اجعلوها في سجودكم
وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق
فسوى خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر
أي قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها
وآجالها وقرأ الكسائي قدر بالتخفيف فهدى فوجهه إلى أفعاله طبعا أو اختيارا
بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات والذي أخرج المرعى أنبت
ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء أحوى يابسا أسود وقيل أحوى حال من المرعى
أي أخرجه من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبرائيل أو سنجعلك قارئا بإلهام
القراءة فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ مع أنك أمي ليكون ذلك آية أخرى لك مع أن
الإخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضا من الآيات وقيل نهي والألف للفاصلة
كقوله تعالى السبيلا إلا ما شاء الله نسيانه بأن نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة
والندرة كما روي أنه عليه السلام أسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب أبي أنها نسخت
فسأله فقال عليه السلام نسيتها أو نفي النسيان رأسا فإن القلة تستعمل للنفي إنه يعلم
الجهر وما يخفى ما ظهر من أحوالكم وما بطن أو جهرك بالقراءة مع جبرئيل وما دعاك إليه
من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقاء وإنساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة
اليسرى في حفظ الوحي أو التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك
عطفا على سنقرئك وإنه يعلم اعتراض فذكر بعدما استتب لك الأمر إن نفعت الذكرى
لعل هذه الشرطية إنما جاءت بعد تكرر التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب
نفسه ويتلهف عليهم لقوله تعالى ما أنت عليهم بجبار الآية أو لذم المذكرين واستبعاد
تأثير الذكرى فيهم أو للإشعار بأن التذكير إنما يجب إذا ظن نفعه ولذلك أمر بالإعراض
عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى فإنه يتفكر فيها
فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الأشقى الكافر
فإنه أشقى من الفاسق أو الأشقى من الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم
فإنه عليه السلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم أو ما في الدرك الأسفل منها
ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد أفلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية
أو تكثر من التقوى من الزكاء أو تطهر للصلوة أو أدى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه
فصلى لقوله تعالى أقم الصلوة لذكري ويجوز أن يراد بالذكرى تكبيرة التحريم وقيل تزكى
تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبر تكبيرة يوم العيد فصلى صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا

فلا تفعلون ما يسعدكم في الاخرة والخطاب للاشقين على الالتفات وعلى اضمار قل
او للكل فان الشقى للدنيا اكثر في الجملة وقرا ابو عمرو بالياء والاخرة خير وابقى فان نعيمها
ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفي الصحف الاولى الاشارة
الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابراهيم
وموسى بدل من الصحف الاولى قال عليه السلام من قرا سورة الاعلى اعطاه الله تعالى
عشر حسنات بعدد كل حرف انزل الله على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي
تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيمة او النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار
وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل
وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها
او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرا ابو عمرو
ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية
متناهية في الحر تسقى من عين آنية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع
يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة بادية تشبه الضريع ولعله
طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه الابل
وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغنى من جوع والمقصود من الطعام
احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية رضيت
بعملها لما رات ثوابه في جنة عالية علية المحل او القدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه
وقرئ على البناء للمفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية
لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين
جارية يجرى ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك
او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق
وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابى وبسط فاخرة
جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت
خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية
فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء
بالاثقال وترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتاتى لها قطع البوادى
والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات المنبثة في
الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب

من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت
بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهى راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت
اى بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف
الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات
ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد
ورتب عليه الامر بالتذكير فقال تعالى فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا
ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن الكسائى
بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر استثناء منقطع اى لكن
من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعنى عذاب الاخرة وقيل متصل فان جهاد
الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الاخرة
وقيل هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر
وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم
وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت
واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر
للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي عليه السلام من قرا سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالصبح او فلقه لقوله والصبح
اذا تنفس وليال عشر عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان
الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع
والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او بالخلق لقوله تعالى ومن كل شىء خلقنا
زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرها بالعناصر والافلاك او البروج والسيارات
او شفع الصلوات ووترها او بيومى النحر وعرفة وقد روى مرفوعا او بغيرها فلعله
افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة
لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر
والحبر والليل اذا يسر اذا يمضى لقوله والليل اذا ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب
من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف
الياء اكتفاء بالكسر تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل
ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق
هل في ذلك القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذى حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد
تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر عما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى

وعدّه من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه
قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد يعنى اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف
اى سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم
ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء الرفيع او القدود الطوال
او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد
فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها
فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة
يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج
فى طلب ابل له فوقع عليها التى لم يخلق مثلها فى البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها
سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه
منازل لقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادى القرى وفرعون ذى الاوتاد
لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين
طغوا فى البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا
فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب
واصله الخلط وانما سمى الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض
وقيل شبه بالسوط ما احل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم فى الاخرة
كالسوط اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد
مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان
متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعى لها
فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتليه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه
ونعمه بالجاه والمال فيقول ربى اكرمن فضلنى بما اعطانى وهو خبر المبتدا الذى هو الانسان
والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان
فقائل ربى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه
اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتليه اى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربى اهانن
لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين اذ التوسعة قد تفضى
الى قصد الاعداء والانهماك فى حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا
مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة
تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرا ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء فى الوصل
والوقف وعن ابى عمرو مثله ووافقهم نافع فى الوقف وقرا ابن عامر فقدر بالتشديد كلا
بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين اى بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل

على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم
على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرا الكوفيون ولا تحاضون وتأكلون التراث
الميراث واصله وراث اكلا لما ذا لم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون
النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام
عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما اى كثيرا مع حرص وشره وقرا ابو عمرو وسهل
ويعقوب لا يكرمون ويحبون بالياء والباقون بالتاء كلا ردع لهم عن ذلك
وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا بعد دك حتى
صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اى ظهرت
آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر فى ذلك عند حضور السلطان من آثار هيبته
وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم
كقوله تعالى وبرزت الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل
زمام الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان اى يتذكر
معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها وانى له الذكرى اى منفعة الذكرى لمنافاتها
ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة
يقول يا ليتنى قدمت لحياتى اى حياتى هذه او وقت حياتى فى الدنيا اعمالا صالحة
وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان
ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى اى لا يتولى
عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله له او للانسان اى لا يعذب احد
من الزبانية مثل ما يعذبونه وقراهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول يا ايتها
النفس المطمئنة على ارادة القول وهى التى اطمانت بذكر الله تعالى فان النفس تترقى
فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغنى به
عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن
وقد قرئ بها ارجعى الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعر بذلك قول من قال كانت
النفوس قبل الابدان موجودة فى عالم القدس او بالبعث راضية بما اوتيت مرضية
عند الله تعالى فادخلى فى عبادى فى جملة عبادى الصالحين وادخلى جنتى معهم او فى زمرة
المقربين فتستضئ بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلى فى اجساد
عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى التى اعدت لك عن النبى عليه السلام
من قرا سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قراها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وهى عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا
بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد
في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح
ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم وابرهيم عليهما السلام وما ولد ذريته او محمد
عليه السلام والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله اعلم بما وضعت
لقد خلقنا الانسان في كبد في تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده
ومنه المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها
الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عليه السلام بما كان يكابده من قريش والضمير في
ايحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابي الاشدين كلدة فانه كان
يبسط تحت قدميه اديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزال قدماه او لكل احد منهم
او للانسان ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول اي في ذلك الوقت اهلكت مالا
لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول عليه السلام
ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله تعالى يراه
فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما
ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق
والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقي الخير والشر او الثديين واصله
المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول
في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام في قوله
وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة
او مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم
فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة
والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ
ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادريك
ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا
عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط
سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله تعالى
وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله تعالى اولئك اصحاب
الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة
او بالقرآن هم اصحاب المشأمة الشمال او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة
والكفار بالضمير شان لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته

وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبي عليه السلام من قرأ
سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية وهي خمس عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها وضوؤها اذا اشرقت وقيل
الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار
وكاد ينتصف والقمر اذا تليها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة
البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جليها جلى الشمس فانها تتجلى اذا
انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل
اذا يغشيها يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات
العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم
من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف
المتقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل
والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بنيها ومن بناها وانما اوثرت
على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده
وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله تعالى والارض وما طحيها
ونفس وما سويها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله تعالى
فالهمها فجورها وتقويها بقوله سواها الا ان يضمر فيه اسم الله تعالى للعلم به
وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم عليه السلام والهام الفجور
والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكيها انماها
بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس
والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته
الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم الائه ليحملهم على الاستغراق
في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال
النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم
على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق
واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغويها بسبب طغيانها او بما اوعدت به
من عذابها ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية واصله طغيا وانما قلبت ياؤه
واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت
او طغوى اشقيها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن والاه على قتل الناقة
فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر

فقال لهم رسول الله ناقة الله اى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها
فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها
فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها
الشحم بذنبهم بسببه فسويها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير
ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقبيها اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود
وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبى
عليه السلام من قرأ سورة الشمس فكانما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل مكية وهى احدى وعشرين آية

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه
بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر
والانثى والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحوا وقيل
ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعى والمعنى من اعطى الطاعة واتقى
المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهى ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى
فسنهيئه للخلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هياه للركوب
بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى
وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسر والشدة
كدخول النار وما يغنى عنه ماله نفى او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل من الردى
او تردى فى حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا
او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل وان لنا
للآخرة والاولى فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا
تركهم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يلزمها مقاسيا شدتها
الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى
ووصفه بقوله الذى كذب وتولى اى كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها
الاتقى الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصليها ومفهوم
ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف
الحصر السابق الذى يؤتى ماله يصرفه فى مصارف الخير لقوله تعالى يتزكى فانه بدل من يؤتى
او حال عن فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد بايتائه مجازاتها الا ابتغاء
وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذى يرضيه والآيات

نزلت

نزلت فى ابى بكر رضه حين اشترى بلالا فى جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك
قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبى عليه السلام من قرأ سورة
والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى مكية وهى احدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار
يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه والقى السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله
ان ياتيهم باسنا ضحى فى مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه
من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار
الاصل وتقديم النهار هنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك وما قلى ما قطعك
قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك
وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحى تاخر عنه
اياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا
كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم
وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة
بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعد له ما هو
اولى واجل من ذلك فى الاخرة او لنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد
فى الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس
وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء
دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل
على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة
وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فاوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى
يحسن اليه فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى والمعنى
ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم الحكمة والاحكام فهدى فعلمك بالوحى والالهام
والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا فى طريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين
فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك الى جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك
عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه
على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر
واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحديث بها
تبليغها عن النبى عليه السلام من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى
لمحمد عليه السلام ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الشرح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى
وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق وكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه
من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك
وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبرائيل اتى رسول الله عليه السلام في صباه او يوم الميثاق
فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى
الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا
عنك وزرك عبأك الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت
الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله
بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم
او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة
وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته مقارنا لطاعته
وصلى عليه مع ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك
ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض
للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة
فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع من المصاحبة
المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين ان مع العسر يسرا تكرير
للتاكيد او استيناف وعد بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم
فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب
عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او للجنس واليسر منكر فيحتمل
ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب
في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل
فاذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة او فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء
والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغّب
اي رغّب الناس الى طلب ثوابه عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين مكية وهي ثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم
لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع
فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد

والطحال

والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون
فاكهة وادام ودواء له دهن لطيف كثير المنافع مع لذته قد ينبت حيث لا دهنية
فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا
وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون او مسجدا دمشق وبيت المقدس والبلدان
وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع
الذي هو فيه وهذا البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المأمون فيه
يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم
تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات
ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى
اسفل السافلين وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب
على الاستثناء مقرر له فما يكذبك فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين
بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات
والمعنى فما الذي حملك على هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق
والمعنى اليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان
كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبي عليه السلام من قرأ
سورة التين اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه
او مستعينا به الذي خلق الذي له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد ما هو اشرف واظهر
صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان
او ابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان
في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط
قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلوة
ولعله لما قيل اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ وربك الاكرم الزائد
في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة
الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به التعبد علم الانسان
ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا
فقد عدد سبحانه وتعالى مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله
من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل

على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل عليها سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى اي رأى نفسه
واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين
لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة
الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل
قال لو رايت محمدا عليه السلام ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له
ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره
للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي ارايت ان كان على الهدى
او امر بالتقوى ارايت تكرير للاول وكذا الذي في قوله تعالى ارايت ان كذب وتولى
الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه
جواب الشرط الثاني الواقع موضع القسم لم والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته
ان كان ذلك الناهي على الهدى فيما ينهى عنه او امر بالتقوى فيما يامره من عبادة الاوثان
كما يعتقد او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما تقول الم يعلم بان الله يرى
ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي
على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية
مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكانه
قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه ولعله
ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلوة
والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل او لان نهي العبد اذا صلى
يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره
بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته
ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بالنون
المشددة ولاسفعن وكتبها في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن
الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما
جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب
والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة فليدع ناديه اي اهل ناديه
ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله عليه السلام
وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي
ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط واحدها زبنية
كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء
كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه اي اثبت انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك

واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد
عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن
فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله
اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير
من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها او انزل جملة من اللوح الى السماء الدنيا
على السفرة ثم كان جبرئيل عليه السلام ينزله على رسول الله عليه السلام نجوما في ثلث وعشرين سنة
وقيل المعنى انا انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها
السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك
لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير
او لما روي انه عليه السلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله تعالى الف شهر فتعجب
المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل
الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض
او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة
وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها
الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها
على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه
كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي عليه السلام من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة القيمة مكية وقد قيل مدنية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى
فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله تعالى ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاوثان
منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة
الرسول عليه السلام او القرآن فانه مبين للحق او معجز الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به
رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ يتلو صحفا مطهرة
صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلى مثل ما في الصحف كان كالتالي لها
وقيل المراد جبرائيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي ما فيها وانها لا يمسها
الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه او من وعدهم بالاصرار على الكفر

الامر بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين
للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا
اى فى كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء
مايلين عن العقايد الزايغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوا
وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها اى يوم القيمة او فى الحال لملابستهم ما يوجب ذلك
واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما فى نوعه فلعله يختلف
لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اى الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمزة على الاصل
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات
عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر
الجزاء المؤذن بان ما منحوا فى مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع
جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد
رضى الله عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى
امانيهم ذلك اى المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشى ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث
على كل خير عن النبى عليه السلام من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مسا ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهى تسع آيه

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر
لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللايق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو
اسم الحركة وليس فى الابنية فعلال الا فى المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما فى جوفها
من الدفاين والاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم
من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث
اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل
ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او اصل واذا
منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها
ما دل على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته
كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها فى ذلك تشفى من العصاة يومئذ يصدر
الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا
اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرأ هشام باسكان الهاء

ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص الثواب والعقاب
وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية
بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبى عليه السلام
من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القران كله

سورة العاديات وهى احدى عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو
فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات
فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا
فالتى تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات يغير
اهلها على العدو صبحا اى فى وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا
او صياحا فوسطن به بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع او ملتبسات به جمعا
من جموع الاعداء روى انه عليه السلام بعث خيلا فمضت شهرا لم يأته منهم خبر فنزلت
ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف
والمغيرات على الهوى والعاديات اذا ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن
جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا ولعله
بلغة كندة او لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان
على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد
فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوى
مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما فى القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل
جمع محصلا فى الصحف او ميز ما فى الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل
ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم
وانما قال ذلك ثم قال بهم لاختلاف شانهم فى الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبى عليه السلام
من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من مات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهى عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة
سبق بيانه فى الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث فى كثرتهم وذلتهم وانتشارهم
واضطرابهم وانتصابه يوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف
ذى الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها فى الجو فاما من ثقلت
موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو فى عيشة راضية ذات رضى او مرضية

وأما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنات يعبأ بها او ترجحت سيئاته
على حسناته فامه هاوية فمأويه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال تعالى وما ادريك
ما هيه نار حامية عن النبي عليه السلام من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول
من لهى اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء
صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر
روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم
ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم وانما حذف
الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل الهيكم التكاثر بالاموال
والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي
لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ان
لا يكون جميع همته ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون
خطأ رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف
تعلمون تكرير للتاكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت
او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم
علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف
ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق
الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم بعد ابهامه تفخيما
وقرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء ثم لترونها اي تكرير للتاكيد او الاولى اذا راتهم من مكان
بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين
اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسئلن
يومئذ عن النعيم الذي الهيكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص
بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى من حرم زينة الله كلوا من الطيبات
وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي عليه السلام من قرأ الهيكم
لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة العصر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر
لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر
ان الانسان لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس
والتنكير للتعظيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا
ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح
انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به عباده
وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله
ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود
واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب
الخسر كرم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة والعصر غفر الله تعالى وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن
كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال
ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة
التي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان
مغتابا وقيل في امية بن خلف وفي الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله عليه السلام
الذي جمع مالا من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد
للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده
على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب
المال اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه
تعريض بان المخلد فيه هو السعي للآخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة
في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار التي
لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله تعالى وما اوقده لا يقدر
ان يطفئه غيره التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها
بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تألما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشأ
الاعمال القبيحة انها عليهم موصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال
تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة في عمد ممددة اي موثقين
في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من
استهزأ بمحمد عليه السلام واصحابه

سورة الفيل مكية وهي خمس آيه

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب
للرسول عليه السلام وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر
اخبارها فكانه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة
على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي
انها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله عليه السلام وقصتها ان ابرهة بن الصباح
الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد
ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف
ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول
وعبا جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن
او الى جهة اخرى هرول فارسل الله تعالى طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من
العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا
وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام
الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة شرفها الله وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال
بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة
الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط
ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك
من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال
وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف
مأكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن
اكلته الدواب وراثته عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة القريش مكية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا
البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فان لم
يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف الرحلة في الشتاء
الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله
كالتضمين في الشعر اي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي
سورة واحدة وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد نضر بن كنانة
منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث في السفن ولا تطاق الا بالنار
شبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف
ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة فليعبدوا رب هذا

البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة
اكلوا فيها الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف
في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف فيها

سورة ارأيت مكية وقيل مدنية وهي سبع آية

بسم الله الرحمن الرحيم ارأيت استفهام معناه التعجب
وقرئ بلا همز الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها
وارأيتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس
والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل
كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا
فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك
ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة
على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها
الذين هم يراؤن يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون
الزكوة او ما يتعاون في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم
من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء
الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب
عليها الويل او للتسبيب على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على
معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي عليه السلام من قرأ سورة ارأيت غفر الله له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط
الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين وروي انه عليه السلام انه نهر في الجنة وعدنيه
ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد
واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده او اتباعه
او علماء امته او القرآن فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي
عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي
هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة
كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك
ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى عنه نسل ولا حسن ذكر

وأما أنت فيبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الحصر والوصف عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا أيها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون روي أن رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فنزلت لا أعبد ما تعبدون أي فيما يستقبل فإن لا لا يدخل إلا على المضارع بمعنى الاستقبال كما أن ما لا يدخل إلا على المضارع بمعنى الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد أي فيما يستقبل لأنه في قران لا أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم أي في الحال أو فيما سلف ولا أنتم عابدون ما أعبد أي وما عبدتم في وقت ما أنا عابده ويجوز أن يكونا تأكيدين على طريقة أبلغ وإنما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل البعث بعبادة الأصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وإنما قال ما دون من لأن المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق أو للمطابقة وقيل إنها مصدرية وقيل الأوليان بمعنى الذي والأخريان مصدريتان لكم دينكم الذي أنتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي أنا عليه لا أرفضه فليس فيه إذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآيات القتال اللهم إذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة وقرأ نافع وحفص وهشام بفتح الياء عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الأكبر

سورة الفتح مدنية وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله إظهاره إياك على أعدائك والفتح فتح مكة شرفها الله تعالى وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وإنما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للإشعار بأن المقدرات متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال أحد حامدا له عليه أو فصل له حامدا على نعمه روي أنه عليه السلام لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات أو فنزهه عما كانت الظلمة يقولون

حامدا له على أن صدق وعده أو فأثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الإكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات إلى غيره وعنه عليه السلام إني أستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لأمتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق إلى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله إنه كان توابا لمن استغفر منذ خلق المكلفين والأكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة وأنه نعي لرسول الله عليه السلام لأنه لما قرأها بكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك قال نعيت إليك نفسك قال إنها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر الدين فهي كقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم أو لأن الأمر بالاستغفار تنبيه على دنو الأجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه السلام من قرأ إذا جاء أعطي من الأجر كمن شهد معي يوم فتح مكة شرفها الله تعالى

سورة تبت مدنية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت أو خسرت والتباب خسران يؤدي إلى الهلاك يدا أبي لهب نفسه كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقيل إنما خصت لأنه عليه السلام لما نزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا وأخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه وأخراه وإنما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته أو لأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكره أو لأنه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله أو ليجانس قوله ذات لهب وقرئ أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب كرم الله وجهه وقرأ ابن كثير بإسكان هاء لهب وتب إخبار بعد إخبار والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله ٭ جزاني جزاه الله شر جزائه ٭ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ٭ ويدل عليه قراءة وقد تب والأول إخبار عما كسبت يداه والثاني عما عمل نفسه ما أغنى عنه ماله نفي لإغناء المال حين نزل به التباب أو استفهام إنكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه أو مكسوبه بماله من النتائج والأرباح والوجاهة والأتباع أو عمله الذي ظن أنه ينفعه أو ولده عتبة وقد افترسه أسد في طريق الشام وقد أحدق به العير ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ثلاثا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو إخبار عن الغيب طابق وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على أنه لا يؤمن لجواز أن يكون صليها بالفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامرأته عطف على المستكن في سيصلى أو مبتدأ وهي أم جميل أخت أبي سفيان حمالة الحطب يعني حطب نار جهنم فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاداة الرسول وتحمل زوجها على إيذائه أو النميمة فإنها توقد نار الخصومة أو حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها

في الليل في طريق رسول الله عليه السلام وقرأ عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد
اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها
بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها
في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها
سلسلة من النار والظرف في محل النار او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي اربع آية

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد
منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه
اي الذي سألتموني عنه اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه
فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات
الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم
احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة
الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه
لا بد منه في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون
مشاقة رسول الله عليه السلام او موادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه
واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه
في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا
وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير
لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف
لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه
او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده
ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك
لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اي ولم يكن احد يكافئه
اي يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان
المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن
في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلث بالعطف لان المراد منها
نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع
في رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة
مع قصرها جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل

ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها
بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك عن النبي عليه السلام انه سمع رجلا يقرأها فقال وجبت
قيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه
كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد
عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح
ولذلك فسر به وتخصيصه لان فيه تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور
ومحاكاة فاتحة يوم القيمة والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم
قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظة الرب هاهنا اوقع من سائر اسماء الله تعالى لان
الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه
فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالظلم والكفر وطبيعي كاحراق النار
واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظيم ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصله
الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب
ظلامه وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان
المضار فيه يكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه
يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد ومن شر
النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث
النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي عليه السلام في احدى عشرة عقدة
في وتر دسه في بئر فمرض عليه السلام ونزلت المعوذتان واخبره جبرائيل عم بموضع السحر
فارسل عليا رض فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة
ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر
وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد
بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد
ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه
قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لان العمدة في اضرار الانسان
بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات
النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث
في العقد الثلثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها
من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي عليه السلام لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما

وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مختلف فيها وهي ست آية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ قرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمي بفعله مبالغة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم القبيلتين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله تعالى يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين عن النبي عليه السلام من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى كلها

وقع الفراغ من تبييضه بعون الله تعالى وتوفيقه
من يد اضعف عباد الله علي بن مصطفى
المدعو بتقيم زاده الساكن في بلدة ...
بعد العشاء في ليلة الجمعة
في العشر الآخر من شهر
جمادى الآخر
...



